المقدمة

الحمد لله القائل (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين)(آل عمران : ٩٦)، والصلاة والسلام على رسوله خاتم الأنبياء القائل(اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وحول حماها إلى الجحفة).(صحيح البخاري: ١٨٨٩، ومسلم: ١٣٧٦)، وعلى آله وصحبه الذين أقاموا بمكة، وهاجروا مسلمين إلى المدينة، فصارت أحب البلاد إليهم.

فقد وفقني الله جل اسمه للنهل من معين العلوم الدينية مدة سبع سنوات، من الأستاذة الكرام ، في كلية ابن عباس العربية التي هي ممطرة بوابل من الثروات، فقد ألزمت هذه الكلية لمن أراد التخرج فيها بعد إتمام المناهج العلومية إعداد وتقديم بحث علمي، تحت موضوع يختاره الطلبة مما جعلني أفكر في عدد كبير من الموضوعات فوقع اختياري على موضوع (إتحاف الثقلين بفضائل الحرمين) وهناك عدة أسباب رغبتني على اختيار هذا الموضوع فيحرى بي أن أسراد الأهم منها في السطور الآتية:

أسباب اختيارى هذا الموضوع:

١. زيادة شوقي إلى جمع الأخبار المتعلقة بفضائل الحرمين، لأنني لما ذهبت إلى مكة لأداء العمرة رضعت بلبان حب الكعبة الشريفة والمدينة المنورة، لأنها تمثل دوحة متسعة يأتي إليها الناس من أكثر أرجاء العالم.
٢. إكثار النبي –صلى الله علية وسلم- من الثناء على مكة والمدينة ، ومن يطوف حولها، ومن يقصدها من أرباع العالم.
٣. تمثل مكة المكرمة دوحة جميلة تستميل قلوب زائريها، برونق طبيعتها وعظمة الكعبة الشريفة التي هي مصدر الدعوة للتوحيد لجميع المسلمين إلى آخر الأبد.
٤. تعتبر المدينة المنورة ومكة المكرمة شعارين عظيمين من شعائر المسلمين.
٥. وجود مسقط رأس رسول الله –صلى الله عليه وسلم- في مكة المكرمة وهجرته إلى المدينة المنورة.

٦. وهي الأرض التي عاش فيها النبي إسماعيل عليه السلام كما دعا ببركة مناخها الاجمال النبي إبراهيم عليه السلام.

والأحرى بالإكتفاء بذكر هذه الأسباب كي لا يطول المقام بذكر جميعها.

ومما لا يدع مجالا للشك أنني مخطأ في الغالب، ضرورة أنني بشر كما يقول الله عز وجل (وخلق الإنسان ضعيفا)، ولكل رجل هفوة وسقطة، ويهفو قلبي لإشارتكم إذا قرأتم هذا المدون إلى الزلات، والأخطاء النحوية، واللغوية، على شكل أروع، فأرجو من الله المنان أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به في الدارين.

والله أسأل أن يجعلنا ممن سيستظل في ظل العرش، كما جعلنا في ضوئة الإسلام الصافية.

كتبه الطالب الفقير إلى معونة الله عز وجل

أبو ريمة وفان بن ميرا محي الدين.

العام:١٤٣٦- ذو الحجة-24هـ

العام:٢٠١٥-10-٠٨م

الشكر والتنويه

(من لا يشكر الناس لا يشكر الله) ولا أنسى في هذا المقام أن أقدم شكري الأجزل لله عز وجل أولا وهو الذي منحني فرصة قيمة لمواصلة دراستي في هذه الكلية المباركة قرابة سبع سنين ولم نصل إلى هذا التوفيق إلا بتوفيقه الأعظم وتعتبر هذه الكلية في طليعة المدارس العربية داخل البلاد كما أنني حظيت بالدراسة فيها بنعمة الله الجليلة.

ويتعين في هذا المكان أن أتقدم بخالص الشكر الجزيل لوالدي اللذين لهما دور واسع في تجميل لتربيتي وأسأل الله لهما بالمغفرة والخير كما سرد الله في القرآن ﴿ رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ وأيضا لا يفوتني أبدا أن أقتدم خالص الشكر الأجزل لأستاذي أبي عياش عمران بن فوزي (العباسي) المشرف على بحثي على جهوده المنفقة لمراجعته وبذل ملاحظاته القيمة عليه حيث إن قلبي يحن إلى تقديم الشكر لكل من ساعدني على إعداد هذا البحث لا سيما مديرنا فضيلة الشيخ الأستاذ أبي محمد دين الحسن بن وهاب الدين (البهجي) الذي قام بتدريس منهج البحث على أحسن ما يرى.

وأسأل الله أن يضع لهذا الجهد عنده قبولا حسنا .

التمهيد.

أسماء الحرمين الشريفين.

أولا: أسماء مكة.

بلد الله الحرام، الذي حرمه وشرفه وقدسه، تعددت أسماؤه تشريفا للمسمى.

ومن أسمائه التي وردت في القرآن الكريم:

مكة: وهو أشهر أسمائه قال تعالى﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾(سورة الفتح: ٢٤.).
ومن أسمائه بكة قال تعالى :﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾(سورة آل عمران:٩٦.).

ومن أسمائه ام القرى قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾(سورة الشورى:٧) ، وأم القرى هي مكة باتفاق المفسرين، وسميت بذلك لأنها أشرف وافضل من سائر البلاد وأحبابها إلى الله وعلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-(انظر تفسير ابن كثير: ١٠٧/٤).

ومن أسمائه البلد الأمين قال تعالى:﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞وَطُورِ سِينِينَ ۞وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾(سورة التين:١-٣).
والبلد الأمين هو مكة بلا خلاف(انظر تفسير ابن كثير:٥٨٧/٤).

إلى غير ذلك من الاسماء الكثيرة التي سمي بها هذا البلد الأمين(انظرفي شفاء الغرام للفاسي: ٤٨/١، وفي تفسير ابن كثير: ٣٨٣/١).

والثاني: أسماء المدينة.

المدينة اسم غلب على مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقد ورد تسميتها في القرآن بهذا الاسم في أربع آيات:

قوله تعالى:﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾(سورة التوبة:١٠١).

وقوله تعالى:﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾(سورة الأحزاب:٦٠).

وقوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾(سورة التوبة:١٢٠).

وقوله تعالى:﴿قُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾(سورة المنافقون:٠٨).

أما تسميتها بهذا الاسم في السنة المطهرة فهو كثير جدا يصعب حصر الأحاديث التي ورد فيها ذكر المدينة.

وقد أكثر مؤرخو المدينة من تعداد أسمائها، حتى ذكر لها أربعة وتسعين أسماء(وفاء الوفاء:١/٨-٢٧.

ولا أريد ذكر تلك الاسماء كلها، وإنما أذكر منها ما ورد التنصيص عليه صراحة أنه نت أسمائها في أحاديث مرفوعة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم-.

فمنها: طابة : فعن جابر بن سمرة –رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله عليه وسلم يقول:[إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ](صحيح مسلم:١٣٨٥).

منها: طيبة: عن فاطمة بنت قيس –في حديث الجساسة- قوله صلى الله عليه عليه وسلم:[هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ-](صحيح مسلم:٢٩٤٢).

ومنها: مسكينة، وجابرة، ومجبورة، ويندد، ويثرب، والدار ، وجبار، ومحبورة، والدارالإيمان.

فهذه اثنا عشر أسماء لم يثبت منها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا طيبة وطابة والمدينة، أما يثرب فقد كانت المدينة تسمى به في الجاهلية، فكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تسميتها بهذا الاسم حيث قال -صلى الله عليه وسلم-:[أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ المَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ](رواه البخاري:١٨٧١،ومسلم:١٣٨٢).

وسبب كراهته -صلى الله عليه وسلم- هذا الاسم أنه مأخوذ من الثرب وهو الفساد، أو من التثريب، وهو التوبيخ والملامة، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يغير الاسم النبيح إلى الاسم الحسن(رواه الترمذي في جامعه:٢٨٣٩).

وأما تسمية المدينة بهذا الاسم في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا.....﴾(سورة الأحزاب:١٣).

فإنما هو حكاية عن قول بعض المنافقين والذين في قلوبهم مرض(ذكره النووي في شرح صحيح مسلم"١٥٥/٩). والله أعلم.

نبذة عن الحرمين.

نبذة عن المسجد الحرام.

يقع المسجد الحرام في مكة وهي مدينة في جزيرة العرب ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠متراً ويرجع تاريخ عمارتها إلى عهد إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وفيها ولد نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم وفيها مهبط الوحي أول ما نزل ، ومنها شاع نور الإسلام وبها المسجد الحرام وهو أول مسجد وضع للناس في الأرض لقوله تعالى : { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين } (آل عمران : ٩٦) وثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض قال : المسجد الحرام قلت : ثم أي قال : المسجد الأقصى قلت : كم بينهما قال : أربعون عاماً . وتقع الكعبة - وهي قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها - وسط المسجد الحرام تقريباً ويبلغ ارتفاعها خمسة عشر متراً وهي على شكل حجرة كبيرة مربعة البناء على وجه التقريب وقد بناها إبراهيم الخليل عليه السلام بأمر من الله تعالى : قال عز وجل : (وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) سورة الحج ، ومعنى بوأنا : أي أرشده إليه وسلّمه له وأذن له في بنائه : تفسير ابن كثير ، وقال تعالى : { وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل } البقرة :١٢٧.

وعن وهب بن منبه قال : .. بناها إبراهيم عليه السلام ثم العمالقة ثم جرهم ثم قصي بن كلاب وأما بنيان قريش له فمشهور .. وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً .. ، وكان بين بنيان الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين وبين مخرجه وبنائها خمس عشرة سنة ذكره عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن عثمان عن أبي الطفيل وذكر عن معمر عن الزهري : حتى إذا بنوها وبلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن أي القبائل تريد رفعه ؟ حتى شجر بينهم فقالوا تعالوا نحكّم أول من يطلع علينا من هذه السكة فاصطلحوا على ذلك فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام عليه وشاح نمرة فحكّموه فأمر بالركن فوضع في ثوب ثم أمر سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن ، فكان هو يضعه صلى الله عليه وسلم . تاريخ مكة للأزرقي (١٦١/١-١٦٤).

وروى مسلم (٢٣٧٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْجَدْرِ أَمِنْ الْبَيْتِ هُوَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَلِمَ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ قَالَ إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمْ النَّفَقَةُ قُلْتُ فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا قَالَ فَعَلَ ذَلِكِ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا وَلَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ لَنَظَرْتُ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْزِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ.

وقد تعرضت الكعبة قبل الإسلام (في عام ولادة النبي صلى الله عليه وسلم) للغزو من قبل أبرهة الحبشي وذلك عندما بنى القُليس وهي الكنيسة التي أراد أن يصرف إليها حج العرب فخرج بجيش ومعهم الفيل فلما وصلوا إلى مكة أرسل الله عليهم طيراً أبابيل مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر في منقاره وحجرين في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ففني الجيش وهلكوا بأمر الله عزّ وجلّ.

وقد ذكر الله تعالى هذه الحادثة في كتابه فقال عزّ وجلّ : { ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول } انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/٤٤-٥٨).

ولم يكن هناك سور يحيط بمسجد الكعبة حتى صارت الحاجة تدعو إلى ذلك ، قال ياقوت الحموي في "معجم البلدان"(٥/١٤٦) . ما يحيط بالكعبة كان أول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يكن له في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر جدار يحيط به وذاك أن الناس ضيّقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم ، فاشترى تلك الدور وهدمها وزادها فيه وهدم على قوم من جيران المسجد أبوا أن يبيعوا ووضع لهم الأثمان حتى أخذوها بعد ، واتخذ للمسجد جداراً دون القامة فكانت المصابيح توضع عليه ، ثم كان عثمان فاشترى دوراً أُخَر وأغلى في ثمنها .. ويقال إن عثمان أول من اتخذ الأروقة حين وَسّع المسجد .. فلما كان ابن الزبير زاد في إتقانه لا في سعته وجعل فيه عَمَداً من الرخام وزاد في أبوابه وحسنها فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السواري من مصر في البحر إلى جدة واحتملت من جدة على العجل إلى مكة وأمر الحجّاج بن يوسف فكساها ولما ولي الوليد بن عبد الملك زاد في حليتها وصرف في ميزابها وسقفها .. فلما ولي المنصور وابنه المهدي زاد أيضاً في إتقان المسجد وتحسين هيئته .

وهكذاوفي المسجد من الآثار الدينية مقام إبراهيم وهو الحَجَر الذي كان يقف عليه إبراهيم الخليل عليه السلام أثناء بناء الكعبة . وكذلك بئر زمزم وهي نبع من الماء أخرجه الله تعالى لهاجر وولدها إسماعيل عليه

السلام لما عطش ، ولا يُنسى أيضا الحجر الأسود ومقام إبراهيم وهما ياقوتتان من يواقيت الجنة . كما روى الترمذي وأحمد عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرٍو قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ الرُّكْنَ وَالْمَقَامَ يَاقُوتَتَانِ مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ طَمَسَ اللَّهُ نُورَهُمَا وَلَوْ لَمْ يَطْمِسْ نُورَهُمَا لأَضَاءَتَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ " (سنن الترمذي ٨٠٤).

ويجاور المسجد الحرام جبلي الصفا والمروة ، ومن خصائص المسجد الحرام أنّه المسجد الوحيد الذي يُحجّ إليه في الأرض ، قال الله تعالى : (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) سورة البقرة ، ومن خصائصه أنَ الله جعله آمنا والصلاة فيه بمائة ألف صلاة ، قال الله تعالى : (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) سورة البقرة ، وقال تعالى : (فِيهِ ءايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) سورة آل عمران . انظر "أخبار مكة" للأزرقي وأخبار مكة للفاكهي .

مبدأ أمر الحرم وبناء الكعبة المشرفة.

لقد ارتبط أمر بناء الكعبة المعظَّمة، وبداية أمر الحرم والكعبة والمناسك باسم خليل الرحمن إبراهيم وابنه إسماعيل –عليهما السلام- على ما ورد في كتاب الله تعالى. قال الحافظ ابن كثير:(فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم –عليه السلام- أول من بناه مبتدءا، وأول من أسسه)(تهذيب الأسماء واللغات:٨٢/٣). وإن كانت النصوص الواردة في ذلك لا تنفي احتمال وجوده مبنيا قبل ذلك. والله اعلم.

وفي خبر البناء وقيام الخليل إبراهيم –عليه السلام- به، يساعده ابنه إسماعيل، يقول الله –عز وجل- :﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(سورة البقرة:١٢٧) .

ووردت الروايات الصحيحة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مبدأ أمر الحرم وقصة البناء فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس –رضي الله عنه- :[أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا

مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(سورة إبراهيم:٣٦-٣٧) " وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّات.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا] فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَهٍ - تُرِيدُ نَفْسَهَا -، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ -، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا " قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَفَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ(من النفاسة أي كثرت رغبتهم فيه، فتح الباري: ٤٦٨/٦) وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ

إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ.

قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ.

قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا.

قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ.

فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ.

فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟

قَالَتِ: اللَّحْمُ.

قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟

قَالَتِ: المَاءُ.

قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ].

قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ.

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُقَالَ:هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ.

قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ،

قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ.

قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ.

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ:فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ.

قَالَ: وَتُعِينُنِي؟

قَالَ: وَأُعِينُكَ.

قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾(سورة البقرة:١٢٧). قَالَ: فَجَعَلاَ يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾(صحيح البخاري: كتاب الأنبياء:٣٣٦٤).

فكان هذا البيت بعد بنائه أول بيت بني في الأرض للعبادة قال تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾(سورة آل عمران: ٩٦).

روى البخاري عن أبي ذر –رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: [المَسْجِدُ الحَرَامُ] قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ [المَسْجِدُ الأَقْصَى] قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: [أُبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ](صحيح البخاري: ٣٣٦٦).

وقد أخبر الله تعلى أنه أبقى فيه آيات بينات، ودلالات ظاهرات أنه من بناء إبراهيم الخليل – عليه السلام- وإن الله عظمه وشرفه فقال تعالى:﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(سورة آل عمران:٩٧).

قال قتادة ومجاهد : مقام إبراهيم من الآيات البينات انظر تفسير الطبري:٤/٨.. تبين مما سبق عظم مكانة هذا البلد الحرام، وعلو منزلته وقدره، دل على ذلك توارد النصوص الشرعية السابقة، في تعدد أسمائه ووضع حدوده وذكر مبدأ أمره وما يأتي من بيان حرمته. والله أعلم.

نبذة عن المسجد النبوي:

المسجد النبوي، أو مسجد النبي، أو الحرم النبوي، أحد أكبر المساجد في العالم وثاني أقدس موقع في الإسلام (بعد المسجد الحرام في مكة المكرمة)، وهو المسجد الذي بناه النبي محمد في المدينة المنورة بعد هجرته سنة ١ هـ الموافق ٦٢٢ بجانب بيته بعد بناء مسجد قباء. مرّ المسجد بعدّة توسعات عبر التاريخ، مروراً بعهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية فالعباسية والعثمانية، وأخيراً في عهد الدولة السعودية حيث تمت أكبر توسعة له عام ١٩٩٤. ويعتبر المسجد النبوي أول مكان في الجزيرة العربية يتم فيه الإضاءة عن طريق استخدام المصابيح الكهربائية عام ١٣٢٧ هـ الموافق ١٩٠٩.

بعد التوسعة التي قام بها عمر بن عبد العزيز عام ٩١ هـ أُدخِل فيه حجرة عائشة (والمعروفة حالياً بـ "الحجرة النبوية الشريفة"، والتي تقع في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد) والمدفونون فيها النبي محمد وأبي بكر وعمر بن الخطاب، وبُنيت عليها القبة الخضراء التي تُعد من أبرز معالم المسجد النبوي. كان للمسجد دور كبير في الحياة السياسية والاجتماعية، فكان بمثابة مركزاً اجتماعياً، ومحكمة، ومدرسة دينية. ويقع المسجد في وسط المدينة المنورة، ويحيط به العديد من الفنادق والأسواق القديمة القريبة. وكثير من الناس الذين يؤدون فريضة الحج أو العمرة يقومون بزيارته، وزيارة قبر النبي محمد للسلام عليه لحديث «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

المسجد عبر التاريخ

عبر التاريخ، مرّ المسجد النبوي بتسع توسعات، هذا غير الترميمات التي حدثت كثيراً.

التوسعة	تاريخ التوسعة	العهد	الآمر/المنفذ	المساحة الكلية (م٢)	نسبة الزيادة	عدد الأبواب	عدد المآذن	أخرى
أول بناء للمسجد	1هـ 622م	النبوي	النبي محمد	1,050	-	3	-	أول بناء
التوسعة الأولى	7هـ 628م	النبوي	النبي محمد	2,475	136%	3	-	تمت بعد غزوة خيبر
التوسعة الثانية	17هـ 638م	الخلفاء الراشدون	عمر بن الخطاب	3,575	44.4%	6	-	بنى "البطيحاء" خارج المسجد
التوسعة الثالثة	29هـ-30 هـ 649م-650 م	الخلفاء الراشدون	عثمان بن عفان	4,071	13.9%	6	-	انتهت التوسعة الجنوبية عند توسعته
التوسعة الرابعة	88هـ-91 هـ 707م-710 م	الدولة الأموية	عمر بن عبد العزيز بأمر من الوليد بن عبد الملك	6,440	58.2%	20	4	أُدخلت الحجرات النبويةفي المسجد استحداث المآذ ن لأول مرة استحداث المحرا

								ب المجوّف لأول مرة
التوسعة الخامسة	161هـ - 165 هـ 779م- 782 م	الدولة العباسية	أبو عبد الله محمد المهدي	8,890	38%	24	3	-
ترميمات وإصلاحات	654هـ 1275م	نهاية الدولة العباسية بداية الدولة المملوكية	بدأها المستعصم بالله أكملها الظاهر بيبرس	8,890	0%	24	3	تمت بعد الحريق الأول للمسجد
ترميمات وإصلاحات	881هـ 1476م	الدولة المملوكية	قايتباي	8,890	0%	24	3	-
التوسعة السادسة	886 هـ- 888 هـ 1481م - 1483 م	الدولة المملوكية	قايتباي	9,010	1.3%	4	4	تمت بعد الحريق الثاني للمسجد

ترميمات وإصلاحات	947هـ 1540م	الدولة العثمانية	سليمان القانوني	9,010	0%	4	4	-
التوسعة السابعة (المجيدية)	1265هـ-1277هـ 1849م-1860م	الدولة العثمانية	عبد المجيد الأول	10,303	14.4%	5	5	العمارة الرئيسية في عهد العثمانيين
التوسعة الثامنة	1372هـ-1375هـ 1952م-1955م	السعودية	عبد العزيز آل سعود	16,327	58.5%	10	4	تكلفته بلغت ٥٠ مليون ريال
التوسعة التاسعة	1406هـ-1414هـ 1985م-	السعودية	فهد بن عبد العزيز آل سعود	98,327 و ٢٣٥,٠٠٠ ساحات	502%	41	10	أكبر توسعة

	1994 م								

في عهد النبي محمد:

(نموذج للمسجد النبوي والحجرات في عهد النبيمحمد، والقبلة يومئذٍ إلى بيت المقدس)

(نموذج للمسجد النبوي والحجرات في عهد النبيمحمد، بعدما صارت قبلتهم إلى الكعبة)

كان المسلمون الأوائل من الأنصار قبل الهجرة النبوية يجتمعون ويصلّون في موضع في وسط المدينة المنورة (واسمها يومئذٍ "يثرب")، حيث كان مصعب بن عمير (المبعوث من النبيمحمد في مكة) يصلّي بهم ويعلمهم القرآن أيضاً، ومن قبله كان أسعد بن زرارة يصلي بهم،وكانت الأرض التي يصلّون عليها عبارة عن مرباد (موقف الإبل ومحبسها) لغلامين يتيمين هما سهل وسهيل ابنا عمرو وكانا في حِجرِ أسعد بن زرارة.

وفي الهجرة النبوية، عندما قدم النبي محمد المدينة المنورة، بركت ناقته في ذلك الموضع الذي كان الأنصار يصلّون فيه، وقال: «هذا المنزل إن شاء الله»، فدعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: «بل نهبه لك يا رسول الله»، فأبى أن يقبله هبة حتى ابتاعه منهما، ودفع ثمنها أبو بكر. فأسّس النبي محمد المسجد في شهر ربيع الأول سنة ١ هالموافق ٦٢٢، وكان طوله يومئذٍ ما يقارب ٣٥ متراً، وعرضه ٣٠ متر، فتكون مساحته ١٠٥٠ متراً مربعاً، وكان سقفه بارتفاع ٢.٥ متراً تقريباً. وكانت أعمدة المسجد من جذوع النخل وسقفه من الجريد (أغصان النخيل)، وأساسه من

الحجارة، وجداره من اللبن (الطوب النيء الذي لم يُحرق بالنار)، وجعل وسطه رحبة (ساحة). وكان النبي محمد يبني معهم بنفسه، ويحمل الحجارة واللبن. وجعل للمسجد ٣ أبواب: باب الرحمة ويُقال له باب عاتكة (في جهة الغرب)، وباب عثمان ويُسمى الآن باب جبريل الذي كان يدخل منه النبي محمد (في جهة الشرق)، وباب في المؤخرة (في جهة الجنوب)، وجعل قبلة المسجد لبيت المقدس،ولما تحوّلت القبلة للكعبة في السنة ٢ هـ، سُدّ الباب الذي كان في المؤخرة وفُتح باب في مواجهته في الجهة الشمالية.وكذلك بنى بيتين لزوجتيه عائشة بنت أبي بكر وسودة بنت زمعة.

روى البخاري قصّة بنائه في حديث طويل عن أنس بن مالك وفيه: «أن النبي صلى الله عليه وسلّم أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ من بني النجار فجاؤوا، فقال: يا بني النجار ثامِنوني بحائطكم هذا، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، قال: فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خِرَب، وكان فيه نخل، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال: فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه (خشبتان مثبتتان على جانبي الباب) حجارة، قال: جعلوا ينقلون ذاك الصخر وهم يرتجزون، ورسول الله صلى الله عليه وسلّم معهم يقولون: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة».

وكان النبي محمد قد رفض أن يبني المسجد ويزيّنه، فقد روى عبادة بن الصامت: أن الأنصار جمعوا مالا فأتوا به النبي فقالوا: يا رسول الله: ابن هذا المسجد وزينه، إلى متى نصلي تحت هذا الجريد؟ فقال: «ما بي رغبة عن أخي موسى، عريش كعريش موسى».

وبعد غزوة خيبر في شهر محرم سنة ٧ هـ الموافق ٦٢٨، وبسبب ازدياد أعداد المسلمين في المدينة نتيجة الهجرة إليها حتى ضاق المسجد النبوي بالمصلين، عندها قرر النبي محمد زيادة مساحته، فزاد ٢٠ متراً في العرض و١٥ متراً في الطول، فصارت مساحته ٢٥٠٠ متراً مربعاً، وكان عثمان بن عفان هو من اشترى هذه الأرض. وبقي المسجد على حدّه من الجهة الجنوبية، ومن الجهة الشمالية كان حده إلى ما ينتهي إليه البناء المجيدي المسقوف اليوم، ومن الجهة الغربية، كان حدّه الأسطوانة الخامسة من المنبر مكتوب عليها "حدّ مسجد النبي ﷺ"، وكان ارتفاع سقفه تقريباً ٣.٥ متراً.

في عهد عمر بن الخطاب:

في عام ١٧ هـ وبسبب كثرة عدد المسلمين نتيجة للفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة الإسلامية، قام الخليفة عمر بن الخطاب بتوسعة المسجد النبوي، وكانت أول توسعة للمسجد النبوي منذ بنائه وتوسعته في عهد النبي محمد، حيث إنأبا بكر الصديق لم يضف على مساحة المسجد شيئاً، فقد انشغل أبو بكر بالأحداث التي نتجت عن وفاة الرسول، غير أنه جدد الأعمدة

النخلية التي نخرت. فلمّا تولّى عمر أمر الخلافة قال: «إني أريد أن أزيد في المسجد، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ينبغي أن يُزاد في المسجد" ما زدتُ فيه شيئاً».

بدأ عمر بشراء البيوت حول المسجد لتوسعته، إلا حجرات أمهات المؤمنين، وبيت كان للعباس بن عبد المطلب في جهة القبلة من المسجد، فتبّرع العباس به، وبدأ عمر بتوسعته فبنى أساس المسجد بالحجارة إلى أن بلغ حوالي متران، فزاد من جهة القبلة إلى الرواق المتوسط بين المصلى النبوي والمصلى العثماني، وذلك نحو ٥ أمتار، وزاد من جهة الشمال ١٥ متراً، ومن الجهة الغربية ١٠ أمتار، ولم يزد من الجهة الشرقية شيئاً. فصار طول المسجد من الشمال إلى الجنوب ٧٠ متراً، وعرضه ٦٠ متراً، وارتفاع سقفه ٥.٥ متراً تقريباً. وجعل له ستة أبواب: الثلاثة القديمة، وفتح "باب السلام" في أول الحائط الغربي، و"باب النساء" في الحائط الشرقي، وباب في الحائط الشمالي. وأمر بالحصباء (حجارة صغيرة) فجيء به من العقيق وبسطها بالمسجد. واقتضت توسعة عمر إدخال بيت أبي بكر في المسجد والذي كان ملاصقاً للمسجد في الجهة الغربية.

وكان عمر قد بنى رحبة خارج المسجد سُميت بـ "البطيحاء"، وقال: «من أراد أن يلغط أو يرفع صوتاً أو ينشد شعراً فليخرج إليه»،وكان قد بناه في الجهة الشرقية مما يلي المؤخرة، وقد دخلت في المسجد أثناء التوسعة بعد عمر.

في عهد عثمان بن عفان:

لم تعد الزيادة التي بناها عمر بن الخطاب تسع المصلين والزوار، فقام الخليفة الراشد عثمان بن عفان بتوسعة المسجد النبوي في شهر ربيع الأول سنة ٢٩ هـ الموافق ٦٤٩، وانتهى منه في أول شهر محرم سنة ٣٠ هـ، فكان عمله ١٠ أشهر. وأما مقدار الزيادة، فقد كانت في الجهة الجنوبية ٥ أمتار وهو منتهى الزيادات من هذه الجهة حتى الآن، وفي الجهة الغربية زاد ٥ أمتار أخرى وهو الأسطوانة الثامنة من المنبر، وزاد من الجهة الشمالية ٥ أمتار أيضاً. وبناه من الحجارة المنقوشة والجص، وجعل أعمدته من الحجارة المنقوشة، وغُطّي سقفه بخشب الساج، وبنى مقصورة من لبن يصلي فيها للناس خوفاً من الذي أصاب عمر،وجعل للمسجد ٦ أبواب على ما كان على عهد عمر. وكان عثمان يباشر عمل البناء ويشرف عليه بنفسه.

في عهد الأمويين:

الدولة الأموية

استمرّ المسجد على ما هو عليه كما بناه الخليفة عثمان بن عفان، ولم يزد فيه علي بن أبي طالب ولا معاوية بن أبي سفيان، ولا ابنه يزيد ولا مروان بن الحكم، ولا ابنه عبد الملكشيئاً، حتى كان الوليد بن عبد الملك، وكان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة ومكة، فبعث الوليد إلى عمر

بن عبد العزيز يأمره ببناء المسجد وتوسعته من جهاته الأربع،فاشترى حجرات أمهات المؤمنين وغيرها من الدور المجاورة المحيطة بالمسجد (كبيت حفصة بنت عمر في الجهة الجنوبية، وثلاثة دور كانت لعبد الرحمن بن عوف)،وبدأ بالبناء في شهر ربيع الأول سنة ٨٨ هـ الموافق ٧٠٧، وانتهى منه سنة ٩١ هـ الموافق ٧١٠. وكان عمر بن عبد العزيز يشرف على جميع مراحل البناء. وقد قام بإدخال حجرات أمهات المؤمنين الموجودة في جهة المشرق والجهة الشمالية في المسجد والتي كان الناس قبل ذلك يدخلون تلك الحجرات يصلّون فيها يوم الجمعة لضيق المسجد، وكان مقدار الزيادة من الجهة الغربية ١٠ أمتار، وعليه استقر أمر الزيادة في الجهة الغربية، وزاد في الجهة الشرقية ١٥ متراً، وفي الجهة الشمالية ٢٠ متراً. وكان بناؤه من الحجارة المنقوشة، وسواريه من الحجارة المنقورة، وقد حُشيت بأعمدة الحديد والرصاص. وامتازت هذه التوسعة باستحداث المآذن لأول مرّة، إذ بنى ٤ مآذن بارتفاع ٣٠ متراً تقريباً وبعرض ٤ × ٤ متر على زوايا المسجد الأربعة هُدمت إحداها بعهد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ).وكذلك تم استحداث المحراب المجوّف لأول مرة، وكذلك زخرفة حيطان المسجد من داخله بالرخام والذهب والفسيفساء، وتذهيب السقف ورؤوس الأساطين وأعتاب الأبواب والتوسعة في الجانب الشرقي وبناء السقفين للمسجد، وفتح ٢٠ باباً للمسجد، ٨ أبواب في الجهة الشرقية، و٨ أخرى في الجهة الغربية، و٤ أبواب في الجهة الشمالية.

في عهد العباسيين:

الدولة العباسية

لم يزل المسجد على حال ما زاد فيه الوليد بن عبد الملك حتى ولي أبو جعفر المنصور أمر الخلافة في الدولة العباسية، فهمّ أن يزيد بالمسجد، فتُوفي ولم يزد فيه شيئاً. ثم ولي أمر الخلافة أبو عبد الله محمد المهدي، فقام بزيارة المدينة المنورة أثناء الحجّ سنة ١٦٠ هـ، وأمر بالزيادة فيه، فزاد فيه ٣٠ متراً من الناحية الشمالية، ولم يزد في القبلة ولا في المشرق والمغرب شيئاً. واستمر العمل في البناء ٤ سنوات من عام ١٦١ هـ الموافق ٧٧٩، وانتهى منه عام ١٦٥ هـ الموافق ٧٨٢. واستمرت عناية الخلفاء العباسيين بالمسجد النبوي، وقاموا بالعناية به وتجديده، ولم تظهر الحاجة لتوسعته أو إعادة بناءه إلى أن احترق المسجد الحريق الأول سنة ٦٥٤ هـ.

وفي ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة ٦٥٤ هـ احترق المسجد النبوي الحريق الأول، عندما دخل أحد خدام المسجد في المخزن في الجانب الغربي الشمالي لاستخراج القناديل لمآذن المسجد، فترك الضوء الذي معه ونسيه فاشتعلت النيران وعلا اللهب، واجتمع غالب أهل المدينة المنورة فلم يقدروا على إطفائها، فاستولى الحريق على جميع سقف المسجد، وتلف جميع ما احتوى عليه المسجد من المنبر النبوي والزخارف، والأبواب والخزائن والشبابيك والمقصير والصناديق وما

اشتملت عليه من كتب وكسوة الحجرة وكان عليها إحدى عشرة ستارة، ووقع كذلك بعض سقف الحجرة.

بعد ذلك أمر الخليفة العباسي المستعصم بالله بإعادة إعمار المسجد سنة ٦٥٥ هـ الموافق ١٢٥٧، ولما شرعوا في العمارة قصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور في الحجرة، فلم يتجرأوا على ذلك، وانتظروا جواب الخليفة المستعصم، فلم يصل إليهم جواب لاشتغال الخليفة وأهل دولته بسبب غزو التتار لهم، واستيلائهم على بغداد في تلك السنة، فتركوا الردم على ما كان عليه، ولم ينزل أحد هناك، ولم يتعرضوا له ولا حركوه، إلا أنهم بنوا سقفاً فوقه على رؤوس السواري التي حول الحجرة.

في عهد المماليك:

الدولة المملوكية

بعد نهاية الخلافة العباسية بمقتل الخليفة المستعصم بالله على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ، انتقل أمر العناية بالمدينة المنورة إلى الدولة المملوكية في مصر، فتولى ملك مصر المنصور نور الدين علي بن أيبك وبمساعدة ملك اليمن المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول إكمال عملية الإعمار. ثم في سنة ٦٥٧ هـ عُزل ملك مصر المنصور نور الدين وتولّى مكانه الملك المظفر سيف الدين قطز فكان العمل بالمسجد تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة، ومن باب جبريل إلى باب النساء، وما لبث أن قُتل قبل أن تتم عمارته، وتولى حكم مصر بعده الملك الظاهر بيبرس، فقام بتجهيز الأخشاب والحديد والرصاص، وأرسل ٥٣ صانعاً، وأرسل معهم الأمير جمال الدين محمد الصالحي، ثم صار يمدهم بما يحتاجون إليه من الآلات والنفقات، حتى تم إصلاح باقي المسجد.

ثم لم يزل المسجد على ذلك حتى سنة عام ٦٧٨ هـ في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي، إذ عُمِلَت فوق الحجرة النبوية قبة خشبية (عُرفت لاحقاً بالقبة الخضراء)، مربّعة من أسفلها، مثمنة في أعلاها بأخشاب أقيمت على رؤوس السواري. ثم في عامي ٧٠٥ هـ و٧٠٦ هـ جدّد السلطان محمد بن قلاوون السقف الشرقي والسقف الغربي (أي الذي عن يمين صحن المسجد ويساره). ثم في سنة ٧٢٩ هـ أمر السلطان محمد بن قلاوون، بزيادة رواقين في المسقف القبلي متصلين بمؤخره. ثم حصل فيهما خلل فجددهما الملك الأشرف سيف الدين برسباي في ذي القعدة سنة ٨٣١ هـ. وجدد كذلك شيئاً من السقف الشمالي. ثم حصل خلل في سقف الروضة وغيرها من

سقف المسجد في عهد الظاهر سيف الدين جقمقفجدد ذلك في سنة ٨٥٣ هـ على يد الأمير بردبك الناصر المعمار وغيره.

الجهة الجنوبية للمسجد، وتظهر القبة الخضراءالتي أنشأها أول مرة السلطان محمد بن قلاوون عام٦٧٨ هـ، ثم جددها السلطان قايتباي. وتظهر أيضاً على اليسار القبة التي بناها قايتباي على المحراب العثماني

وفي عام ٨٨١ هـ، أمر السلطان قايتباي (من أبرز السلاطين المملوكيين الذين اهتموا بعمارة المسجد)، بعمارة شاملة للمسجد على يد الخواجكي الشمسي شمس الدين بن الزمن. وفي ليلة ١٣ رمضان عام ٨٨٦ هـ الموافق ١٤٨١ احترق المسجد النبوي الحريق الثاني، إذ تراكم الغيم فحصل رعد شديد، وضربت صاعقة المأذنة الرئيسية، فسقط شرقيّ المسجد، وتوفي رئيس المؤذنين يومئذٍ، واندلعت النيران في سقف المسجد عند المأذنة الرئيسية جنوب شرقي المسجد، فاجتمع أهل المدينة لإطفاء الحريق، فعجزوا عن إطفاءها، حتى استولت النيران على جميع سقف المسجد وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والمصاحف. فقام بعدها السلطان قايتباي بعمارة شاملة للمسجد، إذ أرسل المئات من البنّائين والنجّارين والحَجّارين والنحّاتين والحدّادين، وأرسل الأموال الكثيرة والآلات والحمير والجمال، وذلك لتتم عمارة المسجد على أحسن ما يكون، فزادوا في الجانب الشرقي قدر ١.٢ متراً، وعملوا سقفاً واحداً للمسجد بارتفاع ١١ متراً، وقام ببناء القبة الخضراء وبناها بدلاً من القبة الزرقاء التي الموجودة قبل الحريق فوق الحجرة النبوية، وأعادوا ترخيم الحجرة النبوية وما حولها وترخيم الجدار القبلي، وعملوا المنبر ودكة المؤذنين من رخام، وعملوا قبّة على المحراب العثماني، كما أقاموا قبتين أمام باب السلام من الداخل، وقد كسيت هذه القباب بالرخام الأبيض والأسود. وانتهت هذه العمارة في أواخر رمضان سنة ٨٨٨ هـ الموافق ١٤٨٣.

في عهد العثمانيين:

الدولة العثمانية

(الجدار الجنوبي للمسجد من أثر العمارة العثمانية)

(رسم قديم (القرن ١٧ ميلادي) يُظهر وضعية المسجد النبوي في العهد العثماني.)

تولّى الحكّام العثمانيون أمر المسجد النبوي بعد نهاية الدولة المملوكية سنة ٩٢٣ هـ الموافق ١٥١٧، فأولوها عناية فائقة واهتماماً كبيراً، فحافظوا في البداية على العمارة المملوكية للمسجد النبوي وتعهدوها بالإصلاح والترميم كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وكان أول من قام بإصلاحات في المسجد النبوي السلطان سليمان القانوني، ففي عام ٩٤٦ هـ استُبدلت الأهلّة المملوكية التي تعلو القبة الخضراء ومآذن المسجد أهلة من النحاس المطلي بالذهب، فوضع أحدها على القبة وهلال على المنبر وخمسة أهلة لكل منارة هلال. وفي سنة ٩٤٧ هـ الموافق ١٥٤٠ قام بالإصلاحات الكبرى في عهده، حيث تناولت هذه العمارة باب الرحمة، وباب النساء، وهدمت المئذنة الشمالية الشرقية (السنجارية) وأقيمت مكانها المئذنة السليمانية وكان عمق أساسها ٨.٥٣ متراً، وعرض الأساس ٤.٥٩ متراً. وكان السلطان قد أرسل كل ما تحتاجه العمارة من مواد البناء محمولة على الجمال والدواب، وكذلك أرسل الأيدي العاملة من حجارين وبنائين ونحاتين، وزودهم بما يحتاجونه من نفقات مادية وعينية. وفي ١٧ محرم عام ٩٤٨ هـ الموافق ١٣ مايو ١٥٤١ أعادوا إعمار "المحراب الحنفي". وفي عام ٩٧٤ هـ الموافق ١٥٦٦ جرت عدة إصلاحات وترميمات في المسجد النبوي كان أهمها إعادة بناء الجدار الغربي من باب الرحمة بأكمله لسقوط معظمه، وترخيم الروضة

الشريفة، وعملت وزرة على الحجرة النبوية وأصلح رصاص القبة على القبر النبوي. كما تم استبدال السقوف في الجانب الغربي من المسجد النبوي بعدد من القباب الصغيرة، كما أعيد في سنة ٩٧٤ هـ تجديد بناء قبة الصحن المبنية سنة ٥٧٦ هـ.

(صورة للمسجد النبوي في أواخر العهد العثماني عام ١٩٠٨.)

وفي عهد السلطان عبد المجيد الأول قام بالبدء بأكبر عمارة وتوسعة للمسجد في العهد العثماني، وذلك في عام ١٢٦٥ هـ الموافق ١٨٤٩ وانتهت في سنة ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦٠، واستمرت العمارة نحو ١٣ سنة. وكانت هذه العمارة من أضخم وأتقن وأجمل العمارات والتوسعات التي تمّت للمسجد النبوي من قبل، وقد بقي منها بعد العمارة السعودية الحديثة الجزء القبلي (الجنوبي)، ويبدو هذا الجزء حتى الآن قوياً متماسكاً، وقد غُطي سقف المسجد كاملاً بالقباب المكسوة بألواح الرصاص، بلغ عددها ١٧٠ قبة، أعلاها القبة الخضراء، ثم قبة المحراب العثماني، ثم قبة باب السلام، وباقي القباب على ارتفاع متقارب، ولبعضها نوافذ مغطاة بالزجاج الملون، وزُيّنت بطون القباب بصور طبيعية ونقوش، وكتابات قرآنية وشعرية. كما كُتبت في جدار المسجد القبلي (الجنوبي) سور من القرآن وأسماء النبي محمد، وغير ذلك بخط الثلث العربي، وذُهّبت الحروف بالذهب، وبُنيت أبوابه بشكل فنّي، وأبواب القسم الجنوبي الباقية حتى الآن هي: باب جبريل، وباب الرحمة، وباب السلام، أما الأبواب الشمالية فقد هُدمت.وقد بلغ مقدار تكلفة هذه العمارة ١٤٠ كيساً من الذهب، وكل كيس كناية عن ٥ ذهبات مجيدية. وقد زاد السلطان عبد المجيد في المسجد كتائبلتعليم القرآن، والمستودعات في الجهة الشمالية، كما زاد في الشرق نحو ٢.٦ متراً من المأذنة الرئيسية (الجنوبية الشرقية) إلى ما يلي باب جبريل، وبلغت مساحة التوسعة الكلية ١٢٩٣ متراً مربعاً.

في عهد الدولة السعودية:

التوسعة السعودية الأولى

في ١٣ ربيع الأول من عام ١٣٧٢ هـ الموافق ١٩٥٢ بدأ العمل بتوسعة المسجد بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود، وبعد أن قاموا بشراء الأراضي وهدمها لتهيئتها للبناء الجديد، بلغت مساحة

المسجد الكلية ١٦٣٢٦ متراً مربعاً تتسع إلى ٢٨,٠٠٠ مصلّ. وقد أقيم مصنعاً للحجر قرب المدينة لغايات الإعمار، وأما بقية المواد فكانت البواخر تحملها إلى ميناء ينبعومن ثم إلى المدينة بواسطة سيارات كبيرة. وقد بلغت حمولة المواد المفرغة في الميناء لغايات الإعمار أكثر من ٣٠,٠٠٠ طن. وقد تم الانتهاء من التوسعة في أوائل سنة ١٣٧٥ هالموافق ١٩٥٥، وبغلت تكلفة هذا المشروع ٥٠ مليون ريالاً سعودياً، وقام الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود بافتتاحه في ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ، الموافق أكتوبر ١٩٥٥.

وهذه التوسعة عبارة عن مبنى مستطيل طوله ١٢٨ متراً بعرض ٩١ متراً، وقد فُتح في الجهة الشرقية باب الملك عبد العزيز، وفي الجهة الغربية باب الملك سعود، وكل منها يتكون من ٣ أبواب متجاورة، أما في الجهة الشمالية، فقد فُتح ٣ أبواب، باب عمر، وباب عثمان، وباب عبد المجيد. وبلغ عدد الأعمدة ٢٣٢ عموداً على رأسها عقودا مدببة. أما السقف فقد قُسّم إلى مربعات بارتفاع ١٢.٥٥ متراً، ويغلب على هذه العمارة اللون الأبيض المطعم بقليل من الأحمر والأسود. أما المآذن، قد كانت للمسجد ٥ مآذن هُدمت منها ٣ مآذن هي التي كانت عند باب الرحمة والمئذنة السليمانية والمجيدية في الجهة الشمالية، وبُنيت مئذنتان في الركن الشرقي والغربي من الجهة الشمالية، وارتفاع كل منها ٧٢ متراً، فأصبح للمسجد ٤ مآذن في أركانه الأربعة.

وبسبب تكاثر أعداد الحجاج، أصدر الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود بتهيئة أماكن للصلاة غربي المسجد، فهُدمت المباني الموجودة في تلك الجهة وتم إقامة مصلى مظلل، بلغت مساحته حوالي ٣٥,٠٠٠ متراً مربعاً، بواقع ٨٠ مظلة. وكان العمل به سنة ١٨٧٣، وبقيت إلى أن أزيلت في التوسعة السعودية الثانية.

التوسعة السعودية الثانية:

البوابات التي أُنشئت أثناء التوسعة السعودية الثاني، تظهر عبارة "أدخلوها بسلام آمنين" فوقها

(المظلات التي تم تركيبها في الصحن الداخلي للمسجد)

(المآذن الجديدة التي أُنشئت)

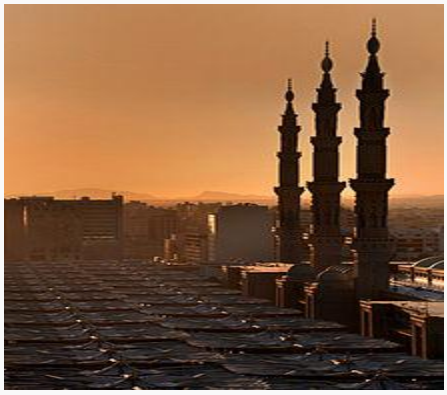

(صورة للمآذن وقت الشروق)

(سقف المسجد النبوي من الداخل)

في شهر محرم من عام ١٤٠٦ هـ الموافق ١٩٨٥، بدأ العمل بأكبر توسعة للمسجد النبوي بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وقد تم الانتهاء منها عام ١٤١٤ هـ الموافق١٩٩٤. وشملت التوسعة الجهات الشرقية والغربية والشمالية للمسجد، وذلك بإضافة مساحة ٨٢,٠٠٠ متراً مربعاً تستوعب حوالي ١٥٠,٠٠٠ مصلّ، وبذلك أصبح المساحة الكلية للمسجد ٩٨,٣٢٦ متراً مربعاً تستوعب ١٧٨,٠٠٠ مصلّ، ويُضاف مساحة السّطح ٦٧,٠٠٠ متراً مربعاً، منها ٥٨,٢٥٠ متراً مربعاً مهيأة للصلاة فيها وتستوعب ٩٠,٠٠٠ مصلّ، فأصبح مجموع المساحة لمهيأة للصلاة ١٥٦,٥٧٦ متراُ مربعاً تستوعب ٢٦٨,٠٠٠ مصلّ. ويُضاف مساحة الساحات المحيطة بالمسجد بمساحة ١٣٥,٠٠٠ متراً مربعاً، منها ١٣٥,٠٠٠ متراً مربعاً مهيأة للصلاة تستوعب ٤٣٠,٠٠٠ مصلّ، هكذا يرتفع مجموع المصلين إلى أكثر من ٦٩٨,٠٠٠ مصلّ.

وقد صُممت الأعمدة والأروقة على نسق التوسعة السعودية الأولى، وغُطّيت الجدران الخارجية بالجرانيت. وتمّ إضافة ٦ مآذن جديدة تتناسق مع المئذنتين في التوسعة السعودية الأولى. وقد زُوّد مبنى التوسعة بعدة أنظمة متطورة، منها أنظمة كاميرات، وأنظمة طاقة كهربائية دائمة واحتياطية، وأنظمة إطفاء حريق، وأنظمة للصرف الصحي. وما يلي تفصيلٌ لهذه الأنظمة والمرافق الجديدة:

- الدور الأرضي: يُعتبر هذا الدّور هو الدور الرئيسي في مبنى التوسعة، وأرضيته مغطاة بالرخام، وارتفاعه ١٢.٥٥ متراً، وبلغ عدد الأعمدة الكلّي ٢١٠٤ عموداً بارتفاعٍ حتى بداية القوس ٥.٦ متراً، وقد كُسيت بالرخام الأبيض المستورد من إيطاليا وإسبانيا.
- في المسجد صحن مستطيل الشكل شمالي البناء المجيدي، فتم مصلّى النساء: تم تخصيص أماكن للنساء في الجهة الشرقية الشمالية بمساحة ١٦,٠٠٠ متراً مربعاً، وآخر في الجهة الغربية الشمالية بمساحة ٨,٠٠٠ متراً مربعاً.
- أبواب المسجد: كان للمسجد قبل هذه التوسعة ١١ باباً، أصبح ٥ منها داخل مبنى التوسعة الجديدة، وهي باب الملك سعود وباب عمر وباب عثمان وباب عبد المجيد وباب الملك عبد العزيز. وصار عدد المداخل الإجمالي ٤١ مدخلاً، بعضها يتكون من باب واحد، وبعضها من بابين ملتصقين و٣ أبواب و٥ أبواب متلاصقة، فيصير العدد الإجمالي ٨٥ باباً. وقد بُنيت هذه المداخل من الخرسانة وكُسيت بالرخام ومن الخارج بالجرانيت، وزُوّدت بأبواب خشبية ضخمة بعرض ٣ أمتار وارتفاع ٦ أمتار، واستُخدم في تجهيز الأبواب الخشب العزيزي المستورد من السويد والمكسوّ بالبرونز، وكُتب في وسط كل باب "محمد ﷺ"، ويعلو كل باب لوحة من الحجر مكتوبٌ عليها آية ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾.[٤٠]
- القِباب المتحركة: تمّ تأمين عدةَ أفنيةٍ مكشوفةٍ للمسجد بهدف التهوية والإنارة الطبيعية، وعددها ٢٧ فناءً بمساحة ٣٢٤ متراً مربعاً لكل منها. وغُطيت بقباب متحركة بارتفاع ٣.٥٥ متراً من منسوب سطح التوسعة، وعلى ارتفاع ١٦.٦٥ متراً من منسوب الدور الأرضي، وبنصف قطر داخلي بلغ ٧.٣٥ متراً. وبلغ وزن الواحدة منها ٨٠ طناً، ويتكون الوجه الداخلي من طبقات الخشب بسمك ٢٠ مم مرصعاً بالأحجار القيّمة داخل إطارات مذهّبة، إذ أنه قد استخدم ٦٧.٥ كلغم من الذهب. ويتم التحكم بالقباب بواسطة جهاز كمبيوتر مركزي يعمل بالطاقة الكهربائية، ويستغرق فتح أو إغلاق القبة حوالي دقيقة واحدة.
- سطح التوسعة: تبلغ مساحة سطح التوسعة حوالي ٦٧,٠٠٠ متراً مربعاً، منها ٥٨,٢٥٠ متراً مربعاً مهيأة للصلاة فيها، وتستوعب ٩٠,٠٠٠ مصلّ.

- المآذن: أُقيمت في مبنى التوسعة ٦ مآذن، ٤ منها موجودة بالأركان الأربعة للتوسعة، ومئذنتان في منتصف الجانب الشمالي، بارتفاع ١٠٣.٨٩ متراً مع الهلال. وتتكون كل مئذنة من ٥ أجزاء:
- مربعة الشكل، وضلعه ٥.٥ متراً، بارتفاع ٢٧ متراً، مغطى بحجر الحرانيت.
- مثمن الشكل، وقطره ٥.٥ متراً، وبارتاع ٢١ متراً، مغطى بالحجر الصّناعي الملوّن.
- أسطواني الشكل، وقطره ٥ أمتار، وبارتفاع ١٨ متراً.
- أسطواني الشكل، وقطره ٤.٥ متراً، وبارتفاع ١٥ متراً.
- مخروطي الشكل، تعلوه قبة وينتهي بهلال برونزي طوله ٦.٧ متراً بوزن ٤.٥ طن مطلي بالذهب عيار ١٤ قيراطاً.
- الحوائط: وتتكون من حائطين بينهما فراغ مرتبطة بأعمدة مسلّحة، وتبلغ سماكة الحائط الداخلي ٣٠ سم، والخارجي ٣٠ سم. وجميع الحوائط والعقود والأسقف مبنية من الخرسانة المسلحة وقد كُسيت من الداخل ببلاطات من الحجر الصناعي.
- الزخارف: تمّ تصميم أعمال الزخرفة بحيث تناسب نظيرتها في التوسعة السعودية الأولى، وتشمل أعمال الزخارف، والكرانيش لتجميل الحوائط، والمآذن وأعمال الحديد المشغول، والأبواب الخشبية المطعمة بالنحاس، وأعمال التكسية بالرخام المزخرف.
- ساحات المسجد: تمّ إحاطة المسجد من الناحية الجنوبية والغربية والشمالية بمساحات بلغت ٢٣٥,٠٠٠ متراً مربعاً، وقد غُطي جزء منها بالرخام الأبيض العاكس للحرارة، والباقي غُطي بالجرانيت، والحجر الصناعي، وتم إضاءتها بوحدات إضاءة مثبتة على ١٥١ عموداً مكسواً بالجرانيت، وأحيطت هذه السّاحات بسور طوله ٢٢٧٠ متراً، وبه بوابات. وتستوعب هذه الساحات حوالي ٤٣٠,٠٠٠ مصلّ. وتضم هذه الساحات مداخل لدورات المياه، والمواضيء، وأماكن الاستراحة للزوّار، وتتصل بمواقف السيارات التي توجد في طابقين تحت الأرض.[٤٠]
- الدور السفلي: تضمنت أعمال التّوسعة إنشاء دور سفلي بمساحة ٨٢,٠٠٠ متراً مربعاً، وبارتفاع ٤.١ متراً، وكُسيت كامل الأرضية بالسيراميك. وصُممت خصيصاً لتستوعب التجهيزات المختلفة من أعمال التكييف، والتهوية، وشبكات المياه والصرف الصحي، وشبكة الإنذار، وإطفاء الحريق، وشبكة مياه الشرب، وأجهزة النحكم بالقباب، وأنظمة الصوت والكاميرات، إلى غير ذلك من الأعمال، ولهذا الدور ٨ مداخل.
- مواقف السيارات: وتقع تحت الساحات المحيطة بالمسجد من الجهة الجنوبية والشمالية والغربية، وتتكون من طابقين تحت سطح الأرض، وتتصل بالطرق الرئيسية بواسطة ٦ مداخل ومخارج للسيارات، وتستوعب حوالي ٤,٤٤٤ سيارة.

- مباني الخدمات العامة: تحتوي المواقف على مباني للخدمات وعددها ١٥ وحدة، كل منها تتكون من ٤ أدوار وتربط المواقف بالسّاحات الخارجية بواسطة سلالم كهربائية، وتشمل هذه الوحدات ٦٩٠ نافورة لشرب المياه، و١٨٩٠ دورة مياه، و٥٦٠٠ وحدة للوضوء.
- متحف نوادر الحجرة الشريفة: كان السّلاطين والأمراء يهدون الحجرة النبوية نوادرَ ثمينةً تُوضع داخلَها، وفي عام ١٩٨١ تم حفظها في الغرفة التي بُنيَت خصيصاً فوق مكتبة المسجد النبوي، ولها مدخل تحت المأذنة السعودية القديمة على يمين الداخل من باب عمر.
- المظلات في صحن المسجد: يوجد نصب ١٢ مظلة لتقي الناس حرارة الشمس وشدّة البرد والمطر، وهذه المظلات عبارة عن شمسيات من القماش الأبيض السميك، تحملها أعمدة حديدية مكسوة بالرخام الأبيض، قابلة للفتح والإغلاق بشكل آلي، وتُظهِر بحال فتحها شكل النوافير المائية، وفي حال إغلاقها تظهر كأنها منارات صغيرة ذات رؤوس مخروطية.
- المقصورة الجنوبية: لقد بُنيت مقصورة في جهة القبلة، وطولها ٨٧.٥ متراً بمساحة ٤٣٧.٥ متراً مربعاً، ولها ٤ أبواب.

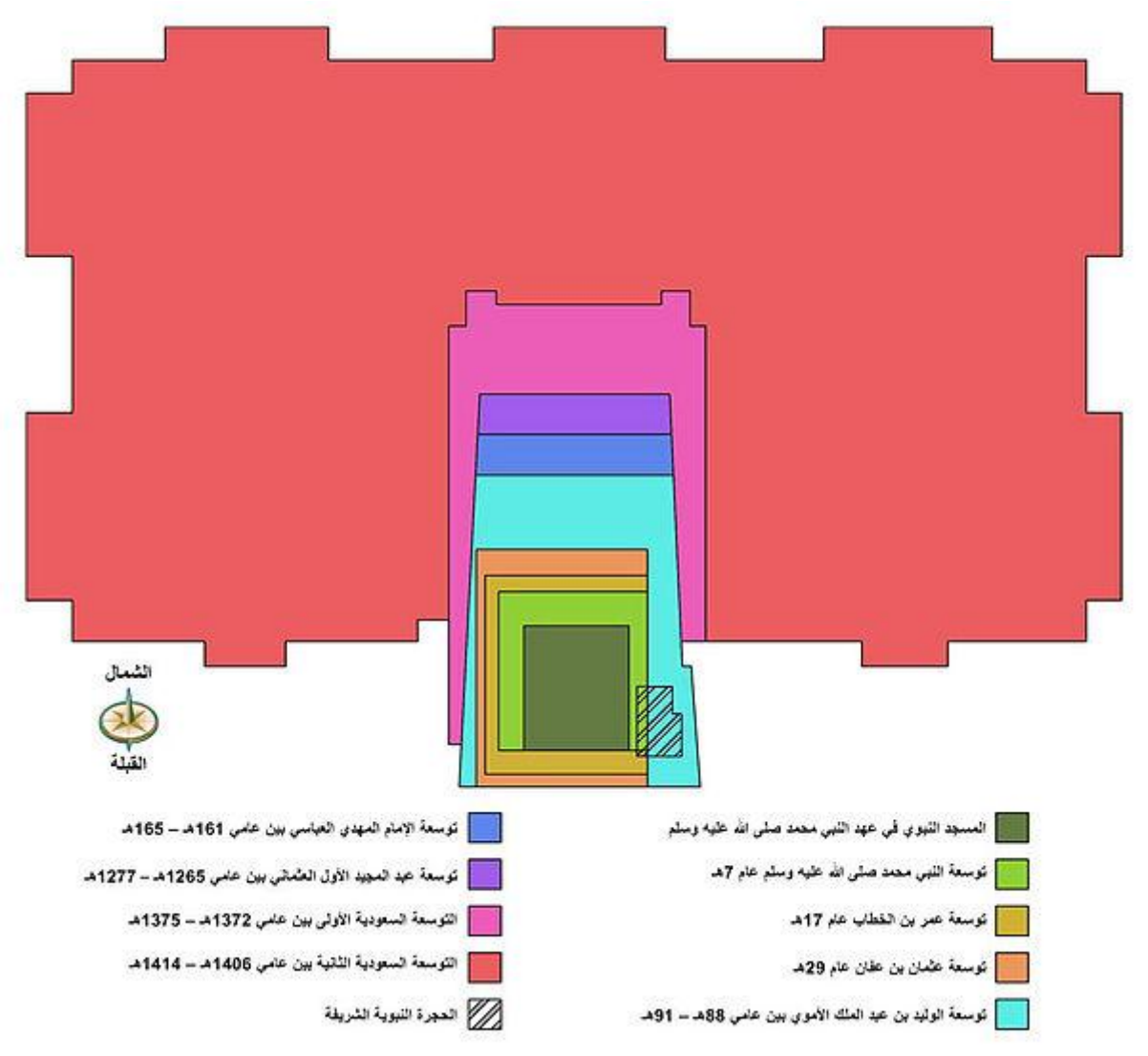

رسم يبيّن التوسعات للمسجد النبوي عبر التاريخ.

التوسعة السعودية الثالثة (قيد التنفيذ)

مقالة مفصلة: مظلات المسجد النبوي

(مشروع مظلات ساحات المسجد النبوي)

بأمر من الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، وفي شهر أغسطس ٢٠١٠ تم الانتهاء من مشروع مظلات ساحات المسجد النبوي، وهو عبارة عن مظلات كهربائية على أعمدة الساحات المحيطة بالمسجد النبوي من الجهات الأربع، وتبلغ مساحتها ١٤٣ ألف متر مربع، بهدف وقاية المصلين من

المطر وحرارة الشمس أثناء الصلاة. وشمل المشروع تصنيع وتركيب ١٨٢ مظلة على أعمدة ساحات المسجد النبوي، بالإضافة إلى ٦٨ مظلة في الساحات الشرقية، ليصبح مجموع المظلات ٢٥٠ مظلة. وبلغت تكلفته ٤.٧ مليار ريال سعودي. وصممت المظلات الجديدة خصيصاً للمسجد النبوي، بحيث تظل كل مظلة نحو ٨٠٠ مصل، وهي بارتفاعين مختلفين، بحيث تعلو الواحدة الأخرى، على شكل مجموعات، لتكون متداخلة فيما بينها، ويبلغ ارتفاع الواحدة ١٤.٤٠ متر، والأخرى ١٥.٣٠ متر، فيما يتساوى ارتفاع جميع المظلات في حالة الإغلاق بارتفاع ٢١.٧٠ متر.

وفي يونيو من عام ٢٠١٢ أمر الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود بالبدء بتنفيذ أكبر توسعة للمسجد النبوي في المدينة المنورة تحت اسم "مشروع الملك عبد الله بن عبد العزيز لتوسعة الحرم النبوي الشريف"، وعلى ثلاث مراحل، تتسع المرحلة الأولى منها لما يتجاوز ٨٠٠ ألف مصل، كما سيتم في المرحلتين الثانية والثالثة توسعة الساحتين الشرقية والغربية للحرم، بحيث تستوعب ٨٠٠ ألف مصل إضافية.[٤٢] وتم البدء بهذا المشروع بعد موسم الحج عام ٢٠١٢، ويبلغ عدد العقارات المتوقع إزالتها لصالح المشروع ١٠٠ عقار تتوزع على الجهتين الشرقية والغربية، ويبلغ إجمالي التعويض عن مساحة تقدر بنحو ١٢.٥ هكتار بنحو ٢٥ مليار ريال سعودي. ووفق خطط المشروع ستجرى تحسينات للساحات العامة والساحة الاجتماعية حول المسجد.

الباب الأول: فضائل الحرمين وأحكامهما.

الفصل الأول: فضائل بلد الله الحرام.

المبحث الأول: الأيات القرأنية الواردة في فضائل مكة.

خلق الله (تعالى) فيما خلق كلا من المكان والزمان , وجعلهما أمرين متواصلين فلا يوجد مكان بلا زمان , ولا زمان بلا مكان , وكما فضل الله (تعالى) بعض الأفراد على بعض فضل بعض الأمكنة على بعض , وفضل بعض الأزمنة على بعض.

فمن البشر فضل الله (تعالى) الأنبياء والمرسلين على بقية خلقه , وبين الأنبياء والمرسلين , فضل بعضهم على بعض , فقال (عز من قائل) :" تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ"(البقرة ٢٥٣).ومن تفضيل الله (تعالى) لبعض الأماكن على بعض : فضل مكة المكرمة , وحرمها الشريف على جميع بقاع الأرض , ثم فضل المدينة المنورة من بعد مكة المكرمة , وفضل بيت المقدس من بعد المدينة المنورة , كما جاء فى أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم).وفى تفضيل بعض الأزمنة على بعض ماجاء من فضل يوم الجمعة على بقية أيام الأسبوع الذى وصفه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بأنه " خير يوم طلعت عليه الشمس " , وفضل شهر رمضان المبارك على بقية أشهر السنة , ومن بعد رمضان يأتى فضل أشهر الحج ومن بعدها بقية الأشهر الحرم , كذلك فضل الله تعالى الليالى العشر الأواخر من رمضات على بقية ليالى السنة وجعل ليلة القدر أفضلها على الإطلاق وجعلها خيرا من ألف شهر ,وفضل الله (تعالى) الأيام العشرة الأوائل من ذى الحجة على بقية أيام السنة ,وجعل أفضلها على الإطلاق يوم عرفة الذى قال المصطفى (صلى الله عليه وسلم) عن الدعاء فيه بأنه :" خير الدعاء يوم عرفة "فإذا اجتمع فضل المكان وفضل الزمان تضاعفت البركات بإذن الله , وكذلك إذا اجتمع فضل زمانين كأن يصادف يوم عرفة يوم الجمعة مثلا, تضاعف الأجر إن شاء الله .ومن هنا كانت فريضة الحج على كل مسلم , عاقل , بالغ , مستطيع ولو مرة واحدة فى العمر كى لا يحرم بركة المكان (مكة المكرمة) والزمان (الأشهر الحرم), وفى ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى) :".....وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...." (ال عمران ٩٧). ويقول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) : " لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام ,والمسجد الأقصى ,ومسجدى هذا.

ومن فضائل مكة المكرمة:

أن الله (تعالى) قد اختارها مكانا لأول بيت وضع للناس فى الأرض فقال (عز من قائل) :" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) " ال عمران ٩٦).

مركزية مكة المكرمة للكون:

وفى ذلك يقول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) :" كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض ". والخشعة أكمة لاطئة بالأرض ,والجمع (خشع) . ويروى عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله :" دحيت الأرض من مكة , فمدها الله تعالى من تحتها فسميت أم القرى "وذكر كل من ابن عباس وابن قتيبة(رضي الله عنهم أجمعين) أن مكة المكرمة سميت باسم " أم القرى "؛ لأن الأرض دحيت من تحتها لكونها أقدم الأرض. ويأتى العلم فى أواخر القرن العشرين ليؤكد لنا أن أرضنا غمرت فى مرحلة من مراحل خلقها غمرا كاملا بالماء ,ثم شاءت إرادة الله (تعالى) أن يصدع قاع هذا المحيط الغامر بعدد من الخسوف الأرضية التى انبثقت منها ثورة بركانية عنيفة ظلت تلقى بملايين الأطنان من حممها فوق قاع هذا المحيط الغامر لتكون سلسلة جبلية فوق ذلك القاع , كانت أول قمة برزت منها فوق الماء هى أول يابسة تعرفها الأرض , وكانت على هيئة جزيرة بركانية صغيرة تشبه العديد من الجزر البركانية التى تملأ محيطات الأرض اليوم من مثل جزر اليابان , والفلبين , وإندونيسيا وهاواى وكانت هذه الجزيرة الأولى هى أرض مكة المكرمة.

وباسنمرار النشاط البركانى نمت الجزيرة البركانية الأولية بالتدريج بواسطة عملية الدحو (أى الإضافة والنمو عن طريق الثورات البركانية المتلاحقة) حتى تكونت اليابسة على هيئة قارة واحدة تعرف باسم " القارة الأم. " ثم شاءت إرادة الله (سبحانه وتعالى)أن يمزق هذه القارة الأم بواسطة شبكة من الصدوع والخسوف الأرضية التى مزقتها إلى القارات السبع المعروفة لنا اليوم والتى استمرت فى الزحف متباعدة عن بعضها البعض حتى وصلت إلى أوضاعها الحالية ,ولاتزال تسحف إلى يومنا هذا وحتى نهاية لايعلمها إلا الله.

وفى كل الحالات ابتداءا من اليابسة وهى قارة واحدة , وبعد تفتتها إلى القارات السبع وبقائها أقرب إلى بعضها البعض من أوضاعها الحالية , وهى فى أوضاعهال الحالية ظلت مكة المكرمة مركزا لليابسة . ولاتزال القارات السبع تتحرك ببطءإلى نهاية لا يعلمها إلا الله محتفظة بوسطية مكة المكرمة.

وفى محاولة علمية جادة لتحديد الاتجاهات الدقيقة للقبلة (أى إلى الكعبة المشرفة) من المدن

الرئيسية فى العالم , وجد الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين – رحمه الله رحمة واسعة – أن مكة المكرمة تتوسط اليابسةبمعنى أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية وزع توزيعا منتظما حول مكة المكرمة , وقد سبق أن أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقول الحق (تبارك وتعالى) مخاطبا خاتم أنبيائه ورسله (صلى الله عليه وسلم) : " وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ" (الأنعام٩٢).

وقوله سبحانه :" وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ "(الشورى ٧) وإذا جمعت هاتان الآيتان الكريمتان مع قول الحق (تبارك وتعالى) مخاطبا خاتم أنبيائه ورسله (صلى الله عليه وسلم) :"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "(سبأ٢٨).

المبحث الثاني: حرمة مكة بلد الله الحرام.

عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية . وإذا استنفرتم فانفروا ، وقال يوم فتح مكة : إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاها ، فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم ، فقال إلا الإذخر .متفق عليهأي : حرمة حزمها (حرسها الله - تعالى -) أي حماها وحفظها من الآفات الحسية والعاهات 2715 .عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة (نصب على الظرفية (لا هجرة) من مكة إلى المدينة مفروضة (بعد الفتح) كما كانت قبله ، بل قيل : إنها كانت ركنا من أركان الإيمان (ولكن جهاد ونية) أي بقي فرض الجهاد والنية الخالصة ، يعني الإخلاص في العمل الشامل للهجرة والجهاد وغيرهما ، وقيل : أي قصد وعزم على إعلاء الدين بالهجرة عن المعاصي قال الطيبي - رحمه الله : كانت الهجرة منمكة إلى المدينة ، فلما فتح مكة انقطعت تلك الهجرة المفروضة ، فلا تنال بالهجرة تلك الدرجة التي حصلت للمهاجرين ، لكن ينال الأجر بالجهاد وإحسان النية ، وأما الهجرة التي تكون لصلاح دين المسلم فإنها باقية مدى الدهر ، وفي الحديث من] ص [1864 :أعلام نبوته وهو إخباره

أن مكةتدوم دار الإسلام ، فلا يتصور منها هجرة في سائر الأيام (وإذا استنفرتم) بصيغة المجهول ، أي إذا طلبتم للنفر وهو الخروج إلى الجهاد ، ووقع في أصل ابن حجر : فإذا استنفرتم . بالفاء مخالفا للأصول المتعمدة فتكلف بقوله مقدرا وإذا وجب الجهاد مع النية الصالحة فإذا استنفرتم (فانفروا) بكسر الفاء أي اخرجوا لقوله - تعالى : انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)وقال يوم فتح مكة(أعاده تأكيدا ، أو إشارة إلى وقوع هذا القول وقتا آخر من ذلك اليوم - والله - تعالى - أعلم (إن هذا البلد) أي مكة يعني حرمها ، أو المراد بالبلد أرضالحرم جميعها (حرمة الله) أي حرم على الناس هتكه وأوجب تعظيمه (يوم خلق السماوات والأرض) أي تحريمه شريعة سالفة ، مستمرة وقيل معناه : إنه كتب الله في اللوح أن إبراهيم سيحرم مكة ، والتحقيق إن إبراهيم أظهر حرمتها ، وحدد بقعتها ، ورفع كعبتها ، بعدما اندرست بسبب الطوفان الذي هدم بناء آدم وبين حدود الحرم) فهو) أن البلد (حرام) أي محرم محترم (بحرمة الله) أي بتحريمه - تعالى - (إلى يوم القيامة) إيماء إلى عدم نسخه (وإنه) أي الشأن (لن يحل) أي لم يحل (القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل) أي القتال لي (إلا ساعة من نهار) دل على أن فتح مكةكان عنوة وقهرا كما هو عندنا ، أي أحل لي ساعة إراقة الدم دون الصيد وقطع الشجر (فهو) أي البلد (حرام) أي على كل أحد بعد تلك الساعة (بحرمة الله) أي المؤبدة (إلى يوم القيامة) أي النفخة الأولى (لا يعضد) أي لا يقطع (شوكه) أي ولو يحصل التأذي به وأما قول بعض الشافعية - رحمهم الله - أنه يجوز قطع الشوك المؤذي فمخالف لإطلاق النص ، ولذا جرى جمع من متأخريهم على حرمة قطعه مطلقا ، وصححه النووي - رحمه الله - في شرح مسلم ، واختاره في عدة كتبه ، وأما قول الخطاب : كل أهل العلم على إباحة قطع الشوك ويشبه أن يكون المحظور منه الشوك الذي يرعاه الإبل وهو ما دق دون الصلب الذي لا ترعاه فإنه يكون بمنزلة الحطب ، فلعله أراد بأهل العلم علماء المالكية - رحمهم الله - (ولا ينفر) بتشديد الفاء المفتوحة (صيده) أي لا يتعرض له بالاصطياد والإيحاش والإيهاج (ولا يلتقط) بصيغة المجهول (لقطه) بضم اللام وفتح القاف ، أي لا تؤخذ ساقطته (إلا من عرفها) بالتشديد ، والاستثناء منقطع ، وفي نسخة بصيغة المعلوم وهو ظاهر ، إذا التقدير لا يلتقطها أحد إلا من عرفها ليرده على صاحبها ولم يأخذها لنفسه وانتفاعها ، قيل : أي ليس في لقطة الحرم إلا التعريف فلا يتملكها أحد ولا يتصدق بها ، وعليه الشافعي ، وقيل : حكمها كحكم غيرها ، والمقصود من ذكرها أن لا يتوهم تخصيص تعريفها بأيام الموسم وعليه أبو حنيفة ومن

تبعه (ولا يختلى) بصيغة المجهول (خلاها) . بفتح الخاء مقصورا ، أي : لا يقتطع نباتها وحشيشها . قال بعض أئمتنا : الخلا مقصورا الرطب من النبات ، كما أن الحشيش هو اليابس منها ، ولا فرق بين الرطب واليابس في حرمة القطع وعليه الأكثرون . اهـ . وهذا خلاف المشهور من المذهب . قال الشمني بعد قوله : وكذا إن ذبح الحلال صيد الحرم أي لزمه قيمته ويهدي بها أو يطعم ولا يجزئه الصوم ، أو قطع حشيشة أو شجرة إلا مملوكا ; أي : للقاطع أو منبتا أو جافا ; أي : يابسا.فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر) بالنصب في أكثر النسخ ، وفي بعضها بالرفع وهو تلقين والتماس ; أي : قل إلا الإذخر بكسر الهمزة والخاء المعجمة بينهما ذال معجمة ساكنة ، وهو نبت عريض الأوراق (فإنه) : أي : الإذخر نافع ومحتاج إليه (لقينهم) : القين الحداد ، وكذا الصياغ فإنهم يحرقونه بدل الحطب والفحم . (ولبيوتهم) أي لسقفها وكذا لسقف قبورهم ، والمعنى لبيوتهم حال حياتهم ومماتهم ، (فقال : " إلا الإذخر " (متفق عليه1865)

المبحث الثالث:دعوة إبراهيم عليهالسلام لمكة وأهلها.

(واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من أمن منهم بالله اليوم الآخر) (الاية\ ١٢٦)

إن سيدنا ابراهيم عليه السلام دعا ربه سبحانه وتعالى ان يجعل مكة المكرمة بلدا امنا يسوده الامان والاطمئنان والراحة النفسية ودعى ربه لاهل هذا البلد بالرزق الحلال ومن كل الثمرات فاستجاب الله تعالى دعاءهفمن امن على نفسه وماله وعرضه فقد انعم الله عليه فهو في عيشة راضية وهذه مكة المكرمة منذ الاف السنين وحتى هذه اللحظة من دخلها كان امنا يملأ الله تعالى قلبه امنا وامانا وايمانا ببركة دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام وسخر لها من يحمل لها رزقها من كل الثمرات التي في الارض من كل اصقاع العالم شرقا وغربا شمالا وجنوبا وبالفعل فقد دخلناها فامتلات قلوبنا ونفوسنا بنعمة الأمن والإيمان ولاحظنا أسواقها عامرة فيها من كل الثمرات وأنواع الفاكهة في موعد جناها والتي في غير موعدها وانك لتشعر وانت داخل مكة المكرمة بالرضا من الله تعالى وسعة في الصدر وانشراح في القلب وراحة في النفس وانت تسير في شوارعها حتى اذا دخلت المسجد الحرام دخلت بنعمة الله اعتراك شذى الايمان ليفتح قلبك كالزهرة يشع منها الاريج

ويعلوها شذى يهب عليك من كل اعطاف الكعبة المشرفة ومن كل ركن من اركانها ببركة دعاء سيدنا ابراهيم الخليل الذي استجاب ربه لدعائه انه هو السميع البصير

واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب الحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم(

البقرة الايات\ ١٢٧ و١٢٨ و١٢٩).

عندما كان ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام يبنيان الكعبة المشرفه ويرفعان قواعدها قواعد بيت الله الحرام كانا يدعوان الله تعالى ان يتقبل منهما هذا العمل والجهد الذي عملاه لجلال فضله وعظمته وانه سميع لدعائهما عليم بما عملاه إن الله تعالى ابتلى إبراهيم عليه السلام مرات عديدة الأول عند قيامه بتحطيم الاصنام فأمر الملك النمرود في بابل العراق وما حولها أن يحرقه بالنار فأخرجه الله تعالى من وسطها سالما.

والثاني عندما حاجه النمرود فقال له ابراهيم عليه السلام ان الله يحي ويميت فقال النمرود وانا احي واميت ايضا فقال له ابراهيم عليه السلام فان الله ياتي بالشمس من المشرق فاءت بها من المغرب (فبهت الذي كفر) النمرود وانكسرت عظمته إمام جماهير مملكته.

الثالث عندما تزوج هاجر وانجبت له اسماعيل عليه السلام - في قصة طويلة – أمره ربه ان يسكنهما فى مكان قفر لاماء ولاشجر ولا طعام فيه فاسكنهما في مكة المكرمة وتركهما راجعا الى فلسطين حيث تسكن زوجه الاولى ساره التي انجبت له بعد ذلك ابنه الثاني اسحاق عليه السلام ا بتلاه ربه بترك ولده اسماعيل مع والدته في مثل هذا المكان فانعم الله عليهما بزمزم بعد العطش الشديد المفضي الى الهلاك في العطش والجوع الحاد المفضي الى الموت والركض بين الصفا والمروة للبحث عن الماء من قبل زوجته فكان ماء زمزم هو الماء والغذاء ولايزال ماء وغذاء لحد الان ويستطيع الانسان ان يعيش به من غير طعام

الرابع ابتلاه في ذبح ولده اسماعيل ولا يوجد في الارض من يذبح ولده لمجرد رؤ يا في المنام ولكن ابراهيم صدق الرؤيا وهو بذبح ابنه اسماعيل وعند البدء بالذبح انزل الله تعالى كبشا من السماء فذبحه ابراهيم اضحية عن ابنه اسماعيل عليهما السلام ولهذا سنت الاضاحي على الناس في عيد الاضحى المبارك

لما شب إسماعيل امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت الحرام فتعاون ابراهيم وولده اسماعيل على بنائها وفي الايات اعلاه دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان البيت الحرام الذي جعله الله للناس مثابة وامنافاستجاب الله لدعائهما فجعلهما مسلمين له ورسلا وانبياء-

واتخذالله ابراهيم خليلا)- وبارك لهما في هذه الذرية الطيبة فجعل منها امة الاسلام والتوحيد وتاب عليهما وعرفهما مناسك الحج والعمرة والعبادة وتاب عليهما ورحمهما انه هو التواب الرحيم وفي الاية دعاء اخر هو ان يبعث الله في ذريتهما نبيا ورسولا منهم اي من ذريه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فكان الحبيب المصطفى محمد عليه افضل الصلاه والسلام وقد جاء في الحديث الشريف (انا دعوة ابي ابراهيم) فهو النبي العربي من ذرية اسماعيل وابراهيم عليهم السلام ارسله الله تعالى في الامة العربية ومنها اليهم والى الناس جميعا لهدايتهم لعبادة الله تعالى والاخلاص في العبادة

ولو عدنا الى الايات الشريفة لاحظنا فيها القول – (ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)- سميع الدعاء عليم بذات النفوس والقلوب فالسميع والعليم من الاسماء الحسنوفى الاية الاخرى –(انك انت التواب الرحيم) تواب عليهم غفار لذنوبهم رحيم بهم وفي الاية الاخرى- (انك انت العزيز الحكيم).

قوي غالب بعزته وقدرته وقوته المتعالية حكيم في معرفته امور عباده وتسييسها وخلائقه في حياتهم ووممااتهم اعمالهم واحتياجاتهم في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم وكل هذه الاسماء من اسماء الله الحسنى وصفاته العلى لذا فالدعاء المستجاب من شرائط اسيتجا بته ان يكون الدعاء باسماء الله الحسنى والاستغاثة فيها به والاعتقاد الجازم باستجابته تعالى لمن د عاه والله اعلم.

المبحث الرابع: أحب البلاد إلى الله.

روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: وعك أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله * * * والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * * * بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * * * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقال: اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء. ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة، قال: وقدمنا المدينة، وهي أوبأ أرض الله. قال: فكان بطحان يجري نجلا، يعني ماء آجنا. وعن ابن عباس - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لمكة: (ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني ما سكنت غيرك) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إن مكة هي احب بلاد الله إلى الله. " الاكتشاف العلمي الجديد الذي كان يشغل العلماء ، و الذي أعلن في يناير ١٩٧٧ يقول : إن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في العالم ، و هذه الحقيقة الجديدة استغرقت سنوات عديدة من البحث العلمي للوصول إليها ، و اعتمدت على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة استعان فيها العلماء بالحاسب الآلي.

و يروي العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين قصة الاكتشاف الغريب فيذكر : أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلفاً تماماً ، حيث كان يجري بحثاً ليعدّ وسيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم ، على معرفة و تحديد مكان القبلة ، لأنه شعر في رحلاته العديدة للخارج أن هذه هي مشكلة كل مسلم عندما يكون في مكان ليست فيه مساجد تحدد مكان القبلة ، أو يكون في بلاد غريبة ، كما يحدث لمئات الآلاف من طلاب البعثات في الخارج ، لذلك فكر الدكتور حسين كمال الدين في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها.

و بعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة ، و رسم عليها القارات الخمس ، ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته ... فقد وجد العالم المصري أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم ... و أمسك بيده " برجلاً " وضع طرفه على مدينة مكة ، و مر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعاً منتظماً ... و وجد مكة المكرمة _ في هذه الحالة _ هي مركز الأرض اليابسة .
و أعد خريطة العالم القديم _ قبل اكتشاف أمريكا و أستراليا _ و كرر المحاولة فإذا به يكتشف أن مكة المكرمة هي أيضاً مركز الأرض اليابسة ، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام . [" مكة المكرمة مركز العالم " : د . حسين كمال الدين (مجلة العلم و الإيمان في عددها رقم ٢٠ عام ١٩٧٧ بتصرف.

و يضيف العالم الدكتور حسين كمال الدين : لقد بدأت بحثي برسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض عن مدينة مكة المكرمة ، ثم وصلت بين خطوط الطول المتساوية لأعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول و خطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة المكرمة ، و بعد ذلك رسمت حدود القارات ، و باقي التفاصيل على هذه الشبكة من الخطوط و احتاج الأمر إلى إجراء عدد من المحاولات و العمليات المعقدة ، بالاستعانة بالحاسب الآلي _ الكومبيوتر _ لتحديد المسافات و الانحرافات المطلوبة ، و كذلك احتاج الأمر إلى برنامج للحاسب الآلي لرسم خطوط الطول و خطوط العرض ، لهذا الإسقاط الجديد و بالصدفة [من الأفضل عقائدياً أن يقال قدراً و لكننا أوردنا كلمة " بالصدفة " للمحافظة على سياق قوله] وحدها اكتشفت أنني أستطيع أن أرسم دائرة يكون مركزها مدينة مكة المكرمة و حدودها خارج القارات الست ، و يكون محيط هذه الدائرة يدور مع حدود القارات الخارجية . [" مكة المكرمة مركز العالم " : د . حسين كمال الدين (مجلة العلم و الإيمان في عددها رقم ٢٠ عام ١٩٧٧ بتصرف) مكة إذن _ بتقدير الله _ هي قلب الأرض ، و هو بعض ما عبر عنه العلم في اكتشاف العلماء بأنه مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي ، يوائمه ظاهرة عجيبة قد تذوقها كل من زار مكة حاجّاً أو معتمراً بقلب منيب ، فهو يحس أنه ينجذب فطرياً إلى كل ما فيها ... أرضها ... جبالها ... و كل ركن فيها ... حتى ليكاد لو استطاع أن يذوب في كيانها مندمجاً بقلبه و قالبه ... و هذا إحساس مستمر منذ بدء الوجود الأرضي.
و الأرض شأنها شأن أي كوكب آخر تتبادل مع الكواكب و النجوم قوة جذب تصدر من باطنها ... و

هذا الباطن يتركز في مركز لها يصدر منه ما يمكن أن نسميه إشعاعاً ... و نقطة الالتقاء الباطنية هي التي توصل إليها عالم أمريكي في علم الطوبوغرافيا بتحقيق وجودها و موقعها جغرافياً ، و هو غير مدفوع لذلك بعقيدة دينية، فقد قام في معمله بنشاط كبير مواصلاً ليله بنهاره و أمامه خرائط الأرض و غيرها من آلات و أدوات فإذا به يكتشف _ عن غير قصد _ أن مركز تلاقي الإشعاعات الكونية هو مكة المكرمة . [" مكة و المركز المغناطيسي للأرض " : محمد البوهي (بتصرف [(

و من هنا تظهر حكمة الحديث الشريف المبنية على قول الله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} (سورة الشورى : الآية ٧) و من ثم يمكن التعرف على الحكمة الإلهية في اختيار مكة بالذات ليكون فيها بيت الله الحرام ، و اختيار مكة بالذات لتكون نواة انشر رسالة الإسلام للعالم كله ... و في ذلك من الإعجاز العلمي في الحديث الذي أظهر أفضلية مكانها عن سائر بقاع الأرض.

الفصل الثاني: أحكام بلد الله الحرام.

المبحث الأول: القتال وسفك الدماء بمكة.

عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم افتتح مكة لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا فإن هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والأرض وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها قال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم قال إلا الإذخر

قوله : (باب لا يحل القتال بمكة (هكذا ترجم بلفظ : القتال ، وهو الواقع في حديث الباب ، ووقع عند مسلم في رواية كذلك ، وفي أخرى بلفظ : القتل بدل القتال ، وللعلماء في كل منهما اختلاف سنذكره .

قوله : (وقال أبو شريح إلخ (تقدم موصولا قبل باب ، ووجه الاستدلال به لتحريم القتال من جهة أن القتال يفضي إلى القتل ، فقد ورد تحريم سفك الدم بها بلفظ النكرة في سياق النفي فيعم .

قوله : (عن مجاهد ، عن طاوس (كذا رواه منصور موصولا ، وخالفه الأعمش فرواه عن مجاهد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلا ، أخرجهسعيد بن منصور ، عن أبي معاوية عنه ، وأخرجه أيضا عن سفيان ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد مرسلا ، ومنصور ثقة حافظ ، فالحكم لوصله.

قوله : (يوم افتتح مكة (هو ظرف للقول المذكور . قوله : (لا هجرة (أي : بعد الفتح ، وأفصح بذلك في رواية علي بن المديني ، عن جرير في كتاب الجهاد

قوله : (ولكن جهاد ونية (المعنى أن وجوب الهجرة من مكة انقطع بفتحها إذ صارت دار إسلام ، ولكن بقي وجوب الجهاد على حاله عند الاحتياج إليه ، وفسره بقوله : (فإذا استنفرتم فانفروا) أي : إذا دعيتم إلى الغزو فأجيبوا . قال الطيبي : قوله : " ولكن جهاد " عطف على مدخول " لا هجرة " أي : الهجرة إما فرارا من الكفار ، وإما إلى الجهاد ، وإما إلى نحو طلب العلم ، وقد

انقطعت الأولى فاغتنموا الأخيرتين ، وتضمن الحديث بشارة من النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن مكة تستمر دار إسلام ، وسيأتي البحث في ذلك مستوفى في كتاب الجهاد إن شاء الله تعالى.

قوله : (فإن هذا بلد حرم (الفاء جواب شرط محذوف تقديره : إذا علمتم ذلك فاعلموا أن هذا بلد حرام ، وكأن وجه المناسبة أنه لما كان نصب القتال عليه حراما كان التنفير يقع منه لا إليه ، ولما روى مسلم هذا الحديث عن إسحاق ، عن جرير فصل الكلام الأول من الثاني بقوله : وقال يوم الفتح إن الله حرم . . . إلخ ، فجعله حديثا آخر مستقلا ، وهو مقتضى صنيع من اقتصر على الكلام الأول كعلي بن المديني ، عن جرير كما سيأتي في الجهاد.

قوله : (حرمه الله) سبق مشروحا في حديث أبي شريح ، ووقع في رواية غير الكشميهني : حرم الله بحذف الهاء.

قوله : (وهو حرام بحرمة الله (أي : بتحريمه ، وقيل : الحرمة الحق أي : حرام بالحق المانع من تحليله ، واستدل به على تحريم القتل والقتال بالحرم ، فأما القتل فنقل بعضهم الاتفاق على جواز إقامة حد القتل فيها على من أوقعه فيها ، وخص الخلاف بمن قتل في الحل ثم لجأ إلى الحرم ، وممن نقل الإجماع على ذلك ابن الجوزي ، واحتج بعضهم بقتل ابن خطل بها ، ولا حجة فيه ؛ لأن ذلك كان في الوقت الذي أحلت فيه للنبي - صلى الله عليه وسلم - كما تقدم ، وزعم ابن حزم أن مقتضى قول ابن عمر وابن عباس وغيرهما أنه لا يجوز القتل فيها مطلقا ، ونقل التفصيل عن مجاهدوعطاء .وقال أبو حنيفة : لا يقتل في الحرم حتى يخرج إلى الحل باختياره ، لكن لا يجالس ولا يكلم ، ويوعظ ويذكر حتى يخرج . وقال أبو يوسف: يخرج مضطرا إلى الحل ، وفعله ابن الزبير ، وروى ابن أبي شيبة من طريق طاوس عن ابن عباس " : من أصاب حدا ثم دخل الحرم لم يجالس ولم يبايع " وعن مالك والشافعي :يجوز إقامة الحد مطلقا فيها ؛ لأن العاصي هتك] ص [58 :حرمة نفسه فأبطل ما جعل الله له من الأمن ، وأما القتال فقال الماوردي :من خصائص مكة أن لا يحارب أهلها ، فلو بغوا على أهل العدل فإن أمكن ردهم بغير قتال لم يجز ، وإن لم يمكن إلا بالقتال فقال الجمهور : يقاتلون ؛ لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى فلا يجوز إضاعتها . وقال آخرون : لا يجوز قتالهم ، بل يضيق عليهم إلى أن يرجعوا إلى الطاعة.

قال النووي : والأول نص عليه الشافعي ، وأجاب أصحابه عن الحديث بحمله على تحريم نصب القتال بما يعم أذاه كالمنجنيق ، بخلاف ما لو تحصن الكفار في بلد فإنه يجوز قتالهم على كل وجه . وعن الشافعي قول آخر بالتحريم اختاره القفال وجزم به في " شرح التلخيص " وقال به جماعة من علماء الشافعية والمالكية . قال الطبري : من أتى حدا في الحل واستجار بالحرم فللإمام إلجاؤه إلى الخروج منه ، وليس للإمام أن ينصب عليه الحرب بل يحاصره ويضيق عليه حتى يذعن للطاعة ، لقوله - صلى الله عليه وسلم : - وإنما أحلت لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فعلم أنها لا تحل لأحد بعده بالمعنى الذي حلت له به وهو محاربة أهلها والقتل فيها . ومال ابن العربي إلى هذا ، وقال ابن المنير : قد أكد النبي التحريم بقوله : حرمه الله ، ثم قال : فهو حرام بحرمة الله ، ثم قال : ولم تحل لي إلا ساعة من نهار وكان إذا أراد التأكيد ذكر الشيء ثلاثا . قال : فهذا نص لا يحتمل التأويل . وقال القرطبي : ظاهر الحديث يقتضي تخصيصه - صلى الله عليه وسلم - بالقتال ؛ لاعتذاره عما أبيح له من ذلك ، مع أن أهل مكة كانوا إذ ذاك مستحقين للقتال والقتل ؛ لصدهم عن المسجد الحرام وإخراجهم أهله منه وكفرهم ، وهذا الذي فهمه أبو شريح كما تقدم ، وقال به غير واحد من أهل العلم.

وقال ابن دقيق العيد : يتأكد القول بالتحريم بأن الحديث دال على أن المأذون للنبي - صلى الله عليه وسلم - فيه لم يؤذن لغيره فيه ، والذي وقع له إنما هو مطلق القتال لا القتال الخاص بما يعم كالمنجنيق ، فكيف يسوغ التأويل المذكور؟ وأيضا فسياق الحديث يدل على أن التحريم لإظهار حرمة البقعة بتحريم سفك الدماء فيها ، وذلك لا يختص بما يستأصل ، واستدل به على اشتراط الإحرام على من دخل الحرم . قال القرطبي : معنى قوله : " حرمه الله " أي : يحرم على غير المحرم دخوله حتى يحرم ، ويجري هذا مجرى قوله تعالى : حرمت عليكم أمهاتكم أي : وطؤهن ، و حرمت عليكم الميتة أي : أكلها ، فعرف الاستعمال يدل على تعيين المحذوف . قال : وقد دل على صحة هذا المعنى اعتذاره عن دخوله مكة غير محرم مقاتلا بقوله : " لم تحل لي إلا ساعة من نهار " الحديث . قال : وبهذا أخذ مالك والشافعي في أحد قوليهما ، ومن تبعهما في ذلك ، فقالوا : لا يجوز لأحد أن يدخل مكة إلا محرما ، إلا إذا كان ممن يكثر التكرار . قلت : وسيأتي بسط القول في ذلك بعد سبعة أبواب.

قوله : (وأنه لا يحل القتال) الهاء في " أنه " ضمير الشأن ، ووقع في رواية الكشميهني " : لم يحل " بلفظ : " لم " بدل " لا " وهي أشبه لقوله : " قبلي "

قوله : (لا يعضد شوكه (تقدم البحث فيه في حديث أبي شريح .
قوله : (ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها (سيأتي البحث فيه في كتاب اللقطة ، إن شاء الله تعالى .
قوله : (ولا يختلى خلاها (بالخاء المعجمة ، والخلا مقصور ، وذكر ابن التين أنه وقع في رواية القابسي بالمد ، وهو الرطب من النبات ، واختلاؤه قطعه واحتشاشه ، واستدل به على تحريم رعيه لكونه أشد] ص [59 :من الاحتشاش ، وبه قال مالك والكوفيون واختاره الطبري . وقال الشافعي :لا بأس بالرعي لمصلحة البهائم وهو عمل الناس ، بخلاف الاحتشاش فإنه المنهي عنه ، فلا يتعدى ذلك إلى غيره . وفي تخصيص التحريم بالرطب إشارة إلى جواز رعي اليابس واختلائه ، وهو أصح الوجهين للشافعية ؛ لأن النبت اليابس كالصيد الميت . قال ابن قدامة : لكن في استثناء الإذخر إشارة إلى تحريم اليابس من الحشيش ، ويدل عليه أن في بعض طرق حديث أبي هريرة :ولا يحتش حشيشها قال : وأجمعوا على إباحة أخذ ما استنبته الناس في الحرم من بقل وزرع ومشموم فلا بأس برعيه واختلائه.

قوله : (فقال العباس (أي : ابن عبد المطلب كما وقع مبينا في المغازي من وجه آخر .
قوله : (إلا الإذخر (يجوز فيه الرفع والنصب ، أما الرفع فعلى البدل مما قبله ، وأما النصب فلكونه استثناء واقعا بعد النفي . وقال ابن مالك: المختار النصب لكون الاستثناء وقع متراخيا عن المستثنى منه ، فبعدت المشاكلة بالبدلية ، ولكون الاستثناء أيضا عرض في آخر الكلام ولم يكن مقصودا . والإذخر: نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح له أصل مندفن وقضبان دقاق ، ينبت في السهل والحزن ، وبالمغرب صنف منه فيما قالهابن البيطار ، قال : والذي بمكة أجوده ، وأهل مكة يسقفون به البيوت بين الخشب ويسدون به الخلل بين اللبنات في القبور ويستعملونه بدلا من الحلفاء في الوقود ، ولهذا قال العباس" :فإنه لقينهم " وهو بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون ، أي : الحداد . وقال الطبري: القين عند العرب كل ذي صناعة يعالجها بنفسه ، ووقع في رواية المغازي : " فإنه لا بد منه للقين والبيوت "وفي الرواية التي في الباب قبله : " فإنه لصاغتنا وقبورنا " ووقع في مرسل مجاهد عند عمر بن شبة الجمع بين الثلاثة ، ووقع عنده

أيضا " : فقال العباس : يا رسول الله ، إن أهل مكة لا صبر لهم عن الإذخر لقينهم وبيوتهم "وهذا يدل على أن الاستثناء في حديث الباب لم يرد به أن يستثني هو ، وإنما أراد به أن يلقن النبي - صلى الله عليه وسلم - الاستثناء ، وقوله : - صلى الله عليه وسلم - في جوابه : " إلا الإذخر " هو استثناء بعض من كل لدخول الإذخر في عموم ما يختلى.

واستدل به على جواز النسخ قبل الفعل وليس بواضح ، وعلى جواز الفصل بين المستثنى والمستثنى منه ، ومذهب الجمهور اشتراط الاتصال إما لفظا وإما حكما ؛ لجواز الفصل بالتنفس مثلا ، وقد اشتهر عن ابن عباس الجواز مطلقا ، ويمكن أن يحتج له بظاهر هذه القصة . وأجابوا عن ذلك بأن هذا الاستثناء في حكم المتصل لاحتمال أن يكون - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يقول : " إلا الإذخر " فشغله العباس بكلامه ، فوصل كلامه بكلام نفسه فقال : إلا الإذخر ، وقد قال ابن مالك : يجوز الفصل مع إضمار الاستثناء متصلا بالمستثنى منه ، واختلفوا : هل كان قوله - صلى الله عليه وسلم" : - إلا الإذخر " باجتهاد أو وحي؟ وقيل : كأن الله فوض له الحكم في هذه المسألة مطلقا ، وقيل : أوحى إليه قبل ذلك أنه إن طلب أحد استثناء شيء من ذلك فأجب سؤاله.

وقال الطبري : ساغ للعباس أن يستثني الإذخر ؛ لأنه احتمل عنده أن يكون المراد بتحريم مكة تحريم القتال دون ما ذكر من تحريم الاختلاء ، فإنه من تحريم الرسول باجتهاده ، فساغ له أن يسأله استثناء الإذخر ، وهذا مبني على أن الرسول كان له أن يجتهد في الأحكام ، وليس ما قاله بلازم بل في تقريره - صلى الله عليه وسلم - للعباس على ذلك دليل على جواز تخصيص العام ، وحكى ابن بطال عن المهلب أن الاستثناء هنا للضرورة كتحليل أكل الميتة عند الضرورة ، وقد بين العباس ذلك بأن الإذخر لا غنى لأهل] ص [60 :مكة عنه . وتعقبه ابن المنير بأن الذي يباح للضرورة يشترط حصولها فيه ، فلو كان الإذخر مثل الميتة لامتنع استعماله إلا فيمن تحققت ضرورته إليه ، والإجماع على أنه مباح مطلقا بغير قيد الضرورة . انتهى.

ويحتمل أن يكون مراد المهلب بأن أصل إباحته كانت للضرورة وسببها ، لا أنه يريد أنه مقيد بها . قال ابن المنير : والحق أن سؤال العباس كان على معنى الضراعة ، وترخيص النبي - صلى الله عليه وسلم - كان تبليغا عن الله إما بطريق الإلهام أو بطريق الوحي ، ومن ادعى أن نزول الوحي يحتاج إلى أمد متسع فقد وهم ، وفي الحديث بيان خصوصية النبي - صلى الله عليه وسلم - بما ذكر في

الحديث ، وجواز مراجعة العالم في المصالح الشرعية، والمبادرة إلى ذلك في المجامع والمشاهد ، وعظيم منزلة العباس عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وعنايته بأمر مكة لكونه كان بها أصله ومنشؤه ، وفيه رفع وجوب الهجرة عن مكة إلى المدينة ، وإبقاء حكمها من بلاد الكفر إلى يوم القيامة ، وأن الجهاد يشترط أن يقصد به الإخلاص ووجوب النفير مع الأئمة .

المبحث الثاني: دخول الكفار والمشركين مكة.

منع دخول الكفار إلى الحرم خاص بمكة، أما المدينة فإنها وإن كانت حرما فإنه يجوز دخول الكفار إليها؛ لكن لا يمكنون من الإقامة بها لأنها من ضمن جزيرة العرب التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإخراج المشركين منها.

فإن منع دخول الكفار إلى الحرم خاص بمكة، أما المدينة فإنها وإن كانت حرما فإنه يجوز دخول الكفار إليها؛ لكن لا يمكنون من الإقامة بها لأنها من ضمن جزيرة العرب التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإخراج المشركين منها بقوله صلى الله عليه وسلم: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب. رواه البخاري ومسلم وغيرهما. قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {التوبة:٢٨} فلا يقربوا: نهي، ولذلك حذفت منه النون. المسجد الحرام هذا اللفظ يطلق على جميع الحرم، وهو مذهب عطاء، فإذاً يحرم تمكين المشرك من دخول الحرم أجمع. فإذا جاءنا رسول منهم خرج الإمام إلى الحل ليسمع ما يقول. ولو دخل مشرك الحرم مستوراً ومات نبش قبره وأخرجت عظامه. فليس لهم الاستيطان ولا الاجتياز. وأما جزيرة العرب، وهي مكة والمدينة واليمامة واليمن ومخاليفها، فقال مالك: يخرج من هذه المواضع كل من كان على غير الإسلام، ولا يمنعون من التردد بها مسافرين. وكذلك قال الشافعي رحمه الله، غير أنه استثنى من ذلك اليمن. ويضرب لهم أجل ثلاثة أيام كما ضربه لهم عمر رضي الله عنه حين أجلاهم. ولا يدفنون فيها ويلجؤون إلى الحل. انتهى.

وفي الموسوعة الفقهية ما نصه: اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز لغير المسلم السكنى والإقامة في الحرم؛ لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا، والمراد بالمسجد الحرام الحرم بدليل قوله سبحانه وتعالى بعده: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، أي إن خفتم فقرا وضررا بمنعهم من الحرم وانقطاع ما كان يحصل لكم بما يجلبونه إليكم من المكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله، ومعلوم أن الجلب إنما يجلب إلى البلد والحرم، لا إلى المسجد نفسه. والمعنى في ذلك أنهم أخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم منه،

فعوقبوا بالمنع من دخوله بكل حال. ... واختلفوا في اجتياز الكافر الحرم بصفة مؤقتة، فذهب الشافعية والحنابلة وهو قول عند المالكية: إلى منع دخول الكفار إلى الحرم مطلقا، لعموم الآية. فإن أراد كافر الدخول إلى الحرم منع منه. فإن كانت معه ميرة أو تجارة خرج إليه من يشتري منه ولم يترك هو يدخل. وإن كان رسولا إلى إمام بالحرم خرج إليه من يسمع رسالته ويبلغها إياه. فإن قال: لا بد لي من لقاء الإمام وكانت المصلحة في ذلك خرج إليه الإمام، ولم يأذن له بالدخول. وإذا أراد مشرك دخول الحرم ليسلم فيه منع منه حتى يسلم قبله. قال الشافعية والحنابلة: وإذا دخل المشرك الحرم بغير إذن عزر ولم يستبح به قتله، وإن دخله بإذن لم يعزر وينكر على من أذن له.

المبحث الثالث: الصيد وقطع الشجر في الحرم.

يحرم على المحرم والحلال صيد الحرم، وتنفيره، وقطع شجره الذي لم يستنبته الآدميون في العادة، وقطع الرطب من النبات، حتى الشوك إلا الإذخر والسنا، فإنه يباح التعرض لهما بالقطع، والقلع، والإتلاف، ونحو ذلك؛ لما رواه البخاري، عن ابن عباس _ رضي اللّه عنهما _ قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "إن هذا البلد حرام، لا يعضد شوكه، ولا يختلى خلاه، ولا ينفَّر صيده، ولا تلتقط لقيطته، إلا لمُعَرِّف". فقال العباس: إلا الإذخر، فإنه لابد لهم منه؛ فإنه للقيون والبيوت. فقال: "إلا الإذخر"(البخاري).(قال الشوكاني: قال القرطبي: خص الفقهاء الشجر المنهي عنه، بما ينبته اللّه تعالى، من غير صنيع آدمي، فأما ما ينبت بمعالجة آدمي، فاختلف فيه؛ فالجمهور على الجواز. وقال الشافعي: في الجميع الجزاء. ورجحه ابن قدامة. واختلفوا في جزاء ما قطع من النوع الأول؛ فقال مالك: لا جزاء فيه، بل يأثم. وقال عطاء: يستغفر. وقال أبو حنيفة: يؤخذ بقيمته هدي. وقال الشافعي: في العظيمة(٦) بقرة، وفيما دونها شاة.

واستثنى العلماء الانتفاع بما انكسر من الأغصان، وانقطع من الشجر، من غير صنيع الآدمي، وبما يسقط من الورق؛ قال ابن قدامة: وأجمعوا على إباحة أخذ ما استنبته الناس في الحرم؛ من بقل، وزرع، ومشموم، وأنه لا بأس برعيه واختلائه. وفي "الروضة الندية": ولا يجب على الحلال في صيد حرم مكة ولا شجره شيء، إلا مجرد الإثم، وأما من كان محرماً، فعليه الجزاء الذي ذكره اللّه _ عز وجل _ إذا قتل صيداً، وليس عليه شيء في شجر مكة؛ لعدم ورود دليل تقوم به الحجة، وما يروى عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "في الدوحة الكبيرة، إذا قطعت من أصلها، بقرة" (تلخيص الحبير" (٢ / ٢٨٧). لم يصح، وما روي عن بعض السلف لا حجة فيه.ثم قال: والحاصل، أنه لا ملازمة بين النهي عن القتل الصيد وقطع الشجر وبين وجوب الجزاء أو القيمة، بل النهي

يفيد بحقيقته التحريم، والجزاء والقيمة لا يجبان إلا بدليل، ولم يرد دليل، إلا قول اللّه تعالى: "لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ" [المائدة: ٩٥] الآية. وليس فيها، إلا ذكر الجزاء فقط، فلا يجب غيره.

المبحث الرابع: أخذ اللقطة في الحرم.

اللقطة هي : المال الضّائع من ربّه يلتقطه غيره.

ويتعلق بحكم لقطة الحرم المكي مسألتان :

المسألة الأولى : حكم أخذ لقطة الحرم.إذا وجد الأنسان مالا في الحرم ، فهل يجوز له أن يلتقطه.اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

القول الأول :يجوز أخذها لمن يريد أن يعرفها فقط, وبه قال عامة أهل العلم ، وهو الراجح أدلتهم :

1. عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لقطة الحاج . رواه مسلم والنهي مقيد بما بعده من حديث أبي هريرة وابن عباس.

2. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد. متفق عليه

3. عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تلتقط لقطتها إلا لِمُعَرِّف. متفق عليه القول الثاني :لا يجوز أخذها إلا لمن سمع منشدا ينشد عنها فيجوز له أخذه ليعطيه إياها ،وبه قال إسحاق بن راهويه.

دليله : قوله : " إلا لمنشد " أي لمن سمع ناشدا يقول : من رأى لي كذا ونوقش: بأن المنشد : هو المعرف ، وأما طالبها فيقال له : ناشد.

المسألة الثانية : هل لقطة الحرم كلقطة الحل تملك بالتعريف بعد مضي الحول أم لا تملك مطلقا ؟

معلوم أن اللقطة إذا التقطها الانسان فالواجب عليه تعريفها لمدة عام , فإن لم يجد صاحبها فإنه يتملكها بعد مضي الحول.

ويدل لهذا حديث خالد الجهني رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اللقطة الذهب أو الورق فقال اعرف وكاءها وعفاصها ثم عرفها سنة فإن لم تعرف فاستنفقها ولتكن وديعة عندك فإن جاء طالبها يوما من الدهر فأدها إليه. متفق عليه.

فهل لقطة الحرم المكي تملك بالتعريف بعد مضي الحول.

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول :أن لقطة الحرم المكي كغيرها من البلاد يجوز تملكها بعد تعريفها سنة. وبه قال جمهور أهل العلم.

دليلهم:

لأن الأحاديث الواردة في اللقطة لم تفرق بين الحل والحرم، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «اعرف عفاصها ووكاءها، ثم عرِّفها سنة» وغيره.

وأما الاحاديث الواردة بتخصيص تعريف لقطة مكة، فالمقصود به دفع توهم بعض الناس أنه لا حاجة لتعريف لقطة مكة،لعدم الفائدة باعتبارها مكان الغرباء.

القول الثاني : أن لقطة الحرم المكي لا يجوز تملكها بل تعرف حتى ترد إلى صاحبها مهما طال الأمد .

وبه قال الشافعية، وهو رواية عن الأمام أحمد، أختاره ابن تيمية، وابن القيم ،ورجحه ابن عثيمين.

أدلتهم:

1. عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لقطة الحاج . رواه مسلم

ونهيه عليه الصلاة والسلام لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما:

إما أن يكون نهى عليه السلام عن أخذها، أو نهى عن تملكها.

فأما أخذها فقد قال تعالى : { وتعاونوا على البر والتقوى).
ونهى عليه السلام عن إضاعة المال، وتركها إضاعة لها بلا شك، وحفظها تعاون على البر والتقوى.
فصح أنه إنما نهى عليه السلام عن تملكها، وأيضا فإنه عليه السلام لم ينه عن حفظها ولا عن تعريفها، وإنما نهى عنها بعينها.

2. أنّ الأحاديث الخاصّة بلقطة الحرم لم توقّت التّعريف بسنة كغيرها , فدلّت على أنّه أراد التّعريف على الدّوام , وإلا فلا فائدة من التّخصيص,

القول الثالث:

إن يئس من معرفة صاحبها قطعا متيقنا حلت حينئذ لواجدها, لا يحد تعريفها بعام ولا بأكثر ولا بأقل. وبه قال ابن حزم.

لأن من الباطل تعريف ما يوقن أنه لا يعرف، وإذا سقط التعريف حلت حينئذ بالنص لمنشدها.
والأقرب والله اعلم هو القول الثاني.

والآن والحمد لله قد هيئت مكاتب للضائعات خاصة في داخل المسجد الحرم، فترد إليها ، وأن كانت بعيدة عن المسجد فتسلم إلى الجهات المختصة.

المبحث الخامس: دخول مكة بغير إحرام.

اختلف العلماء في حكم دخول (الآفاقي) وهو من يأتي من خارج المواقيت إلى الحرم إذا لم يرد الحج أو العمرة على قولين:
١- فذهب الجمهور من الحنفية والمالكية والحنابلة إلى وجوب الإحرام بحج أو عمرة لكل من سيدخل الحرم ممن يأتي من خارج المواقيت (رد المحتار ٤٧٧/٢, مواهب الجليل ٤٢/٣, الإنصاف ٤٢٧/٣).
واستدلوا بأثر ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما يدخل مكة أحد من أهلها ولا من غير أهلها إلا بإحرام" (البيهقي ٩٨٣٩, قال ابن حجر في التلخيص ٥٢٨/٢: إسناده جيد).

٢- وذهب الشافعية ورواية عن الإمام أحمد إلى أن الإحرام مستحب وليس بواجب لمن سيدخل مكة، ولا يُلزم من أراد دخول مكة من أهل الآفاق بالإحرام إلا إن أراد الحج أو العمرة (المجموع ١١/٧-١٦, الإنصاف ٤٢٧/٣).

وهذا هو الراجح من أقوال أهل العلم ويستدل عليه:

- بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر. (البخاري ٥٨٠٨, مسلم ١٣٥٧).
- وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المواقيت: "هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة" (البخاري ١٥٢٤, مسلم ١١٨١).

فقوله: (ممن أراد الحج والعمرة) يدل على أن وجوب الإحرام في المواقيت خاص بمن أراد الحج والعمرة دون غيره.

الفصل الثالث: المواقع المعظمة في مكة.

المبحث الأول: الكعبة وأحكامها.

إن الكعبة المشرفة محل للإجلال والاحترام، وهي معظمة مكرمة مشرفة لأن الله عزو جل جعلها بيتا له نشريفاً وتكريماً لها فقال تعالى: وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) وهي أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله عز وجل فقال تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) وكما ثبت ذلك بالحديث الصحيح عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام قلت: ثم أي؟ قال المسجد الأقصى قلت كم كان بينهما؟ قال أربعون سنة).

المطلب الأول: الطواف حول الكعبة.

من أعمال عمرة التمتع: الطواف، ويجب الطواف أيضاً في حج التمتع، وحج القِران، وحج الإفراد، وعمرة القِران، وعمرة الإفراد أي العمرة المفردة.

هذا الطواف ركن، ويبطل الحج أو العمرة بتعمّد تركه بخلاف طواف النساء.

من ترك الطواف متعمداً، ولم يتمكن من الإتيان به قبل الموقف بعرفات بطلت عمرته وانقلب حجه إلى الإفراد، فيبقى على إحرامه ويتوجه رأساً إلى عرفات، فيقف فيها ويأتي بجميع مناسك الحج التي سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى، ثم يأتي بعمرة مفردة بعد تمام الحج.

يلحق الجاهل المقصّر بالمتعمد في هذا الحكم أيضاً احتياطاً، وكذلك القاصر على الأحوط الأولى، بخلاف الناسي فإنه يقضي طواف عمرة التمتع متى تذكر فوراً، وإن كان تذكره له بعد أداء المناسك وخروج ذي الحجة، ويعيد معه السعي أيضاً على الأحوط الأولى، هذا إذا كان في مكة، أما إذا خرج من مكة وتذكر ترك الطواف بعد خروجه منها، فإن كان قد وصل إلى أهله يستنيب شخصاً يطوف عنه نيابة إذا كان الرجوع حرجياً، وإذا لم يصل إلى أهله يرجع إلى مكة للطواف بنفسه إذا لم يستلزم ذلك مشقّة، أما إذا تعذر عليه الرجوع لاستلزامه المشقة فيستنيب حينئذ من يطوف عنه ولو في العام المقبل، ويعيد السعي أيضاً على الأحوط الأولى، أو يستنيب مع المشقة.

إذا جاء بالطواف بغير الوجه الشرعي . أي طاف طوافاً غير صحيح . بطلت عمرته إن كان في العمرة وبطل حجه إن كان في الحج وإن كان جاهلاً مقصّراً على الأحوط، وكذلك في القاصر على الأحوط الأولى.

المريض العاجز الذي لا يستطيع الطواف بنفسه أبداً، فإن تمكّن من الطواف بواسطة شخص آخر يستعين به ويتكئ عليه أو يلزمه أو يحمله ويطوف، تعين عليه ذلك، أما إذا كان بحالة لا يمكن حمله بها مطلقاً فعليه الاستنابة.

المرأة إذا حاضت قبل الطواف أو نفست، يجب عليها أن تنتظر وقت الوقوف بعرفات، فإن طهرت قبل الموقف بحيث تستطيع الطواف ودرك الموقف بعرفات تعيّن عليها ذلك، وإن لم تطهر قبل الموقف يمكنها أن تأتي بالسعي والتقصير وتخرج من احرام عمرة التمتع، وتحرم للحج، ثم تطوف لعمرة التمتع وتصلي ركعتيه بعد الطهر، ويجوز لها أن تقلب حجها إلى الإفراد، فتذهب إلىعرفات، وهي حائض، فتقف ثم تفيض أي تذهب بعد المغرب إلى المشعر، ثم تأتي إلى منى يوم العيد، وتأتي بجميع المناسك على الوجه الشرعي، ثم تأتي بعد ذلك بعمرة مفردة، التي سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى.

لو كانت المرأة تعلم أنها لا تطهر حتى ينتهي يوم عرفة، فعليها إما أن تحرم بنية الإفراد من أول الأمر، أو تحرم لعمرة التمتع فتأتي بالسعي والتقصير، ثم تحل، وتدرك الحج، وتقضي طواف العمرة وركعتيه بعد الطهر.

شروط الطواف

يشترط في الطواف أمور:

١.الطهارة من الحدث. ٢.طهارة البدن واللباس.

٣.الختان. ٤.ستر العورة. ٥.إباحة اللباس. ٦.النية.

1: الطهارة من الحدث

يشترط في الطواف، الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر فيما إذا كان الطواف واجباً، أما إذا كان الطواف مستحباً فلا يشترط فيه الطهارة من الحدث الأصغر، نعم يحرم على المحدث بالأكبر الدخول إلى المسجد الحرام، و لا يكون الطواف إلا في المسجد الحرام حول الكعبة الشريفة.

المعذور الذي لا يمكنه الطهارة المائية لمرض ونحوه، فإن الطهارة الترابية (التيمّم) تقوم مقام الطهارة المائية، فإذا كان محدثاً بالأكبر ولم يستطع الغسل لعذر، تعيّن عليه التيمم للحدث الأكبر، وفيما عدا الجنابة يتعين عليه الوضوء أيضاً إذا كان يستطيع ذلك، وإلا فعليه تيمم آخر بدل الوضوء ثم يطوف.

المستحاضة وغيرها من ذوي الأعذار إذا لم يمكنهم الطهارة المائية، تجزيهم الطهارة الإضطرارية (أي التيمم) فيصح طوافهم بها، وإن كان الأحوط الأولى للمسلوس والمبطون أن يطوف بنفسه، ثم يستنيب شخصاً آخر يطوف نيابة عنه.

إذا طاف الإنسان ثم تذكر بعد الفراغ من الطواف انه كان محدثاً (أي انه طاف بلا طهارة) فإن كان الطواف واجباً يجب عليه أن يعيد الطواف بعد أن يتطهّر.

إذا أحدث في أثناء الطواف، فإن كان لم يتجاوز النصف من الطواف يجب عليه الاستئناف بعد الطهارة (أي يتطهر ثم يطوف من جديد) وإن كان قد تجاوز النصف يجب عليه أن يتطهر ثم يبني على الطواف مبتدئاً من الموضع الذي أحدث فيه وقطع الطواف، ويصح منه طوافه السابق مع بقية طوافه اللاحق.

من شك في الحدث والطهارة . سواء كان ذلك قبل الطواف أم بعده أم في أثنائه . فإن حكمه حكم الصلاة، فإن كان شكه بالحدث بعد يقينه بالطهارة بنى على الطهارة مطلقاً وصح طوافه، وإن شك في الطهارة بعد اليقين بالحدث يجب عليه أن يتطهر ولا يصح منه الطواف بلا تطهر، نعم إذا شك بالطهارة وكان شكه بعد الفراغ من الطواف فلا يلتفت إلى شكه وطوافه صحيح.

لو عرف في أثناء الطواف بكونه جنباً أو حائضا، وجب عليه قطع الطواف والخروج من المسجد الحرام فوراً.

2: طهارة البدن واللباس

يجب على من يريد الطواف أن يطهر بدنه ولباسه عن كل نجاسة، إلا ما عفي عنها في الصلاة، والأحوط استحبابا الطهارة حتى عن المعفو مثل الدم إذا كان أقل من درهم، أو دم القروح والجروح، نعم إذا شق عليه التجنب كأن لم يستطع أن يتجنب دم القروح والجروح فلا بأس بطوافه.

إذا طاف الإنسان ثم علم بعد ذلك بنجاسة ثوبه أو بدنه بعد الفراغ من طوافه، صح منه الطواف.

إذا كان في أثناء الطواف وعلم أن على بدنه أو ثيابه نجاسة، فإن تمكن من إزالتها في أثناء الطواف مع عدم فعل المنافي (أي لا يعمل عملاً ينافي الطواف) يتعيّن عليه ذلك، ويتم طوافه بعد الإزالة، وكذلك إذا عرضت عليه نجاسة في أثناء الطواف فانه يزيلها ويتم طوافه.

إذا لم يتمكن من إزالة النجاسة التي على بدنه أو ثوبه في الأثناء، يتطهر ويستأنف الطواف إذا لم يبلغ ثلاثة أشواط ونصف، أما إذا كان قد بلغ ذلك فإنه يتم طوافه بعد الطهارة.

إذا كان ناسياً أن على بدنه أو ثيابه نجاسة وطاف بها ثم تذكّر بعد الفراغ من الطواف، فالأقوى صحة طوافه.

3: الختان

يشترط في الطواف الختان للرجال دون النساء، بل يشترط الختان للصبيان أيضاً إن لم يكن الصبي مختوناً خلقة، فلا يصح الطواف من غير المختون.

4: ستر العورة

يشترط في الطواف ستر العورة على نحو ما ذكر في باب الصلاة، فلا يصح الطواف عارياً وان كان قد أمن من الناظر.

5: إباحة اللباس

يشترط في الطواف إباحة اللباس، بأن لايكون غصباً، فلو طاف في لباس مغصوب بطل طوافه.

6: النية

يشترط في الطواف النية، بأن ينوي الطواف امتثالاً لأمر الله تعالى، فيقول: (أطوف حول هذا البيت سبعة أشواط لعمرة التمتع قربة إلى الله تعالى).

لا فرق بين الطوافات الواجبة في هذه الشروط الستة، سواء كان طواف الزيارة أم طواف النساء، لعمرة التمتع أم لحجه، لحج الإفراد أم القِران أم للعمرة المفردة.

واجبات الطواف

واجبات الطواف أمور:

١.الابتداء بالحجر الأسود والاختتام به.

٢.جعل البيت على اليسار.

٣.إدخال حِجر إسماعيل (عليه السلام) في الطواف.

٤.خروج بدنه عن البيت.

٥.كون الطواف بين البيت ومقام إبراهيم (عليه السلام) على الأحوط مع عدم العسر.

٦.العدد.

٧.الموالاة.

1: الابتداء بالحجر الأسود والاختتام به

لا يصح أن يبدأ بالطواف من غير الحجر الأسود، كما لا يصح الاختتام بغير الحجر الأسود أيضاً.

يكفي في حصول الابتداء والاختتام بالحجر الأسود، المحاذاة العرفية في ابتداء الشوط وختامه، فلا يلزم الدقة في أن يكون أول جزء من بدنه بازاء أول جزء من الحجر.

إذا وقف محاذياً للحجر الأسود، جاعلاً له على يساره في أول شوط من أشواط الطواف، ثم طاف حتى وصل إليه فهذا شوط، وإذا مشى وطاف حتى وصل إليه ثانياً فهذا شوط آخر، وهكذا إلى أن يكمل سبعة أشواط،ولا يجب أكثر من ذلك.

2: جعل البيت على اليسار

لا يصح الطواف إن لم يجعل البيت على يساره حين الطواف به، فلو عكس ذلك، بأن جعل البيت على يمينه بطل طوافه.

يكفي في تحقّق جعل البيت على يساره الصدق العرفي، ولا يلزم ملاحظة المنائر، ولا ينافيه الإنحراف اليسير البسيط.

إذا جعل البيت عن يمينه أو استقبله بوجهه أو استدبره بظهره، ولو بخطوة واحدة عمداً أو سهواً، لم تصح تلك الخطوة أو الأكثر منه، فيلزمه التدارك مع عدم العذر، ومعه ينبغي التدارك.

نعم لا يبعد عدم الإشكال إذا انحرف قليلا فلم يكن منكبه الأيسر تجاه البيت وذلك نتيجة الزحام، كالخطوة والخطوتين.

3: إدخال حِجر إسماعيل(عليه السلام)

يجب إدخال حجر إسماعيل (عليه السلام) في الطواف وهو مدفن النبي إسماعيل وأمه هاجر وجملة من الأنبياء(عليهم السلام).

يشترط في الطواف أن يجعل الإنسان حِجر إسماعيل (عليه السلام) على يساره، فإذا طاف بينه وبين البيت فجعل البيت على يساره والحِجر على يمينه بطل طوافه وأعاد ذلك الشوط فقط.

4: خروج تمام بدنه عن البيت

لا يصح الطواف داخل البيت، أما لو طاف على جدار الحِجر أو على شاذروان الكعبة، وهو القدر الباقي من أساس الجدار القديم بعد البناء الجديد، فالظاهر صحة طوافه، ولا إشكال في أن يمس جدار البيت أو حائط الحجر بيده.

إذا أتى بجزء من الطواف على غير الصورة الصحيحة يلزمه تدارك ذلك الجزء مع عدم العذر كالجهل التقصيرى، أما مع العذر كالجهل القصوري فينبغي التدارك.

5: الطواف بين البيت ومقام إبراهيم (عليه السلام)

الأحوط مع عدم العسر، أن لا يجعل الإنسان مقام إبراهيم (عليه السلام) داخل المطاف، بل يجعله على اليمين والبيت على اليسار ويكون الطواف بينهما، مراعياً بذلك القدر من البعد في جميع الجوانب، وهي المسافة التي قدرت بستة وعشرين ذراعاً ونصف الذراع تقريباً بذارع اليد.

يجوز الطواف حول الكعبة المشرفة أبعد من ستة وعشرين ذراعاً مع العسر، كما يجوز الطواف في الطابق الثاني من المسجد الحرام أو فوق السطح مع العسر وصدق الطواف حول الكعبة، كما إذا امتلأ المسجد الحرام بالطائفين.

6: العدد في الطواف

يجب أن يكون العدد في الطواف حول الكعبة الشريفة سبعة أشواط من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود، بلا زيادة ولا نقصان.

إذا زاد أو نقص في ابتداء الطواف أو في أثنائها بطل طوافه على كل تقدير على الأحوط.

إذا كانت الزيادة مقداراً قليلاً قبل الشروع في الطواف فلا بأس بها إذا كانت من باب المقدمة.

إذا زاد في الطواف بعد إكمال السبعة أشواط سهواً، فإن كانت الزيادة أقل من شوط كامل وجب عليه قطع الزيادة، وإن كان شوطاً كاملاً أو أكثر فالأحوط له إكمال الطواف، وذلك بإضافة ستة أشواط أخرى إليه حتى يكمل سبعاً، ويكون ذلك الطواف الثاني وهو الأشواط السبعة الزائدة نافلة، ويصلي للطواف الأول قبل السعي، ويصلي للطواف الثاني بعد السعي.

الموالاة في الطواف

الموالاة شرط في طواف الفريضة، وهي أن يتابع بين أشواط الطواف ولا يعمل في خلال الأشواط عملاً ينافي تلك الموالاة في الطواف الواجب، وليست الموالاة شرطاً في الطواف المستحب.

إذا نقص من طوافه بعض الأشواط، فإن كان في المطاف ولم تفته الموالاة المعتبرة في الطواف، فحينئذ يكمل ذلك النقص من طوافه، ويكفيه ذلك الإكمال مطلقاً سواء كان النقص عمداً أم سهواً، وسواء كان ذلك قبل أن يتجاوز نصف الطواف أم بعده، وسواء كان الطواف واجباً أم مستحباً.

إذا نقص من طوافه بعض الأشواط وعمل عملاً ينافي الموالاة، فإن كان الطواف مستحباً أكمل النقص وصح طوافه، أما إذا كان الطواف واجباً وكان النقص عن سهو ولم يكن عن عمد، فإن كان قد تم له أربعة أشواط يبني حينئذ على موضع القطع بمجرد تذكره ذلك النقص، أما إذا لم يتم له أربعة أشواط استأنف الطواف من جديد.

إذا نسي بعض أشواط الطواف ولم يتذكر ذلك النقص إلا بعد خروجه عن مكة المكرمة، ولم يمكنه الرجوع استناب للنقص إذا كان قد تم له أربعة أشواط، ولأصل الطواف إذا لم يتم له ذلك.

لو شك في أثناء الطواف مطلقاً، يبطل طوافه ويستأنف الطواف من جديد، سواء كان الشك عند الركن أم قبله، بين الستة والسبعة أو بين الخمسة والستة أو دون ذلك، مع احتمال الزيادة وعدمها، وإن كان الاتمام بالبناء على الأقل ثم الاستئناف في جميعها هو الأحوط، نعم إذا كان الطواف مستحباً نافلة يبني على الأقل، ثم يكمل طوافه ولا حاجة إلى الاستئناف.

إذا شك في عدد الأشواط بعد الطواف،أو شك في صحتها وكان شكه بعد الفراغ من طوافه لم يلتفت فيبني على صحة طوافه، وكذلك لو شك في آخر الشوط السابع عند الانتهاء هل انه سبعة أم ثمانية مثلاً أو أزيد، فإن شكه باطل وطوافه صحيح.

حكم الظن في الطواف، ما لم يصل إلى الاطمينان أي: العلم العادي، هو حكم الشك.

يجوز الاعتماد في عدد الأشواط على البينة: الشاهدين العادلين، أو الثقة: الصادق في كلامه، وإن كان شخصاً واحداً، بلا فرق بين كون الثقة رجلاً أو امرأة أو طفلاً، ولا بين كونه فاسقاً أو غير فاسق.

لو شك في أثناء الطواف، فاستأنف طوافاً جديداً، وفي أثناء الطواف الجديد علم بعدد الأشواط في الطواف الأول، فإن كان الطواف الأول كاملاً قطع الطواف الجديد، وإن كان ناقصاً تدارك نقصه، ولا يجب عليه إتمام الطواف الجديد.

لو التفت في أثناء صلاة الطواف إلى أنه لم يكمل طوافه، قطع صلاته وأتم طوافه، سواء كان قد تجاوز نصف الطواف أم لم يتجاوزه، وسواء دخل الصلاة عن جهل أم عن نسيان أو غفلة، وأما إذا التفت بعد الصلاة، وجب عليه إتمام الطواف، وأعاد الصلاة احتياطاً.

لو اشتغل بالسعي ثم التفت إلى أنه لم يتم طوافه، قطع سعيه ورجع فأتم طوافه وإن كان الباقي من طوافه أكثر من نصف الطواف، ثم أعاد صلاة الطواف احتياطاً، ثم رجع إلى السعي وأتم سعيه وإن كان الباقي من السعي أكثر من النصف، نعم يستحب له أن يستأنف طوافاً وسعياً جديداً.

لو كان في أثناء الطواف فدخل وقت صلاة الفريضة، استحب له قطع الطواف وإن لم يبلغ النصف، فيؤدي صلاة الفريضة، ثم يرجع إلى الطواف ويتمه.

3: صلاة الطواف

الثالث من أعمال العمرة: صلاة الطواف عند مقام إبراهيم (عليه السلام) (وهي الصخرة التي عليها أثر قدم الخليل (عليه السلام)) أو خلفه، إلى نهاية المسجد مع الصدق العرفي، وهي ركعتان مثل فريضة الصبح، يتخيّر المكلف فيها بين الجهر والإخفات، ويصليهما بعد الطواف مباشرة، أي الفور العرفي على الأحوط.

تكون الصلاة عند المقام من أحد الجانبين، أو خلفه إلى نهاية المسجد، فإن لم يتيسّر له ذلك يصليها حيث شاء من المسجد الحرام، هذا كله في الطواف الواجب، أما الطواف المستحب الإبتدائي فيمكنه أن يصلي صلاته حيث شاء من المسجد مطلقا، أي اختياراً واضطراراً، والأحوط الاقتصار على الاضطرار.

النجاسات التي يعفى عنها في الصلاة لا تضر بصلاة الطواف أيضاً.

إذا نسي صلاة الطواف يتعيّن عليه الإتيان بها متى ما تذكرها، ولا يجب عليه إعادة السعي، هذا إذا كان في مكة، أما إذا لم يتذكر إلا بعد خروجه من مكة فيأتي بها في مكانه، والأحوط استحباباً أن يرجع ليصليها عند المقام إذا لم يستلزم ذلك مشقة. وإذا مات قبل أن يقضي هذه الصلاة تعين على الولي قضاؤها عنه مثل سائر صلواته الفائتة.

من ترك صلاة الطواف عمداً فقد صحت منه بقية المناسك المترتبة عليه، وبقي عليه قضاء نفس صلاة الطواف في ذمته كالناسي.

يجوز الإتيان بصلاة الطواف جماعة، وإذا أراد أن يطوف طوافين فعليه أن يصلي بعد كل طواف صلاة، ويكره له الإتيان بطوافين والصلاة بعدهما بصلاتين.

من مسائل المرأة

المسألة: المرأة التي جاءها الحيض قبل صلاة الطواف أو حين الطواف، فإن كان قد تم لها أربعة أشواط فأكثر تمتنع من بقية الطواف والصلاة وتخرج من المسجد فوراً، وتأتي ببقية المناسك من السعي والتقصير إذا كانت في العمرة، ثم تنتظر إلى أن تطهر فتقضي ما فاتها من الطواف والصلاة مقدمة الطواف على الصلاة، ولا يجب عليها إعادة السعي.

المسألة: المرأة التي جاءها الحيض وقد تم لها أربعة أشواط وأتت ببقية المناسك إذا لم تطهر قبل الوقوف . بأن بقيت حائضاً إلى اليوم التاسع من ذي الحجة . فالأحوط لها حينئذ الإستنابة لقضاء ما فاتها من أشواط الطواف والصلاة قبل أن تخرج إلى الموقف بعرفات، ثم تقضيه بنفسها بعد الطهر.

المسألة: إذا جاء المرأة الحيض بعد إكمال الطواف وقبل الصلاة فعليها صلاة الطواف بعد أن تطهر والإستنابة للصلاة أيضاً على الأحوط.

المسألة: المرأة التي جاءها الحيض ولم تكمل الأربعة أشواط، أي في الشوط الأول أو الثاني أو الثالث أو في أثناء الرابع فعندئذ تقطع طوافها، وتخرج من البيت فوراً ثم تنتظر، فإن طهرت قبل الموقف بعرفة تأتي بالطواف كاملاً والصلاة بعد طهرها، وإذا لم تطهر قبل الموقف يجوز لها أن تقلب حجها إلى الإفراد كما تقدّم وتمضي إلى عرفات والمشعر، وتأتي بمناسك منى كلها وبقية مناسك مكة، فإذا فرغت من مناسك الحج كلها تأتي بعمرة مفردة بعد إكمال المناسك، ويجوز لها أن تبقى على التمتع فتسعى وتقصر وتحلّ، ثم تقضي الطواف وركعتيه بعد الطهر.

المسألة: المستحاضة إن فعلت ما يجب عليها من الأعمال للصلاة فهي كالطاهرة.

المطلب الثاني: الحجر الأسود.

الحجر الأسود أشرف حجر على وجه الأرض ، وهو أشرف أجزاء البيت الحرام ، ولذا شرع تقبيله واستلامه ، ووضع الخد والجبهة عليه ، وموضعه جهة الشرق من الركن اليماني الثاني الذي هو في الجنوب الشرقي وارتفاعه من أرض المطاف متر واحد ونصف المتر ولا يمكن وصفه الآن لأن الذي يظهر منه في زماننا ونستلمه ونقبله إنما هو ثماني قطع صغيرة مختلفة الحجم أكبرها بقدر التمرة الواحدة ، وأما بقيته فداخل في بناء الكعبة المشرفة ، ويروى أن القطع تبلغ خمس عشرة قطعة إلا أن القطع السبع الأخرى مغطاة بالمعجون الذي يراه كل مستلم للحجر وهو خليط من الشمع والمسك والعنبر موضوع على رأس الحجر أما طوله فقد رآه محمد بن نافع الخزاعي يوم اقتلعه القرامطة في القرن الرابع الهجري ورأى السواد في رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر ذراع ، وأول من طوق الحجر الأسود بالفضة عبد الله بن الزبير صوناً له وتتابع من بعده الخلفاء والأغنياء وكان آخر من أهداه إطاراً قبل الدولة السعودية السلطان محمد رشاد خان سنة ١٣٣١هـ وكان من الفضة الخالصة ، وقد أصلح الملك عبد العزيز آل سعود من هذا الطوق ثم في عام ١٣٧٥هـ بدل الملك سعود يرحمه الله الإطار السابق بآخر من الفضة الخالصةوقد مرّ على الحجر الأسود حوادث كثيرة أولها ما ذكره ابن إسحاق أنه عندما أخرجت جرهم من مكة خرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة والحجر فدفنها في زمزم وانطلق ، غير أنّ امرأة من خزاعة شاهدت عملية الدفن فأخبرت قومها فأعادوه إلى مكانه،وفي الجاهلية أيضا كان خويلد أبو خديجة أم المؤمنين رضي الله عنه واحداً من رجالات قريش الذين سجّل التاريخ لهم مآثر في مكّة المكرّمة من أعظمها مأثرة الدفاع عن الكعبة يوم هاجمها تبع ، وأراد أن يحمل الحجر الأسود إلى اليمن .. لقد قاد خويلد جماعة من رجالات قريش ، ونازع تبعاً ليصدّه عن أخذ الحجر الأسود ، ونقله من مكانه في الكعبة المكرّمة ، فحال الله دون ما أراد تبع ، ولم يقدر على ما أراد .قال ابن الأثير : « وهو . خويلد . الذي نازع تبعاً حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن ، فقام في ذلك الوقت خويلد ، وقام معه جماعة من قريش ، ثمّ رأى تبع في منامه ما روّعه ، فنزع عن ذلك ، وترك الحجر الأسود في مكانه » وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل مبعثه الشريف أصاب الكعبة حريق صدّعَ بنيانها، وأوهن حجارتها، فحارت قريش في أمرها، وترددوا في هدمها، حتى تقدم الوليد بن المغيرة فاقتلع أول حجر منها، وشارك النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب في نقل حجارتها مع الناقلين من بني هاشم، وهو الذي وضع الحجر الأسود في مكانه، فاستقر ببركة جهوده، بعد أن اختلف الناس واحتكموا إلى أول داخل للبيت، فكان هو صلى الله عليه وسلم أول داخل للكعبة ، فاتفقوا على تحكيمه في قصة مشهورة ترويها كتب السيرة الشريفة.

ولم يعتر الحجر الأسود نقل أو تغييب من عهد قصي إلى بناء عبد الله بن الزبير وهو أول من ربط الحجر الأسود بالفضة عندما تصدع من الأحداث التي جرت عام (٦٤ هـ) حيث احترقت الكعبة بسبب الحرب بين ابن الزبير الذي تحصَّن داخلها ، وقائد يزيد - الحصين بن النمير- الذي رمى الكعبة بالمنجنيق ، وتطايرت النار وأحرقتها، وتكررت الفعلة سنة (٧٣ هـ) على يد الحَجّاج ، ثم أضاف إليه الخليفة العباسي هارون الرشيد تنقيبه بالماس وأفرغ عليه الفضة ولعل أفظع ما مرّ على الحجر الأسود حادثة القرامطة الذين أخذوا الحجر وغيبوه ٢٢ سنة ، وردّ إلى موضعه سنة ٣٣٩ هـ ، فلقد غزى أبو طاهر القرمطي القطيف واحتلها واحتل مكة المكرمة وانتهب الحجر الأسود ٣١٧هـ وفي ٣١٨هـ تقريبا سن الحج إلى الجش بالأحساء بوضع الحجر الأسود في بيت كبير في قرية الجش وأمر القرامطة سكان منطقة القطيف بالحج إلى ذلك المكان ، ولكن الأهالي رفضوا تلك الأوامر ، فقتل القرامطة أناساً كثيرين من أهل القطيف ولا زالت بعض آثار ذلك البناء باقية وهي عين الجعبة (الكعبة) وفي ذلك يقول شاعرها المعاصر

ولو لم تكن من رياض الخلود *** لما زارها الحجر الأسود

ويقال أن أبا طاهر نقل الحجر الأسود إلى الكوفة خلال عام ٣٣٠ هـ ولكنه أعيد ثانية إلى الأحساء قال ابن كثير : وفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة في هذه السنة المباركة في ذي القعدة منها رد الحجر الأسود المكي إلى مكانه في البيت ، وقد بذل لهم (أي القرامطة) الأمير بجكم التركي خمسين ألف دينار على أن يردوه إلى موضعه فلم يفعلوا ، ثم أرسلوه إلى مكة بغير شيء على قعود فوصل في ذي القعدة من هذه السنة ولله الحمد والمنة وكان مدة مغايبته عندهم ثنتين وعشرين سنة ففرح المسلمون لذلك فرحا شديدا. (وقد وقع حادث على الحجر الأسود في آخر شهر محرم عام١٣٥١ هـ عندما اقتلعت قطعة من الحجر الأسود وعمل الأخصائيون مركبا كيماويا وأضيف إليه المسك والعنبر وبعد أن تم تركيب المركب الكيماوي أخذ الملك عبد العزيز رحمه الله قطعة الحجر بيده ووضعها في محلها تيمناً .

الحجر الأسود في ظلال السنة قال صلى الله عليه وسلم (الحجر الأسود من حجارة الجنة) (حديث رقم: ٣١٧٥ في صحيح الجامع) (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم) (حديث رقم: ٦٧٥٦ في صحيح الجامع) (إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب) (حديث رقم: ١٦٣٣ في صحيح الجامع) يعني بالركن ههنا :

الحجر الأسود ، وسمي ركنا لأنه مبني في الركن (إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا) (حديث رقم: ٢١٩٤ في صحيح الجامع).

(لولا ما مس الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا شفي وما على الأرض شيء من الجنة غيره) (حديث رقم: ٥٣٣٤ في صحيح الجامع)

(ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق) (حديث رقم: ٥٣٤٦ في صحيح الجامع).

الحجر الأسود وفقه العبادات الحج

الطواف

والطواف ركن من أركان الحج في جميع المذاهب (طواف الإفاضة) وفي العمرة كذلك (طواف الركن)، وبدء الطواف يكون من الحجر الأسود ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال [خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشي أربعا ..]

قال الشوكاني : فيه دليل على أنه يستحب أن يكون ابتدأ الطواف من الحجر الأسود بعد استلامه وحكي في البحر عن الشافعي والإمام يحيى : أن ابتداء الطواف من الحجر الأسود فرض وقال ابن رشد صاحب بداية المجتهد : والجمهور مجمعون على أن صفة كل طواف واجبا كان أو غير واجب ، أن يبتدئ من الحجر الأسود ....فإن ابتدأ من غيره لم يعتد بما فعله حتى يصل إلى الحجر الأسود فإذا وصله كان ذلك أول طوافه الطواف من الحجر إلى الحجر.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال [رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجر إلى الحجر ثلاثا ومشى أربعا] وجاء في كيفية الطواف : أن يدور الحاج (أو المعتمر ، أو الطائف) حول الكعبة بنية الطواف ، سبع مرات ، يبدأ كل شوط من الحجر الأسود ، محاذيا له بجميع البدن ، ويختمه بالحجر جاعلا الكعبة عن يساره ، خارجا بجميع بدنه عن حجر إسماعيل عليه السلام ، وعن الشاذروان (وهو بناء مسنم قدر ثلثي ذراع خارج عن عرض جدار الكعبة.
قال الإمام النووي في كيفية الطواف أن يحاذي بجميع بدنه على جميع الحجر ، وذلك بأن يستقبل البيت ، ويقف على جانب الحجر الذي إلى جهة الركن اليماني ، بحيث يصير جميع الحجر عن يمينه ، ويصير منكبه الأيمن عند طرف الحجر ، ثم ينوي الطواف لله تعالى ، ثم يمشي مستقبلا الحجر ، مارا إلى جهة يمينه حتى يجاوز الحجر ، فإذا جاوزه انفتل وجعل يساره البيت ،

ويمينه إلى خارج ، ولو فعل هذا من الأول وترك استقبال الحجر جاز ... ثم المرور بجميع الأركان ، ثم يمر منه إلى الحجر الأسود ، فيصل إلى الموضع الذي بدأ منه ، فيكمل له حينئذ طوفة واحدة ... وهكذا يفعل سبعا ثم قال : وينبغي أن ينتبه هنا لدقيقة ، وهي : أن من قبّل الحجر الأسود فرأسه في حد التقبيل في جزء من البيت ، فيلزمه أن يقر قدميه في موضعهما حتى يفرغ من التقبيل ويعتدل قائما ، لأنه لو زالت قدماه من موضعهما إلى جهة الباب قليلا ، ولو قدر بعض شبر في حالة تقبيله ، ثم لما فرغ من التقبيل اعتدل عليهما ، في الموضع التي زالتا إليه ، ومضى من هناك في طوافه ، لكان قد قطع جزءا من مطافه وبدنه في هواء الشاذروان ، فتبطل طوفته تلك وهذا خطأ شائع يقع فيه الطائفون ، دون أن ينتبهوا لذلك . والله أعلم . وفي المغني قولان يجزئه ولا يجزئه .

استلام الحجر باليد وتقبيله :

عن عابس بن ربيعة رحمه الله ، قال : رأيت عمر يقبل الحجر ، ويقول : إني لأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ". أخرجه الجماعة (والدارمي ٥٢/١، ٥٣ في المناسك). وزاد مسلم والنسائي في إحداهما : ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفيا " ولم يقل :" رأيت رسول الله يقبلك " ومعنى (حفيا): أي شديد السرور في غاية اللطف والاعتناء وبارا به.

ويستحب أن يخفف القبلة بحيث لا يظهر لها صوت ويقول عند الاستلام [باسم الله والله أكبر] السجود على الحجر بعد تقبيله لما رواه البيهقي عن ابن عباس [أنه قبله وسجد عليه وقال : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبله وسجد عليه ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا ففعلت] الاستلام في الزحام .

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير ، يستلم الركن بمحجن". هذه رواية البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي (البخاري ٣٧٨/٣ في الحج) وفي أخرى للبخاري والنسائي والترمذي قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير ، كلما أتى على الركن أشار إليه ". زاد البخاري في رواية أخرى " بشيء كان في يده وكبر". وفي

أخرى لأبي داود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة . وهو يشتكي . فطاف على راحلته ، كلما أتى على الركن استلمه بمحجن ، فلما فرغ من طوافه أناخ ، وصلى ركعتين."

وعن نافع رحمه الله قال : رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ، ثم قبّل يده ، وقال : ما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله (رواه مسلم . كتاب الحج برقم ٢٢٢٦) وهذا محمول على تعذر تقبيل الحجر وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على راحلته يستلم الركن بمحجنه ، ويقبل طرف المحجن ، ثم خرج إلى الصفا ، فطاف سبعا على راحلته (أخرجه ابن ماجه في سننه ٩٨٣/٢) .

قال في الفتح : قال الجمهور : إن السنة أن يستلم الركن ويقبل يده ، فإن لم يستطع أن يستلمه بيده استلمه بشيء في يده وقبل ذلك الشيء فإن لم يستطع أشار إليه واكتفى بذلك (نيل الأوطار للشوكاني ١١٥/٥). إذا لم يستطع تقبيله لا بفمه ولا بمحجن ولا بيده . لكنه استطاع أن يرمي طرف إحرامه على الحجر فهل يصح ذلك ؟ الجواب : نعم يفعل ذلك فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يمس الحجر بثوبه ويقبله روى ذلك عبد الرزاق في مصنفه بإسناد صحيح.

هل يُستلم ويُقبل غيرُ الركن الأسود ؟

جاء عن ابن عمر رضي الله عنه قال : لم أر النبي صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين (رواه الجماعة إلا الترمذي) (وهما الركن الأسود والركن اليماني) وإنما اقتصر صلى الله عليه وسلم على استلام اليمانيين

لما ثبت في الصحيحين من قول ابن عمر أنهما على قواعد إبراهيم دون الشاميين ، فعلى هذا يكون للركن الأول من الأركان الأربعة فضيلتان ؛ كونه الحجر الأسود ، وكونه على قواعد إبراهيم ، وللثاني الثانية فقط ، وليس للآخرين أعني الشاميين شيء منها ، فلذلك يقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يقبل الآخران ولا يستلمان على رأي الجمهور (نيل الأوطار للشوكاني ١١٦/٥) الزحام على الحجر .

ذكر الماوردي (للمارودي ١٧٨/٥) الاختلاف في الزحام على الحجر ،فقال : واختلف في الزحام لاستلام الحجر ، فقيل : ينتظر حتى يخف الزحام ، وإن علم أن الزحام لا يخف ، ترك الاستلام ، ولم يزاحم الناس ، وأشار إليه رافعا ليده . وقال النووي (كتاب متن الإيضاح في المناسك ص٦٨ .

الحاوي الكبير):" ويستحب أن يستقبل الحجر الأسود ويدنو منه ، بشرط أن لا يؤذي أحدا بالمزاحمة ، فيستلمه ، ثم يقبله من غير صوت يظهر في القبلة ،ويسجد عليه ، ويكرر التقبيل والسجود عليه ثلاثا ، ثم يبتدئ الطواف."

وحكي عن طائفة أن الزحام عليه أفضل كفعل ابن عمر رضي الله عنه (الحاوي الكبير ١٧٨/٥ بتصرف. (أخرجه البيهقي ٨١/٥ ، وفي الأم للشافعي ١٧٢/٢ .) ويروى أن عبيد بن عمير قال لابن عمر: إني أراك تزاحم على هذين الركنين فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن استلامهما يحط الخطايا حطا والدلالة على أن الزحام مكروه : رواية سعيد بن المسيب ،

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك رجل قوي لا تؤذي الضعيف ، فإذا أردت أن تستلم الحجر ، فإن كان خاليا فاستلمه ، وإلا فاستقبله وكبر(الأثر عن عمر أخرجه البيهقي ٨١/٥ ، وعبد الرزاق ص٨٩٠٧) وروى الأزرقي (أخبار مكة للأزرقي ص٣٣٤) أخبرني عطاء أنه سمع ابن عباس يقول : إذا وجدت على الركن زحاما فلا تؤذ ولا تؤذى ، لا تؤذ مسلما ولا يؤذيك ، إن رأيت منه خلوة ، فقبله ، أو استلمه ، وإلا فامض.

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن عوف :" كيف صنعت يا أبا محمد في استلام الركن ؟" قال استلمت وتركت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت " (أخرجه مالك في الموطأ ٣٦٦/١).قال الإمام الشافعي رحمه الله : وأحسب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن أصبت أنه وصف له أنه استلم في غير زحام ، وترك في زحام

وجاء في حاشية المغني والشرح الكبير (وأخرجه البيهقي في الكبرى ٨٠/٥) تعليق مقابل حديث ابن عمر السابق :" إيذاء الناس محرم ، واستلام الحجر مستحب ، فمن الجهل الفاضح ما يجري دائما في وقت الزحام من إيذاء الأقوياء للضعفاء وضغطهم للنساء لأجل استلام الحجر فالرجل يرتكب عدة معاص لأجل مستحب واحد."

أما النساء فلا يختار لهن الاستلام ولا التقبيل ، إذا حاذين الحجر أشرن إليه ، وقد روى عطاء أن امرأة طافت مع عائشة رضي الله عنه فلما جاءت الركن قالت المرأة : يا أم المؤمنين ألا تستلمين ؟ فقالت عائشة رضي الله عنها : وما للنساء واستلام الركن امض عني . وأنكرت عائشة ذلك على

مولاة لها . فإن أرادت المرأة تقبيل الحجر فعلت ذلك في الليل عند خلو الطواف(فتح الباري ٣/٣٧٠)

ختم الطواف ويختم الطواف باستلام الحجر .ثم صلاة ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام ثم يعود إلى الحجر فيستلمه لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى ركعتين عاد إلى الحجر ، والأصل أن كل طواف بعده سعي يعود إلى الحجر لأن الطواف لما كان يفتتح بالاستلام ، فكذا السعي يفتتح به بخلاف ما إذا لم يكن بعده سعي.

عن نافع قال كان ابن عمر إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية فإذا انتهى إلى ذي طوى بات فيه حتى يصبح ثم يصلي الغداة ويغتسل ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله ثم يدخل مكة ضحى فيأتي البيت فيستلم الحجر ويقول (بسم الله والله أكبر) ثم يرمل ثلاثة أطواف يمشي ما بين الركنين فإذا أتى على الحجر استلمه وكبر أربعة أطواف مشيا ثم يأتي المقام فيصلي ركعتين ثم يرجع إلى الحجر فيستلمه ثم يخرج إلى الصفا من الباب الأعظم فيقوم عليه فيكبر سبع مرار ثلاثا يكبر ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

هل المسلمون يعبدون الحجر الأسود :

اشتهرت مقولة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تقبيله للحجر الأسود " لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ، ما قبلتك " من حديث أخرجه الجماعة.

قال الحافظ ابن حجر : قال الطبري : إنما قال ذلك عمر ، لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام ، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر تعظيم بعض الأحجار ، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه إتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته ، كما كانت تعتقده في الأوثان.

وقال الحافظ : وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين ، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها ، وهو قاعدة عظيمة في إتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ، ولو لم يعلم الحكمة فيه ، وفيه دفع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأسود خاصة ترجع إلى ذاته ،

وفيه بيان السنن بالقول والفعل ، وأن الإمام إذا خشي على أحد من فعله فساد اعتقاد ، أن يبادر إلى بيان الأمور ويوضح ذلك.

من هنا يظهر أن تقبيل الحجر الأسود ليس على سبيل التعظيم ، وإنّما هو على سبيل الحبّ ، كما يُقَبِّل أحدُنا أولادَه و زوجتَه . فلو كان التقبيل دليلاً على التعظيم ،لاستلزم أن الجميع يعبد زوجته . ومن الواضح أنّ ذلك غير معقول ؛ فعُلِمَ أن التقبيل لا يستلزم العبادة والتعظيم ؛ فقد يكون مصدره الحبّ.

وقد أبان هذه الحقيقةَ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رؤوس الأشهاد ؛ فعندما أراد أن يقبل الحجر الأسود لدى الطواف ، قال على مرأى من الأعراب ما معناه : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ؛ فلو كان الحجر معبودًا ، لما قال له عمر رضي الله : إنك لا تضر ولا تنفع ؛ فعُلِمَ أن الدافع إلى تقبيله هو الحبّ .

مطلب الثالث: الركن اليماني.

قد جاء في كتاب (التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم) لمؤلفه محمد طاهر الكردي المكي ج٣ ص ٢٥٦ أن حجر الركن اليماني يرجع عهده إلى بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، وأنه باق إلى يومنا هذا ، وأن كل من جدد بناء الكعبة حافظ على هذا الركن . وذكر أنه في عام ١٠٤٠ هـ في عهد السلطان مراد الرابع الذي جدد بناء الكعبة ، انكسر طرف حجر الركن ، فوُضع في محل ذلك رصاص مذاب.

وقد سبق ذلك إلصاق قطع الركن وتسميرها ، في عهد الفاطميين.

فلعل ما شاهدته هو ذلك الرصاص وأثر المسامير ، مع تغير لونها من أثر الطيب واستلام الطائفين.

والمشروع هو استلام هذا الركن دون تقبيل أو تكبير فإن لم يتمكن من استلامه فإنه لا يشير إليه ؛ لعدم ورود ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

الركن اليماني كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستلمه ولم يكن يكبر ، وعلى هذا فلا يسن التكبير عند استلامه. (الشرح الممتع ٢٨٣/٧)

وقال الشيخ الألباني رحمه الله:

ويستلم الركن اليماني بيده في كل طوافة ، ولا يقبله ، فإن لم يتمكن من استلامه لم تشرع الإشارة إليه بيده. (مناسك الحج والعمرة ص ٢٢).

أما الاستلام فقد دل عليه ما رواه الحاكم من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف بالبيت استلم الحجر والركن في كل طواف " (صحيح الجامع رقم ٤٧٥١).

وجاء في فضل استلام الركن اليماني قوله صلى الله عليه وسلم : " إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا " رواه أحمد عن ابن عمر وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢١٩٤.

المطلب الرابع: الملتزم.

الملتزم : هو من الكعبة المشرَّفة ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، ومعنى التزامه أي : وضع الداعي صدره ووجهه وذراعيه وكفيه عليه ودعاء الله تعالى بما تيسر له مما يشاء.

وليس هناك دعاء معين يدعوه المسلم في ذلك المكان ، وله أن يلتزمه عند دخوله الكعبة (إن تيسَّر له دخولها) ، وله أن يفعله قبل طواف الوداع ، وله أن يفعله في أي وقت شاء ، وينبغي للداعي أن لا يضيِّق على غيره فيطيل الدعاء ، كما لا يجوز مزاحمة الناس وأذيتهم من أجله ، فإن رأى فسحة ومجالاً دعا وإلا فيكفيه الدعاء في الطواف وسجود الصلاة.

والذي جاء عن الصحابة – رضي الله عنهم– في الالتزام أصح مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

عن عبد الرحمن بن صفوان قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قلت : لألبسن ثيابي ، وكانت داري على الطريق فلأنظرن كيف يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم وقد وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطهم . رواه أبو داود (١٨٩٨) وأحمد (١٥١٢٤).

وفيه : يزيد بن أبي زياد ، ضعَّفه ابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة وغيرهم.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : طفت مع عبد الله فلما جئنا دبر الكعبة قلت : ألا تتعوذ ؟ قال : نعوذ بالله من النار ، ثم مضى حتى استلم الحجر ، وأقام بين الركن والباب ، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا وبسطهما بسطا ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله . رواه أبو داود (١٨٩٩) وابن ماجه (٢٩٦٢) . وفيه: المثنى بن الصباح ، ضعَّفه الإمام أحمد وابن معين الترمذي والنسائي وغيرهم. والحديثان يشهد كلٌّ منهما للآخر. وقد صححه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (٢١٣٨).

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " الملتزم بين الركن والباب. "

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وإنْ أحبَّ أنْ يأتيَ الملتزم - وهو ما بين الحجر الأسود والباب - فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته فعل ذلك ، وله أنْ يفعل ذلك قبل طواف الوداع فإنَّ هذا الالتزام لا فرق بين أنْ يكون حالَ الوداع أو غيره ، والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين دخول مكة ، وإنْ شاء قال في دعائه الدعاء المأثور عن ابن عباس : اللهمَّ إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرتَ لي مِن خلقك وسيرتَني في بلادك حتى بلغتَني بنعمتِك إلى بيتِك وأعنتَني على أداء نسكي فإنْ كنتَ رضيتَ عني فازدَدْ عني رضا وإلا فمِن الآن فارضَ عني قبل أنْ تنآى عن بيتك داري فهذا أوان انصرافي إنْ أذنتَ لي غير مستبدلٍ بك ولا ببيتِك ولا راغبٍ عنك ولا عن بيتِك اللهمَّ فأصحبني العافيةَ في بدني والصحةَ في جسمي والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتَني واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير. ولو وقف عند الباب ودعا هناك من غير التزام للبيت كان حسناً . " مجموع الفتاوى " (٢٦ / ١٤٢ ، ١٤٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله:-

وهذه مسألة اختلف فيها العلماء مع أنها لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم (يعني لم ترد في حديث صحيح ، بناءً على تضعيف الأحاديث الواردة في هذا) ، وإنما عن بعض الصحابة رضي الله عنهم ،فهل الالتزام سنة ؟ ومتى وقته ؟ وهل هو عند القدوم ، أو عند المغادرة ، أو في كل وقت ؟.

وسبب الخلاف بين العلماء في هذا : أنه لم ترد فيه سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا يفعلون ذلك عند القدوم.

والفقهاء قالوا : يفعله عند المغادرة فيلتزم في الملتزم ، وهو ما بين الركن الذي فيه الحجر والباب ...

وعلى هذا : فالالتزام لا بأس به ما لم يكن فيه أذية وضيق . " الشرح الممتع " (٧ / ٤٠٢ ، ٤٠٣).

المطلب الخامس: حجر إسماعيل.

ننبه أولا إلى أن تسمية الناس للحِجر بحِجر إسماعيل تسمية لا أصل لها ، ولا علم لإسماعيل عليه السلام بهذا الحجر ، فقد بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة بناء كاملا مشتملا على هذا الحجر ، ثم إن جدران الكعبة تصدعت من أثر حريق وسيل جارف حدث قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهدمت قريش ما بقي من جدرانها ، ثم أعادت بناءها ، فقصرت بها النفقة الطيبة عن إتمام البناء على قواعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فأخرجوا منها الحِجر ، وبنوا عليه جدارا قصيرا دلالة على أنه منها ، وكانوا قد شرطوا على أنفسهم ألا يدخلوا في بنائها إلا نفقة طيبة ، لا يدخلها مهر بغي ولا بيع ربا ، ولا مظلمة لأحد.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجَدْر أمن البيت هو ؟ قال نعم . قلت : فما بالهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال إن قومك قصرت بهم النفقة "(رواه البخاري ١٥٨٤ ومسلم ١٣٣٣).

والجَدر: لغة في الجدار ، والمراد به الحِجر.

فالصواب أن يقال : الحجر ، دون أن ينسب إلى إسماعيل عليه السلام.

ولم يثبت في حديث مرفوع أن هذا الحجر دفن فيه إسماعيل عليه السلام ، أو دفنت فيه هاجر. لكن وردت آثار موقوفة بأسانيد واهية تفيد أن قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر.

وانظر في ذلك : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للشيخ الألباني رحمه الله ص ٧٥ ، ٧٦

وكون إسماعيل عليه السلام يدفن أمه داخل الكعبة ، أو يدفنه أبناؤه فيها أمر مستبعد غاية الاستبعاد ، والقول به فرع عن ثبوته ، ولم يثبت شيء من ذلك ولله الحمد.

تقدم بيان خطأ تسمية الحجر بحجر إسماعيل ، لأن هذا الحجر إنما صار حجرا بعد إسماعيل عليه السلام بزمن بعيد ، وأن الصواب أن يقال : الحجر فقط ، دون أن ينسب لأحد، ثانيا:

الحِجر جزء من الكعبة ، فمن صلى فيه فقد صلى في الكعبة ، والصلاة في الكعبة تجوز في النفل فقط ، كما فعل صلى الله عليه وسلم ، فقد روى البخاري (٥٠٥) ومسلم (١٣٢٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْكَعْبَةَ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَبِلَالٌ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْحَجَبِيُّ فَأَغْلَقَهَا عَلَيْهِ وَمَكَثَ فِيهَا فَسَأَلْتُ بِلَالًا حِينَ خَرَجَ مَا صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ جَعَلَ عَمُودًا عَنْ يَسَارِهِ وَعَمُودًا عَنْ يَمِينِهِ وَثَلَاثَةَ أَعْمِدَةٍ وَرَاءَهُ وَكَانَ الْبَيْتُ يَوْمَئِذٍ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ ثُمَّ صَلَّى.

وروى أبو داود (٢٠٢٨) والترمذي (٨٧٦) والنسائي (٢٩١٢) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَدْخُلَ الْبَيْتَ فَأُصَلِّيَ فِيهِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي فِي الْحِجْرِ فَقَالَ : (صَلِّي فِي الْحِجْرِ إِذَا أَرَدْتِ دُخُولَ الْبَيْتِ فَإِنَّمَا هُوَ قَطْعَةٌ مِنْ الْبَيْتِ فَإِنَّ قَوْمَكِ اقْتَصَرُوا حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ فَأَخْرَجُوهُ مِنْ الْبَيْتِ).

قال ابن قدامة رحمه الله : " : ولا تصح الفريضة في الكعبة , ولا على ظهرها . وجوزه الشافعي وأبو حنيفة ; لأنه مسجد , ولأنه محل لصلاة النفل , فكان محلا للفرض , كخارجها . ولنا : قول الله تعالى (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) والمصلي فيها أو على ظهرها غير مستقبل لجهتها , والنافلة مبناها على التخفيف والمسامحة , بدليل صلاتها قاعدا , وإلى غير القبلة , في السفر على الراحلة."

ثم قال :" وتصح النافلة في الكعبة وعلى ظهرها . لا نعلم فيه خلافا ; لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في البيت ركعتين " انتهى من "المغني" (١/ ٤٠٦).

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله :" نشاهد بعض الناس يتزاحمون من أجل الصلاة في حجر إسماعيل ، فما حكم الصلاة فيه ، وهل له مزية ؟

فأجاب : الصلاة في حجر إسماعيل مستحبة ; لأنه من البيت ، وقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أنه دخل الكعبة عام الفتح وصلى فيها ركعتين » متفق على صحته من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن بلال - رضي الله عنه.-

وقد ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه « قال لعائشة - رضي الله عنها - لما أرادت دخول الكعبة : صلي في الحجر فإنه من البيت».

أما الفريضة فالأحوط عدم أدائها في الكعبة أو في الحجر ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يفعل ذلك ، ولأن بعض أهل العلم قالوا : إنها لا تصح في الكعبة ولا في الحجر ; لأنه من البيت. وبذلك يعلم : أن المشروع أداء الفريضة خارج الكعبة ، وخارج الحجر ، تأسيا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وخروجا من خلاف العلماء القائلين بعدم صحتها في الكعبة ولا في الحجر ، والله ولي التوفيق " انتهى من "فتاوى الشيخ ابن باز" (١١/ ٣٨٩).

والحاصل أن الصلاة في الحجر مستحبة ، ويقتصر فيها على النافلة.

المطلب السادس: مقام إبراهيم.

قال الله تعالى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ{٩٦} فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ{٩٧}"آل عمران.

نرى في هذه الآية الكريمة كيف ذكر الله عز وجل بناء الكعبة المشرفة والتي قام ببنائها نبيا الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليه السلام وكيف أنّها هي أول بيت أقيم على الأرض لعبادة الله وليس

المسجد الأقصى كما يزعم اليهود، وقد قام الله عز وجل أيضاً بذكر مقام إبراهيم وهو الحجر الذي نراه هذه الأيام بجانب الكعبة المشرفة.

وقد سمي مقام إبراهيم بهذا الإسم لأنّ نبي الله إبراهيم عليه السلام قام عليه عند بنائه للكعبة المشرفة بعد أن طالت عليه، ويقارب طول مقام إبراهيم عليه السلام نصف متر على هيئة حجر مربع ولا تزال آثار قدميه عليه السلام ظاهرة على الحجر إلى يومنا هذا إذ إنّ قدميه غاصتافي الحجر وقد كانت آثار قدميه ظاهرة فكما قال أنس ابن مالك رضي الله عنه: " رأيت المقام فيه أصابعه وأخمص قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم".

وقد اختلف الناس بمكان المقام فهنالك القول الأول والذي يقول إنّ المقام كان ملاصقاً للكعبة المشرفة لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام بإزاحته إلى مكانه الذي هو عليه الآن لازدحام الناس حول الكعبة من أجله، أمّا القول الآخر أنّ مقام إبراهيم عليه السلام لم يتغير من مكانه حتى وقتنا هذا فهذا المكان الذي كان عليه المقام منذ عهد أنبياء الله محمد وإبراهيم عليهما صلوات الله وسلامه حتى زماننا هذا وعلى كلا القولين أدلة وبراهين.

أمّا عن وصف الحجر فهو حجر مكعب الشكل يبلغ ارتفاعه كما أسلفنا قرابة النصف متر ويبعد عن الكعبة المشرفة ما يقارب عشرة أمتار من الناحية الشرقة للكعبة، وهو حجر رخو إذ إنّ قدمي إبراهيم عليه السلام قد غاصتا فيه ولا تزال آثارهما ظاهرتين حتى وقتنا هذا في وسط الحجر، ولم يكن هنالك أي حاجز يحمي المقام حوله فكان الناس يتمسحون به كما ذكر الصحابة رضوان الله عليهم لكن تم وضع حاجز للمقام بعد فتنة القرامطة الذين قاموا بسرقة الحجر الأسود لحمايته منهم وقد كان في بادئ الأمر عبارة عن قبتين أحدهما حديدية والأخرى خشبية وشهد بعد ذلك تطوراً خلا العصور الإسلامية حتى أصبح في عصرنا هذا عبارة عن صرح بلوري ونحاسي كما نراه في أيامنا هذه.

المبحث الثاني: ماء زمزم.

زمزم اسم للبئر المشهورة في المسجد الحرام ، بينها وبين الكعبة المشرفة ثمان وثلاثون ذراعاً. وهي بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، التي سقاه الله تعالى منها حين ظمأ وهو رضيع ، فالتمست له أمه الماء فلم تجده ، فقامت إلى الصفا تدعوا الله تعالى وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك ، وبعث الله جبريل فهمز بعقبه في الأرض فظهر الماء.

الشرب من ماء زمزم:

اتفق أهل العلم رحمهم الله إلى أنه يستحب للحاج والمعتمر خصوصاً وللمسلم في جميع الأحوال عموماً أن يشرب من ماء زمزم ، لما جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم : " شرب من ماء زمزم " رواه البخاري ٤٩٢/٣ . وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ماء زمزم : " إنها مباركة إنها طعام طعم " رواه مسلم ١٩٢٢/٤ زاد الطيالسي ٦١ في رواية له : " وشفاء سقم " . أي شرب مائها يغني عن الطعام ويشفي من السّقام لكن مع الصدق كما ثبت عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه أقام شهراً بمكة لا قوت له إلا ماء زمزم.

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : تنافس الناس في زمزم في زمن الجاهلية حتى كان أهل العيال يفِدون بعيالهم فيشربون فيكون صبوحاً لهم (شرب أول النهار) ، وقد كنا نعدّها عوناً على العيال ، قال العباس : وكانت تسمى زمزم في الجاهلية (شباعة).

قال العلامة الأبّي رحمه الله:

هو لما شرب له ، جعله الله تعالى لإسماعيل وأمه هاجر طعاماً وشراباً ،ودخل ابن المبارك زمزم فقال : اللهم إن ابن المؤمّل حدثني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ماء زمزم لما شرب له " فاللهم إني أشربه لعطش يوم القيامة.

وقد غسل الملكان قلب النبي صلى الله عليه وسلم في صغره بعدما استخرجاه ثمّ ردّاه ، قال الحافظ العراقي رحمه الله : حكمة غسل صدر النبي صلى الله عليه وسلم بماء زمزم ليقوى به صلى الله عليه وسلم على رؤية ملكوت السموات والأرض والجنة والنار ؛ لأنّ من خواص ماء زمزم أنه يقوّي القلب ويسكّن الرّوع . وخبر غسل صدر النبي صلى الله عليه وسلم بماء زمزم ثبت من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فرج سقفي وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا " رواه البخاري ٤٢٩/٣.

ويسنّ للشارب أن يتضلّع من ماء زمزم ، والتضلّع : الإكثار من شربه حتى يمتلئ ، ويرتوي منه يشبع ريّاً.

وقد ذكر الفقهاء آداباً تستحب لشرب ماء زمزم ، منها استقبال الكعبة ، والتسمية ، والتنفس ثلاثاً ، والتضلع منها ، وحمد الله بعد الفراغ ، والجلوس عند شربه كغيره وأما حديث ابن عباس

رضي الله عنهما أنه قال : " سقيت النبي صلى الله عليه وسلم من زمزم وهو قائم " رواه البخاري ٤٩٢/٣ . فمحمول على أنه لبيان الجواز ، وأن النهي عن الشرب قائماً للكراهة ، واستحبوا أيضاً لمن يشرب من زمزم نضحه الماء على رأسه ووجهه وصدره ، والإكثار من الدعاء عند شربه ، وشربه لمطلوبه من أمر الدنيا والآخرة لما جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : " ماء زمزم لما شرب له " رواه ابن ماجه ١٠١٨/٢ وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٥٩.

وروي عن ابن عباس : أنه إذا شرب من ماء زمزم قال : اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء.

وحكى الدينوري عن الحميدي قال : كنا عند سفيان بن عيينة فحدثنا بحديث ماء زمزم لما شُرب له ، فقام رجل من المجلس ثم عاد فقال : يا أبا محمد : أليس الحديث الذي حدثتنا في ماء زمزم صحيحاً ؟ قال : نعم . قال الرجل : فإني شربت الآن دلواً من زمزم على أنك تحدثني بمائة حديث ، فقال سفيان : اقعد فقعد ، فحدّثه بمائة حديث.

واستحب بعض الفقهاء التزود من ماء زمزم وحمله إلى البلاد لأنه شفاء لمن استشفى ، وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها حملت من ماء زمزم في القوارير ، وقالت : حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وكان يصبّ على المرضى ويسقيهم " رواه الترمذي ٣٧/٤.
واتفق الفقهاء على أن التطهير بماء زمزم صحيح ، لكن نصوا على عدم استعماله في مواضع الامتهان كإزالة النجاسة ونحو ذلك . قال العلامة البهوتي رحمه الله في كتابه كشاف القناع : (و) كذا يكره (استعمال ماء زمزم في إزالة النجس فقط) تشريفاً له، ولا يكره استعماله في طهارة الحدث ، لقول علي: «ثم أفاضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بسجلٍ من ماءِ زمزم فشربَ منهُ وتوضَّأ» رواه عبد الله بن أحمد بإسناد صحيح .

قال الحافظ السخاوي رحمه الله في المقاصد الحسنة:

يذكر على بعض الألسنة أن فضيلته ما دام في محله فإذا نقل يتغيّر وهو شيء لا أصل له ، فقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى سهيل بن عمرو : " إن وصل كتابي ليلاً فلا تصبحن أو نهاراً فلا تمسين حتى تبعث إليّ بماء زمزم ، وفيه أنه بعث بمزادتين وكان حينئذ بالمدينة قبل أن يفتح مكة ، وهو حديث حسن لشواهده ، وكذا كانت عائشة رضي الله عنها تحمل وتخبر أنه صلى الله عليه

وسلم كان يفعله وأنه كان يحمله في الأداوي والقرب فيصب منه على المرضى ويسقيهم ، وكان ابن عباس إذا نزل به ضيف أتحفه بماء زمزم ، وسئل عطاء عن حمله فقال : قد حمله النبي صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين.

المبحث الثالث: الصفا والمروة.

فلعل سبب تسمية الصفا والمروة بهذين الاسمين جاء من الاشتقاق اللغوي، كما قال صاحب تفسير التحرير والتنوير :الصفا والمروة اسم لجبلين صغيرين متقابلين، فأما الصفا فرأس نهاية جبل أبي قبيس وأما المروة فرأس منتهى جبل قُعَيقِعَانَ، وسمي الصفا لأن حجارته من الصفا وهو الحجر الأملس الصلب، وسمي المروة مروة لأن حجارتها من المرو، وهي الحجارة البيضاء اللينة التي توري النار .وذكر القرطبي رحمه الله سبباً آخر للتسمية فقال في تفسيره :أصل الصفا في اللغة الحجر الأملس وهو جبل بمكة معروف، وكذلك المروة جبل أيضاً... وذكر الصفا لأن آدم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقف عليه فسمي به، ووقفت حواء على المروة فسميت باسم المرأة فأنثت لذلك. والله أعلم .ولا شك أن للصفا والمروة أهمية عظيمة في نفوس العرب ومكانة كبيرة في تاريخ المسلمين، بل وفي تاريخ البشرية كلها، فهما من الآثار العظيمة والمشاعر المقدسة، والذكريات التاريخية التي خلدها الإسلام في كتابه العزيز، وفرض على المسلمين السعي بينهما والوقوف عليهما تخليدا لذكرى وقوف آدم وحواء عليهما، كما جاء في بعض الأخبار، وشكراً لنعمة الله تعالى على هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام وعلى البشرية من بعدهما، عندما نبع ماء زمزم لهاجر بعد سعيها سبع مرات بين الصفا والمروة. ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً :أن هاجر أم إسماعيل لما تركها إبراهيم بموضع مكة ومعها ابنها إسماعيل وهو رضيع وترك لها جرابا من تمر وسقاء فيه ماء، فلما نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً فهبطت من الصفا وأتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم :فلذلك سعى الناس بينهما .فسمعت صوتا فقالت في نفسها: صه، ثم تسمعت

فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غُوَاثٌ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه حتى ظهر الماء، فشربت وأرضعت ولدها.

المبحث الرابع: عرفات،منى،مزدلفة.

إنّ البحث الذي نريد الكتابة عنه هو بحثٌ تاريخيٌّ جغرافيٌّ يكون موضوعاً لأحكام شرعيّة كثيرة، ألا وهو تحديد (عرفات، مزدلفة، منى) وقد ذكر الفقهاء الأحكام الكثيرة الواردة على هذه الموضوعات الثلاثة، ولإن كان الموضوع قد حدّده الشارع المقدّس في الروايات الواردة عن المعصوم ، إلاّ أنّ المصداق لهذا المفهوم لا بدّ من أخذه من أهل الخبرة في تعيين ما حدّده الشارف وعلى هذا فنحن بحاجة:
أوّلاً: إلى ما حدّده الشارع المقدّس كمفهوم لهذه الألفاظ الثلاثة.

وثانياً: إلى تعيين هذه المواضع إمّا من شياع أهل الخبرة إذا اختلفوا في تعيين المصداق، أو لم يختلفوا حيث أنّه يفيد علماً أو اطمئناناً.

ولا يخفى أنّ القاعدة عند الشكّ في تعيين المصداق تقتضي الاقتصار على القدر المتيقّن; لقاعدة الاشتغال اليقيني الذي يستدعي الفراغ اليقيني، بمعنى أنّ مشكوك الموقفيّة أو الموضعيّة يوجب الشك في الامتثال الذي حدّد في هذه الأمكنة، فتجري القاعدة.

ولا بأس بالتنبيه إلى أنّنا لا نبخل ببعض الاشكالات والأبحاث الفقهيّة التي تتعلّق بهذه الدراسة. فنقول وبالله التوفيق.

أوّلاً حدود عرفات:
إنّ عرفات منطقة تقع شرقيّ مكّة بحوالي ٢٢ كم وهي سهل واسع منبسط مُحاط بقوس من الجبال يكون وتره وادي عَرَفَة، فمن الشمال الشرقي يُشرف عليها جبل أسمر شامخ وهو (جبل سعد) ومن مطلع الشمس يشرف عليها جبل أشهب أقلّ ارتفاعاً من سابقه ويتّصل به من الجنوب، وهذا يسمى (مِلْحه)، ومن الجنوب تشرف عليه سلسلة لاطية سوداء تسمّى (أُمّ الرضوم) أمّا من الشمال إلى الجنوب فيمرّ وادي عَرَفَة .

وقد ذكرت الروايات حدود عرفات ممّا يلي الحرم، حيث إنّه هو الذي يحتاج إلى تحديد، أمّا الجهات الثلاث الأُخرى فكأنّها لا تحتاج إلى تحديد; لوجود سلسلة الجبال التي تقطع بين عرفات وغيرها. فقالت الروايات وتبعها الفقهاء: بأنّ الحاج لو وقف "بنَمِرَة أو عَرَفَة، أو ثوية أو ذي المجاز أو بجنب الأراك أو غير ذلك ممّا هو خارج عن عَرَفَة لم يجزه"، فمن الروايات:

١. صحيح معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق قال: "فإذا أنتهيت إلى عَرَفات فاضرب قباك بنَمِرَة وهي بطن عُرَنَة دون الموقف ودون عُرَنَة... وحدّ عَرَفَة من بطن عُرَنَة وثوية ونَمِرَة إلى ذي المجاز، وخلف الجبل موقف".

٢. خبر سماعة عن الإمام الصادق: "واتّقِ الأراك ونَمِرَة وهي بطن عُرَنَة، وثوية وذي المجاز فإنّه ليس من عَرَفَة ولا تقف فيه".

٣. خبر إسحاق بن عمّار عن الإمام الكاظم. قال: قال رسول الله: "ارتفعوا عن وادي عُرَنَة بعرفات".

أقول: إنّ هذه الأماكن الخمسة هي حدود عَرَفَة من ناحية الغرب (الحرم) وهي راجعة إلى أربعة كما هو المعروف من الحدود، لأنّ نَمِرَة هي بطن عَرَفَة كما روي في حديث معاوية المتقدّم عن الإمام الصادق.

شرح الألفاظ

١. نَمِرَة:

بفتح النون وكسر الميم وفتح الراء المهملة (وهي بطن عُرَنَة) كما ذكرت الروايات المتقدّمة.

وقد ذكر ابن تيمية عن نَمِرَة فقال: "كانت قرية خارجة عن عرفات من جهة اليمن، فيقيمون فيها إلى الزوال كما فعل النبي ثمّ يسيرون منها إلى بطن الوادي، وهو موضع النبيّ الذي صلّى فيه الظهر والعصر وخطب، وهو في حدود عَرَفَة لبطن عُرَنَة وهناك مسجد يُقال له مسجد إبراهيم، وانّما بُني في أوّل دولة بني العبّاس".

وقال ابن القيّم: "نَمِرَة قرية غربيّ عرفات، وهي خراب اليوم، نزل بها النبي حتّى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرحّلت له، ثمّ سار حتّى أتى بطن الوادي من أرض عَرَفَة فخطب الناس، وموضع خطبته لم يكن من الموقف، فإنّه خطب بعُرَنَة، وليس من الموقف، فهو نزل بنَمِرَة وخطب بعُرَنَة ووقف بعَرَفَة".

والمُراد من المسجد الذي يسمّى مسجد إبراهيم فيما ذكره ابن تيمية، هو المسجد القديم الذي اختلف فيه أنّه من عرفات أو خارجها على ثلاثة اقوال:

١. فقدذكر إمام الحَرَمين الجويني والقاضي حسين والرافعي وجماعة من الخراسانيّين قالوا: إنّ مقدّم المسجد القديم في وادي عُرَنَة ومؤخّره في عَرَفات، ويتميّز ذلك بصخرات كبار فُرِشت هناك.

٢. قال في البحر العميق نقلاً عن الطرابلسي وغيره: "إنّ جميع المسجد القديم من عَرَفَة وإن جداره الغربيّ لو سقء لسقط على بطن عُرَنَة".

٣. صرّح كثيرٌ من علماء الإسلام بعدم دخول المسجد القديم في عَرَفَة تبعاً للروايات المشتملة على صفة حجّ رسول الله فقد روى معاوية بن عمّار حجّ النبيّ فقال: "حتى انتهى إلى نَمِرَة وهي بطن عُرَنَة بحيال الأراك، فضرب قبّته وضرب الناس أخبيتهم عندها، فلمّا زالت الشمس خرج رسول الله ومعه قريش وقد اغتسل وقطع التلبية حتّى وقف بالمسجد، فوَعَظ الناس وأمَرَهم ونهاهم، ثمّ صلّى الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتَين، ثمّ مضى إلى الموقف فوقف به".

وقد قال الشافعي (وهو مكّي قرشي) في الْأُمّ: "و عَرَفَة ما جاوز وادي عُرَنَة الذي فيه المسجد، وليس المسجد ولا وادي عُرَنَة من عَرَفَة".

وقال النووي في الايضاح: "واعلم أنّه ليس من عرفات وادي عُرَنَة ولا نَمِرَة ولا المسجد المسمّى مسجد إبراهيم يُقال له أيضاً: مسجد عُرَنَة، بل هذه المواضع خارجة عن عرفات على طرفها الغربيّ ممّا يلي مُزْدَلِفَة".

أقول: إنّ القاعدة التي ذكرناها في أوّل البحث في خصوص ما إذا اختلف أهل الخبرة في كون المسجد من عَرَفات أو خارج عنها، فإنّ المدار على الشياع الذي يفيد الاطمئنان بأنّ المسجد ليس من عَرَفَة، على أنّ ظاهر الصحيحة المتقدّمة أنّه خارج عن موقف عرفات، كما هو الأحوط لهذه العبادة العظيمة.

ومساحة ضلع هذا المسجد القديم من مبتدئه من الناحية الغربيّة إلى منتهاه من الناحية الشرقيّة (مائة ذراع وثلاث وستّون ذراعاً) كما ذكره الأزرقي في أخبار مكّة، وأنّ مساحة ضلعه من ركنه الشمالي الشرقي إلى الركن الجنوبي الشرقي (مائتان وثلاث عشرة ذراعاً).

ولكن حصلت زيادات على القدر القديم للمسجد، فإن كانت هذه الزيادة لجهة المشرق فقد دخلت هذه الزيادة في عَرَفَة كما قال البعض وهو القشيري، فقد قال: "والمسجد أي القديم الذي يصلّي فيه الإمام اليوم يوم عَرَفَة هو في بطن عُرَنَة فإذا خرج منه الإنسان يريد الوقوف فقد صار في عَرَفَة".

ولكن إذا أخذنا بهذا القول الشائع والمشهور، وقلنا: إنّ المسجد القديم ليس من عرفات، وقد صلّى النبيّ الظهر والعصر فيه، فسوف تواجهنا مشكلة ينبغي حلّها، وهذه الشكلة عبارة عن القول بعدم وجوب الوقوف في عَرَفَة من أوّل الزوال إلى الغروب اختياراً، بل يكفي الوقوف بعَرَفَة بعد الزوال بمقدار ما يغتسل ويصلّي ويخطب ويذهب إلى الموقف، بينما ذُكر أنّ وقت الاختيار في الوقوف بعَرَفَة هو من زوال الشمس إلى غروبها وأنّ الركن هو المسمّى وكأنّ هذا من البديهيّات، فقد ذكر الشهيد الأوّل والثاني في كتاب اللُمعة الدمشقيّة وشرحها بأنّ من الواجبات "الوقوف بمعنى الكون بعَرَفَة من زوال التاسع إلى غروب الشمس مقروناً بالنيّة المشتملة على قصد الفعل المخصوص متقرّباً بعد تحقّق الزوال بغير فصل، والركن من ذلك أمر كلّي وهو جزءٌ من مجموع الوقت بعد النيّة ولو سائراً، والواجب الكل".

وقد صرّح غير واحد من الفقهاء بذلك، بل في المدارك نسبته إلى الأصحاب، فيجب مقارنة النيّة للزوال ليقع الوقوف بأسره بعد النيّة، وإلاّ فات جزءٌ منه، ثمّ لو أخّر أثم إلاّ أنّه يجزي كما صرّح به في الدروس.

وهذه المشكلة وإن لم تُحلّ بناءً على وجوب الوقوف من الزوال إلى الغروب، إلاّ أنّها لا تعيّن لقول القائل بوجوب مسمّى الوقوف في عَرَفَات فقء فإنّ هذا القول يدفعه وجوب البقاء إلى الغروب وحُرمة الخروج من عَرَفات قبله، والكفّارة لِمَن تعمّد ذلك، ووجوب العَود إلى الموقف لو خرج إذا كانت الشمس لم تغرب.

وقد تحلّ هذه المشكلة بأحد حلَّين:
الحلّ الأوّل: (بناءً على وجوب الوقوف ما بين الحدَّين) بقولنا: إنّ المراد من الوقوف في عَرَفَة هو الوقوف العرفي الذي تكون مقدّماته المشرفة على الوقوف محسوبة منه، وعلى هذا تكون مقدّمات الوقوف المشتملة على الغسل والصلاة والخطبة والتهيّؤ للوقوف من الوقوف.

الحلّ الثاني: عدم وجود دليل يثبت وجوب الوقوف ما بين الحدَّين، بل ذكر ذلك بعض الفقهاء، وأمّا الدليل الذي ذكر لنا حجّ النبيّ فهو يدلّ على أنّ الوقوف يكون بعد الظهر بساعة مثلاً إلى غروب الشمس، وهذا الحلّ الثاني هو الأوفق، إذ انّ الحلّ الأوّل وإن كان يثبت أنّ مقدّمات الوقوف من الوقوف، إلاّ أنّه لم يثبت أنّ الوقوف كان في عَرفات.

قرائن على أنّ نَمِرَة من عَرَفَات

وإلى هنا كنّا نؤيّد قول القائل بأنّ نَمِرَة هي خارجة عن حدود عَرَفَات كما ذكرت ذلك الروايات، ولكنْ هناك قولٌ آخر يبيّن أنّ نَمِرَة من عَرَفَات لكنّها خارج موقف الدعاء، وسوف نذكر بعض القرائن على ذلك:

١. ما قاله في القاموس: "إنّها (أي نَمِرَة) موضعٌ بعَرَفات، أو الميل الذي عليه أقطاب الحَرَم" وحينئذ يكون المراد بمضيّه الرواح إلى الموقف، ميسرة الجبل الذي يستحبّ الوقوف فيه.

٢. إطلاق عَرَفات في بعض الأخبار على ما يشمل (نَمِرَة) أيضاً كما ورد في صحيح معاوية بن عمّار وأبي بصير جميعاً عن الإمام الصادق ، حيث قال: "وحدّ عَرَفات من المأزمَين إلى أقصى الموقف". وهذا الحديث صريحٌ في أنّ ما بعد المأزمَين إلى أقصى الموقف اسمه عرفات، ونَمِرَة داخلةٌ في عرفات حيث إنّها واقعةٌ على يمين مَن خرج مِن المأزمَين وأراد الموقف، وعلى هذا فيكون إطلاق عرفات على ما بعد نَمِرَة في بعض الأخبار لأجل أفضليّة هذه القطعة، أو لكونه محلاً للاعتراف بالذنوب، لا أنّ عرفات هي هذه القطعة فقط.

٣. ما ذُكر من استحباب الجمع بين الصلاتَين بعَرَفَة، قال في التذكرة: "ويجوز الجمع لكلّ مَن بعَرَفَة من مكّي وغيره، وقد أجمع علماء الإسلام على أنّ الإمام يجمع بين الظهر والعصر بعَرَفَة". وعلى هذا يظهر أنّ صلاة النبي كانت بعَرَفَة، ويشهد لهذا ما رُويَ عن دعائم الإسلام عن الإمام الصادق عن عليّ: "أنّ رسول الله غدا يوم عَرَفَة من منى فصلّى الظهر بعَرَفَة، لم يخرج من منى حتّى طلعت الشمس".

كما يظهر من خبر جذاعة الأسدي معروفيّة إيقاع الصلاتَين بعَرَفَة في ذلك الزمان حيث قال: "قلت للإمام الصادق: رجلٌ وقف بالموقف فأصابته دهشة الناس فبقى ينظر إلى الناس ولا يدعو حتّى أفاض الناس؟ قال: يجزيه وقوفه. ثمّ قال: أليس قد صلّى بعرفات الظهر والعصر وقنت ودعا؟ قلت: بلى. قال: فعرفات كلّها موقف وما قرب من الجبل فهو أفضل".

٤. لقد ذكر بعض الفقهاء أنّ نَمِرَة من عَرَفَة، فقد قال الصدوق في المقنع: "ثم تلبّي وأنت مارٌّ إلى عرفات، فإذا ارتقيت إلى عرفات فضرب خباءَك بنَمِرَة، فإنّ فيها ضَرَب رسول الله خباءه وقبّته، فإذا زالت الشمس يوم عَرَفَة فاقطع التلبية وعليك بالتهليل والتحميد والثناء على الله... ثمّ قال: إيّاك أن تفيض منها قبل غروب الشمس...".

وقال ابن بابويه في الفقيه: "فإذا أتيت إلى عرفات فاضرب خباءَك بنَمِرَة قريباً من المسجد، فإنّ ثمّ ضرب رسول الله خباءه وقبّته...".

وفي المقنعة: "ثمّ لِيُلَبّ وهو غاد إلى عرفات، فإذا أتاها ضرب خباءه بنَمِرَة قريباً من المسجد، فإنّ رسول الله ضرب قبّته هناك...".

وقد ذكر عن بعض الحنفيّة: أنّه قيل حدّ عرفات ما بين الجبل المشرف على بطن عرنة إلى الجبال المقابلة لعرنة ممّا يلي حوائط بني عامر وطريق الحضّ..

وعن الأزرقي: عن ابن عبّاس انّ حدّ عرفات من الجبل المشرف على بطن عرنة بالنون إلى جبال عرفات إلى وصيق إلى ملتقى وصيق ووادي عرنة.

وعن بعضهم أنّ مقدّم مسجد إبراهيم أوّله ليس من عُرَنَة ومقتضاه أنّ ما عدا الأوّل من عرفات فيمكن أن تكون صلاة النبيّ فيما كان منه من عرفات، ويشهد لذلك ما يُحكى عنهم من الجواب لأبي يوسف (عن إشكاله بمنافاة الصلاة للوقوف من أوّل الوقت إلى الزوال) بأنّه لا منافاة، فإنّ المصلّي واقف. وهذا كالصريح في كَون المسجد من عرفة، وقد تقدّم منّا عن الرافعي الجزم بذلك مع شدّة تحقيقه واطّلاعه.

أقول: إذا أخذنا بهذه القرائن على أنّ نَمِرَة التي فيها المسجد الذي يُقال عنه انّه مسجد إبراهيم، وقُلنا إنّ النبيّ قد صلّى فيه الظهر والعصر جمعاً، فيجب أن نفسر الروايات القائلة بذهاب النبيّ إلى الموقف بعد الصلاة، بإرادة موقف الدعاء في ميسرة الجبل الذي يُستحبّ فيه الوقوف أو التشاغل بما يقتضيه من الدعاء والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والدعاء لنفسه ولغيره ممّا جاءت به النصوص في ذلك الموقف.

والتحقيق: إنّ هذه القرائن كلّها لا تقف في وجه الروايات القائلة بأنّ الوقوف في (نَمِرَة) التي هي بطن عرنة لا يجزي.

ولا بأس بالتنبيه في آخر كلامنا عن نَمِرَة، بأنّ في حدود عرفات يوجد جبل اسمه (جبل نَمِرَة) وهو غير قرية نَمِرَة التي هي بطن عرنة وانّما عرّفه البلادي "بأنّه جبلٌ صغير بارز تراه غربك وأنت واقفٌ بعرفة بينك وبينه سيل وادي عرنة، وإذا كنت تؤمّ عرفة عن طريق ضب تمرّ بسفحه الشمالي".

وهذا الجبل خارج عن حدود عرفة كما هو واضح.

٢. عُرَنَة:

بضمّ العين المُهملة وفتح الراء المهملة وفتح النون هي وادي ما بين عرفات والحرم عرضاً وهو حدّ عرفات من الناحية الغربيّة، حيث يبتدئ من الجهة الشماليّة من مُلتقى وادي وصيق بوادي عُرَنَة، وينتهي من الجهة الجنوبيّة عندما يُحاذي أوّل سفح الجبل الواقع بين طريق المأزمين وطريق ضب والذي بطرفه الشمالي قرية نَمِرَة من الجهة الشرقيّة غربيّ الواقف هناك، وغربيّ سفح الجبال التي في منتهى عَرَفَة من الجهة الجنوبيّة الشرقيّة بخط مستقيم، وقد قُدِّرت المسافة بين وصيق بوادي عُرَنَة من الجهة الشماليّة إلى مُنتهاه من الجهة الجنوبيّة بخمسة آلاف متر.

وبين وادي عُرَنَة المذكور وبين الموقف عَلَمان كبيران يقعان شمالي شرقي مسجد إبراهيم، وهما الحدّ الفاصل بين وادي عُرَنَة وبين عَرَفَة كما ذكر ذلك تقيّ الدين الفاسي في كتابه (شفاء الغرام) حيث قال: "وكان ثمّة ثلاثة أعلام سقط أحدها وهو الذي إلى جهة المغمّس، وأثره بيّن، ورأيت عنده حجراً مُلقىً مكتوباً فيه: أمر الأمير الأصفهسلار الكبير مظفّر الدين صاحب إربل حسان أمير المؤمنين بإنشاء هذه الأعلام الثلاثة بين منتهى أرض عَرَفَة ووادي عُرَنَة، لا يجوز لحاجّ بيت الله العظيم أن يجاوز هذه الأعلام قبل غروب الشمس، وفيه كان دلك بتاريخ شعبان من شهور سنة (٦٠٥)، ورأيت مثل ذلك مكتوباً في حجر مُلقىً في أحد العَلَمَين الباقيَين، وفي هذَين العَلَمَين مكتوب: أمَرَ بعمارة عَلَمي عرفات، وأضاف كاتب ذلك: هذا الأمر للمستظهر العبّاسي، ثمّ قال: وذلك في شهر... سنة أربع وثلاثين وستمائة".

وقد تقدّم منّا ذكر الحديث عن النبيّ في خبر إسحاق الذي يقول: "ارتفعوا عن وادي عرنة بعرفات" وهو يدلّ دلالة واضحة على أنّ عرنة ليس من موقف عرفة، للأمر بالارتفاع عنه الذي لازمه النهي عن الإتيان بالوقوف فيه، وبعبارة أخرى أنّ وادي عُرَنَة لمّا كان ملاصقاً لموقف عَرَفَة، بل ومشابهاً له احتاج إلى أن يُنبَّه على عدم إجزاء الوقوف فيه والأمر بالوقوف حين الارتفاع عنه.

أقول: إنّ الأحاديث المتقدّمة التي ذكرت أنّ عُرَنَة ليست من عرفات، قد شخّصت منذ قديم الزمان بأعلام تفصل بين عَرَفَة ووادي عُرَنَة، وبهذا التحديد وبيان المصداق تخلّصنا من مشكلة التعيين التي لابدّ فيها من الرجوع إلى أهل الخبرة التي يضعف الاعتماد عليها كلّما تمادي الزمان.

إشكال في تعيين صُغرى عَرَفات

قلنا فيما تقدّم إنّ الروايات التي ذكرت بأنّ عُرَنَة ليست من عرفات قد شخّصها المتقدّمون علينا بزمن ليس بالقليل، فقد ارتفع إشكال تحديد معنى عرفات من ناحية المصداق، ولكن مع هذا بقي إشكال واحد هو: إذا كانت عُرَنَة هي وادي بين عرفات والحرم عرضاً، فينبغي أن يكون بانتهاء الوادي العرضي موقف عرفات، ولكنّنا نرى الآن بين العَلَمَين اللذين وضَعَهُما ملك إربل في عام (٦٠٥ هـ) وبين مجرى وادي عُرَنَة مسافة لا يقلّ عرضها عن مائة متر وهي مرتفعة عن وادي عُرَنَة، فكيف لا تكون داخلة في موقف عرفة؟

الجواب: انّه لا بدّ من الرجوع فيه إلى أهل الخبرة، فقد ذكروا أنّ مجرى وادي عُرَنَة آنذاك هو بداية وضع الأعلام، ولكن بما أنّ سهول عَرَفَة كلّها رمالٌ تنتقل فقد تراكمت الرمال في هذا الجانب من الوادي، وقد ذكر القاطنون في تلك الأماكن بأنّ سيل الوادي قد يشتد في بعض الأحيان فيعلو على هذه الأتربة ويُزيلها. وعلى هذا فيبقى أنّ حدّ عَرَفَة هو ما أثبت بواسطة الأعلام منذ قديم الزمان وأنّ الأحكام الشرعيّة لا تتبدّل ولا تتغيّر بتراكم الأتربة في أحد جانبي الوادي.

٣. ثَوِيَّة:

بفتح الثاء وتشديد الياء، لقد ذكر الطريحي في مجمع البحرَين قول: "والثويّة: حدٌّ من حدود عَرَفَة، وفي الحديث: ليست منها".

وقد ذكر في كتاب المجاز بين اليمامة والحجاز ما نصّه: "عرفات: إذا ترك الطريق ثنية (الجلُيلة) خلفه ووادي نعمان يساره، دلف إلى منطقة عرفات مارّاً بجنوبيّها غربيّها".

وقال البلادي في (معجم معالم الحجاز) معرّفاً الجلُيلة وهي بالتصغير وتشديد الياء المثنّاة شِعب يسيل من جبل ملحة فيصبّ في عرفة من الجنوب الشرقي مجتمعاً مع الأحموم، في رأسه ريع (يعني ثنية) بهذا الاسم يطلعك من عرفة على نعمان".

وقد ذكر محقّق كتاب هداية الناسكين هذا الاستنتاج: "وهذا يعني انّ هذه الثنية أو الريع حد من حدود عَرَفَة، وعليه فمن المظنون قويّاً أنّ كلمة (ثنية) دخلها تحريف النسخ فعادت ثَوِيَّة".

أقول: إذا كانت ثويّة أو ثنية هي حدّ عَرَفَة من ناحية الجنوب الغربي، فإنّ جنوب عَرَفَة جبالٌ ممتدّةٌ من المشرق إلى الجنوب، وقد اخترق فيها قبل فترة طريقٌ للسيّارات الذاهبة إلى الطائف، فما أدخله هذا الحدّ من حوائط ابن عامر وقرية عَرَفَة داخلٌ في عرفات. وقد نقل الطبري في القرى نقلاً عن البلخي في معرفة حائط بني عامر فقال: "حائط بني عامر غير عُرَنَة، وبقربه المسجد الذي يجمع فيه الإمام الظهر والعصر، وهو حائط نخل وفيه عين تُنسب إلى عبدالله ابن عامر بن كريز، قلت: وهي الآن خراب". وقد شوهد أخيراً الآثار لتلك الحوائط من الجهة الجنوبيّة عند ما كشفت الرياح من آثار المصانع والبرك الكبار والأساسات القويّة التي تشير إلى أنّه كان في الموضع المذكور قصورٌ وحوائط وجوابي واسعة تليق بمكانة هذا الرجل الشهير والذي قال ابن الأثير عنه: "إنّه أوّل مَن اتّخذ الحياض بَعَرَفَة وأجرى فيها العين".

وقال ياقوت في (معجم البلدان) نقلاً عن البشاري: "قرية عرفة: قرية فيها مزارع وخضر ومباطخ وبها دورٌ حسنة لأهل مكّة ينزلونها يوم عَرَفَة والموقف منها على صيحة". فإذا كانت قرية عَرَفَة داخلة في حدود عرفة، فالمراد من الموقف هنا هو الوقوف في سفح الجبل للدعاء الذي يكون مستحبّاً.

٤. ذو المجاز:

قال الأزرقي في أخبار مكّة: "و ذو المجاز: سوقٌ لهُذيل عن يمين الموقف مِن عَرَفَة قريب كبكب على فرسخ من عَرَفَة".

وقال حمد الجاسر: "يسمّى المجاز الآن، وهو وادي عظيم يحفّ كبكب من غربيّه ثمّ يمرّ بعرفات، وفيه مياه ومزارع على المطر، وسكّانه هذيل".

وقد اختصره صاحب الجواهر بقوله: "و هو سوق كانت على فرسخ من عرفة بناحية كبكب".

وفي الوافي: "و في النهاية: ذو المجاز موضعٌ عند عرفات كان يُقام فيه سوقٌ من أسواق العرب في الجاهليّة، والمجاز موضع الجواز والميم زائدة، سمّي به لأنّ إجازة الحاج كان فيه".

أقول: إذا كان ذو المجاز هو السوق فهو بعيدٌ من عرفات وليس حدّاً لها، وإذا كان هو الوادي العظيم الذي يمرّ بعرفات فتكون إحدى جهاته حدّاً لعرفات وهي الجهة الملاصقة لعرفات منه، ولمّا كان هذا الوادي شبيهٌ بعرفات نهى الشارع المقدّس عن الوقوف فيه.

٥. الأراك:

والمقصود به نعمان الأراك.

قال البلادي: "واد فحل من أودية الحجاز التهاميّة... وينحدر غرباً، فيمرّ جنوب عرفات عن قرب ثمّ يجتمع بعُرَنَة فيطلق عليه اسم عُرَنَة، يمرّ بين جبلَي كُساب وحَبَشي جنوب مكّة على أحد عشر كيلاً، ويكون هناك حدود الحرم الشريف، ويتّسع الوادي بين كبكب والقرضة فيسمّى خبت نعمان لفياحه وسعته".

وقال الجاسر: "و نعمان: واد عظيم يقطعه القادم من الطائف إلى مكّة من طريق كرا إذا أقبل على عرفات، وهو يحفّ جنوب عرفات، فيه مزارع ومياه كثيرة".

وقال في مجمع البحرين: "الأراك كسحاب شجر يُستاك بقضبانه له حمل كعناقيد العنب يملأ العنقود الكفّ، والمراد به هنا موضعٌ بعرفة من ناحية الشام قرب نَمِرَة".

أقول: يبدو كما ذكرنا سابقاً أنّ الأراك ليس من حدود عرفة لعدم ملاصقته للحدود وإنّما نُهي عن الوقوف فيه وصرّح بعدم الإجزاء لاحتمال الاشتباه في الوقوف فيه.

وقد ذكر الدكتور الفضلي أنّ عين زبيدة الشهيرة تنبع منه.

والخلاصة: فعرفة من جهة الشمال الشرقي حدّها جبل سعد (جبل عرفات).

ومن جهة الشرق سلسلة جبال.

وكذا من جهة الجنوب.

ومن الغرب وادي عُرَنَة.

وعلى هذا فسيكون ذو المجاز (إذا لم يكن هو السوق) فهو حدّها من جهة الشمال الغربي.

وأمّا الأراك فهو ليس حدّاً لعَرَفَة كما هو واضح.

وجوه الجبال المحيطة بعَرَفَات داخلة في الموقف

قد يقال: إنّ الجبال المحيطة بعرفات بما أنّها حدّ لعرفات فهي خارجةٌ عن الحدود فلا يجوز الوقوف بها، مثلها مثل الحدود التي ذكرت في الرواية لعرفة فإنّها خارجةٌ عن الحدود.

ولكن نقول: إنّ الروايات التي ذكرت حدود عَرَفَة مثل (نَمِرَة وعُرَنة وثَوِيَّة وذي المجاز والأراك) قد صرحّت بخروجها عن عَرَفَة للنهي الذي ورد في الوقوف بها أو الأمر بالاتّقاء.

أمّا الجبال المحيطة بعرَفَة فالمفهوم الارتكازي أن واجهاتها من عَرَفَة. بالإضافة إلى وجود القرائن الكثيرة الدالّة على دخول واجهات الجبال في عرفة.

منها:

١. موثّقة إسحاق بن عمّار، قال سألت الإمام موسى بن جعفر عن الوقوف بعرفات فوق الجبل أحبّ إليك أم على الأرض؟ فقال: "على الأرض". وواضح أنّ على الجبل يكون محبوباً إليه، إلاّ أنّ الأرض أحبّ إليه، وهو معنى الجواز.

٢. صحيح معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق في حديث قال: "و حدّ عَرَفَة من بطن عُرَنَة وثَوِيَّة ونَمِرَة إلى ذي المجاز، وخلف الجبل موقف" ومراده خلف الجبل الذي يكون وجهه إلى عرفات، وهو يشمل كلّ ما يكون خلفه حتّى جهته التي تكون إلى عرفات.

٣. استحباب الوقوف في مَيْسرة الجبل: ومعنى ذلك على أكثر تقدير كراهة الوقوف على واجهة الجبل وهو معنى الجواز، فقد روى معاوية بن عمّار في الصحيح عن الإمام الصادق قال: "قف في ميسرة الجبل، فإنّ رسول الله وقف بعرفات في ميسرة الجبل، فلمّا وقف جعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته فيقفون إلى جانبه فنحّاها; ففعلوا مثل ذلك، فقال: أيّها الناس إنّه ليس موضع أخفاف ناقتي الموقف، ولكن هذا كلّه موقف وأشار بيده إلى الموقف".

٤. عدم وجود أي رواية ولو ضعيفة في النهي عن الصعود على واجهة الجبال سواء كانت في عَرَفَة أو المُزْدَلِفَة أو منى، وما ذاك إلاّ لأوضحيّة جواز الوقوف عليها ودخولها في الحدّ.

٥. ما قاله الماوردي عن الشافعي: "حيث وقف الناس من عرفات في جوانبها ونواحيها وسهولها وبطاحها وأوديتها... إلخ" فإنّ هذاالكلام إذا ثبت تتمّ دليليّة بعدم الردع من قبل الإمام.

فتبيّن من هذه الأدلّة إجزاء الوقوف على واجهة الجبل المطلّة على عرفات أو منى أو مزدلفة على كراهيّة فيها.

ثانياً حدود المزدلفة:
ويقال لها جُمَع (كما في بعض مناسك الحجّ).

ويقال لها المشعر الحرام، أو المشعر اختصاراً، أخذاً بقوله تعالى ﴿فإذا أفَضْتُمْ مِنْ عَرَفات فاذْكُرواالله عِنْدَ المَشْعَرِالحَرام﴾ ولكن يُطلق المشعر على نفس المسجد القائم في المزدلفة، ويؤيّده العنديّة المذكورة في الآية، كما يطلق على جبل قُزَح أيضاً، فقد ورد استحباب وطء صرورة المشعر برجله، فقد حُكي عن الشهيد الأوّل في الدروس: "والظاهر أنّه المسجد الموجود الآن"، وورد استحباب الصعود على قُزَح (بضمّ القاف وفتح الزاي المعجمة)، قال الشيخ الطوسي (رحمه الله): "هو المشعر الحرام، وهو جبلٌ هناك يستحبّ الصعود عليه وذكر الله عليه".

وعلى هذا الذي تقدّم يكون إطلاق المشعر على المزدلفة كلّها إطلاقاً مجازياً من باب تسمية الشيء باسم الجزء.

وأمّا جمع: التي ضُبِطَت في بعض مناسك الحجّ بضمّ الجيم وفتح الميم، فقد ضُبِطَت عند الجغرافيّين والبلدانيّين وأهل اللغة والمعاجم (بفتح الجيم وسكون الميم) فقد قال الشريف الرضي:
أُحِبُّكَ ما أقامَ منى وجَمْع وما أرسى بمكّة أخشباها

وقد سميّت بذلك لاجتماع الحجّاج فيها بعد الإفاضة من عرفات.

وأمّا تسميتها بالمزدلفة: وبدون أل على صيغة اسم الفاعل على زِنَة (مُفْتَعِل) وقد جاءت هذه التسمية من الازدلاف بمعنى التقدّم والإفاضة كما جاء في حديث معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق: "وانّما سُميّت مزدلفة لأنّهم ازدلفوا إليها من عرفات". ومقتضى مفاد هذا الحديث أن يكون لفظها بصيغة اسم المفعول (مزدلَفة) بفتح اللام لأنّها اسم مكان.

حدود المزدلفة: لقد ذكرت الروايات حدود المزدلفة (بما بين المأزمين إلى الحياض إلى وادي محسِّر".

وفي صحيح زرارة عن الإمام الباقر قال: "حدُّها ما بين المأزمين إلى الجبل إلى حياض محسِّر".

وقال الصادق في خبر أبي بصير: "حدّ المزدلفة من وادي محسِّر إلى المأزمين".

وفي خبر إسحاق بن عمّار عن أبي الحسن: قال: "سألته عن حدّ جَمْف قال: ما بين المأزمين إلى وادي محسِّر".

وفي صحيحة الحلبي عن الإمام الصادق في حديث قال: "ولا تجاوز الحياض ليلة المزدلفة".

شرح الحدود

١. المأزمان: بكسر الزاء وبالهمز "و يجوز التخفيف بالقلب ألفاً"، وهما جبلان بينهما مضيق يدلف إلى عرفات، وهو حدّ المزدلفة من الشرق، فقد ذكر الجوهري: "أنّ المأزم: كلّ طريق ضيّق بين جبلَين، ومنه سمّي الموضع الذي بين جمع وعرفة مأزمَين". وفي القاموس: "ألمأزم ويقال له المأزمان مضيق بين جمع وعرفة وآخر بين مكّة ومنى". وظاهرهما: أنّ المأزم اسمٌ لموضع مخصوص وإن كان بلفظ التثنية.

حياض مُحَسِّر (وادي محسِّر): محسِّر بضمّ الميم وفتح الحاء المهملة وكسر السين المهملة وتشديدها على زنَة اسم الفاعل.

قال البلادي: محسِّر: واد صغير يمّر بين منى ومزدلفة وليس منها، يأخذ من سفوح ثبير إلى الأثبرة الشرقيّة، ويدفع إلى عرفة مارّاً بالحسينيّة، ليس به زراعة ولا عمران والمعروف منه ما يمرّ فيه الحاجّ على طريق بين منى ومزدلفة، وله علامات هناك منصوبة".

وقال ابن خميس في مجازه: "و محسِّر: واد يقبل من الشمال إلى الجنوب من فج يفصل بين منى وجبالها وبين مزدلفة وجبالها وهو منخفض يسيل عليه ما والاه منهما، وما يسيل من منى أكثر، وعرض وادي محسِّر خمسمئة وأربعون ذراعاً" ، أي ما يساوي ٢٧٠ متراً تقريباً.

وذكر في وجه تسميته بمحسِّر من التحسير أي الإيقاع في الحسرة أو الإعياء، سُمّي به لأنّه قيل إنّ أبرهة أوقع أصحابه في الحسرة أو الإعياء لمّا جهدوا أن يتوجّه إلى الكعبة فلم يفعل" .

ثمّ إن الظاهر أنّ المراد من الحياض هي وادي محسِّر لا أنّه مكانٌ آخرٌ من المزدلفة، وأنّ الحياض جمع حوض وهو الوادي الذي قد يكون فيه مجموعة حياض، وقد تقدّم من الروايات التعبير (بحياض محسِّر) فيكون التعبير بوادي محسِّر بعد كلمة الحياض في بعض الروايات لبيان معنى الحياض.

ووادي محسِّر هو حدود مزدلفة من ناحية الغرب، فضفّة وادي محسِّر الشرقيّة هي الحدّ الفاصل بين مزدلفة ومنى.

أقول: هذا التحديد الذي ذُكر، هو تحديد للمزدلفة من ناحية طولها.

أمّا تحديد مزدلفة العرضي، فيوجد جبلان كبيران مطلاّن على المزدلفة أحدهما من الجهة الشماليّة يقال له (جبل المزدلفة)، والآخر من الجهة الجنوبيّة، وقد ذكرتهما صحيحة زرارة المتقدّمة عن الإمام الباقر بقولها إلى الجبل، والمراد به جنس الجبل هناك فيشمل الشمال والجنوب. إذن تبيّن أنّ ما بين حدَّي مزدلفة طولاً وما بين حدَّيها عرضاً من الشعاب والهضاب والقلاع والروابي ووجوه الجبال كلّها تابعةٌ لمشعر مزدلفة وداخلةٌ في حدودها، فعن الإمام الباقر قال: "و وقف النبيّ بجمف فجعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته، فأهوى بيده وهو واقفٌ فقال: إنّي وقفت وكلّ هذا موقف" .

وعلى هذا التحديد لمزدلفة، فلا يجوز الوقوف في المأزمَين وقبلها إلى عرفات ولا في وادي محسِّر وبعده إلى منى، فإنّ هذه الحدود ليست من المزدلفة، فلا يجزي الوقوف فيها، وقد ورد في صحيح هشام بن الحكم عن الإمام الصادق قال في حديث: "و لا تجاوز وادي محسِّر حتّى تطلع الشمس" .

وصحيح الحلبي عن الإمام الصادق قال في حديث: "ولا تجاوز الحياض في ليلة المزدلفة".

وقد جوّزت الروايات الارتفاع إلى المأزمَين الذي هو حدّ المزدلفة خارجٌ عن المحدود عند الضرورة لازدحام الناس وضيق مزدلفة عليهم، فقد روى سماعة في الموثّق قال، قلت للإمام الصادق: "إذا كثر الناس بجمع وضاقت عليهم كيف يصنعون؟ قال: يرتفعون إلى المأزمَين".

ثالثاً حدود مِنى:
بكسر الميم والتنوين، سُمّيت بذلك لما يُمنى فيها من الدماء.

وقيل: إنّها سُميت لما يُمنى فيها من الدعاء.

وقيل: لِما رُويَ عن ابن عبّاس: "أنّ جبرئيل لمّا أراد أن يُفارق آدم قال له: تَمَنَّ. قال: أتَمنَّى الجنَّة، فُسُمِّيت بذلك لأمنيته".

وقيل: "سمّيت منى لأنّ جبرئيل أتى إبراهيم فقال له تمنَّ على ربّك ما شئت". فسُمِّيَت منى، واصطلح عليها الناس، وفي الحديث "أنّ إبراهيم تمنّى هناك أن يجعل الله مكان ابنه كبشاً يأمره بذبحه فديةً له". فأعطاه الله مُناه.

وقد اتّفقت الروايات على أنّ حدّ مِنى من جهة الطول من العقبة إلى وادي محسِّر على صيغة اسم الفاعل، فقد ذكر صحيح معاوية لأبي بصير عن الإمام الصادق أنّه قال: "حدّ منى من العقبة إلى وادي محسِّر". وجمرة العقبة هي حدّ منى من جهة مكّة، ووادي محسِّر حدّها من جهة مزدلفة، وهذا الحدّ قد ذكره المؤرّخون والجغرافيّون أيضاً. فقد قال الأزرقي في أخبار مكّة بسنده عن ابن جريج: "قال: قُلت لعطاء بن أبي رباح، أين مِنى؟ قال: من العقبة إلى محسِّر، قال عطاء: فلا أحبّ أن ينزل أحد إلاّ فيما بين العقبة ومحسِّر...".

أقول: هذا الذي تقدّم هو حدّ لِمنى من ناحية الطول، أمّا حدّها من ناحية العرض، فهو ما بين الجبَلَين الكبيرَين بامتدادهما من العقبة حتّى وادي محسِّر، وقد ذكر الفاسي في شفاء الغرام: "أنّ ما أقبل على مِنى من الجبال المحيطة بها من كِلا جانبَيها فهو منها وما أدبر من الجبال فليس منها". وقد قال النووي في المجموع: "واعلم أنّ منى شِعبٌ ممدودٌ بين جبَلَين أحدهما ثبير والآخر الصابح. قال الأصحاب: ما أقبل على مِنى من الجبال فهو منها وما أدبر فليس منها".

أقول: كأنّ مِنى لا تحتاج إلى أن تحدّد من ناحية العرض لوجود هذَين الجبلَين الكبيرين المفروض أنّهما حدٌّ للمنطقة، فكأنّ السؤال في الروايات عن حد خاص من ناحية مكّة ومزدلفة فذكرته الروايات.

العقبة هل هي من مِنى؟
الجواب: بقرينة اتّفاقهم على أنّ (محسِّراً) ليس من مِنى، وإنّما هو حدّ لها فكذلك العقبة، لاقترانها هي الأُخرى بأداة التحديد وهي (من)، ولكن حكى عن بعض الفقهاء: أنّ العقبة من مِنى وليست حدّاً لها.

وسُمّيت بالعقبة لأنّها مدخل مِنى من الغرب، وسُمّيت الجمرة هنا بجمرة العقبة.

مشكلة الذبح: وعلى ما تقدّم من حدود مِنى، تواجهنا مشكلة حاليّة بناءً على ما اتّفقت عليه الإماميّة من وجوب الذبح في مِنى، حيث إنّ المذبح الذي أوجدته الحكومة السعوديّة يكون خارج مِنى حسب العلامات التي نصبت هناك، وتمنع الحكومة الذبح في غير هذه الأماكن التي أعدّتها للذبح حتّى في الأيّام الأُخرى بعد يوم النحر وأيّام التشريق، فهل من مخرج لهذه المشكلة العويصة؟

وتشتدّ هذه المشكلة على الناس فيما إذا علمنا أنّ الذبح خارج مِنى لا يجزي، إذ ليس المورد من موارد التقيّة، فإنّ مورد التقيّة فيما إذا كان المكلّف غير معروف المذهب، فلا يعمل بما هو الحقّ عنده خوفاً من الظالم، والواقع القائم الآن بخلافه تماماً، لأنّ المكلّف معروف المذهب، ومعلوم أنّه لا يعتقد صحّة الذبح خارج مِنى، وأنّه يريد الذبح في مِنى، إلاّ أنّ المنع الحكومي الناشئ من أنّ من يخالف ويشقّ عصا طاعة وليّ الأمر لا يجوز إقراره على مخالفته من أيّ مذهب كان.

وعلى هذا يكون المورد إذا كان هناك إجبار على الذبح في المسلخ على المكلّف، من باب ارتكاب أخفّ المحظورَين وأقلّ الضررَين ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾، ﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، فهو من باب قوله: "لإن أفطر يوماً ثمّ أقضيه أحبّ إليَّ من أن تضرب عنقي"، وأمّا إذا لم يكن إجبارٌ على الذبح وذَبَحَ خارج مِنى فهو لا يجزيء أيضاً. وعلى هذا فيجب القضاء على المكلّف لهذا النسك إذا تمكّن بعد ذلك في بقيّة أيّام ذي الحجّة، أو أن يخلف ثمنه عند عدل ليشتري له هدْياً ويذبحه في شهر ذي الحجّة.

فهل توجد طريقة للتخلّص من هذه الطريقة وتقول بالاكتفاء بالذبح في المذبح الحالي الذي هو خارج مِنى؟

الجواب: توجد عندنا روايات معتبرة تقول: إذا ازدحمت مِنى بالناس ارتفعت إلى وادي محسِّر، فيكون وادي محسِّر حكمه حكم منى، وحينئذ يكون الذبح في المذبح الحالي مجزياً، ففي معتبرة سماعة قال: "قلت للصادق: إذا كثر الناس بمِنى وضاقت عليهم كيف يصنعون؟فقال: يرتفعون إلى وادي محسِّر..." .

فهل يمكن الاكتفاء بهذه الرواية للذبح خارج الحدّ والوقوف كذلك؟!
إذا كان الجواب بالإيجاب فتنحّل مشكلة مهمّة.

والخلاصة لكلّ البحث: تكمن في أنّ نَمِرَة التي هي (بطن عُرَنَة) هل من عرفات أو لا؟ وكذا مسجد إبراهيم القديم الذي يكون في نَمِرَة؟ فإن قلنا: انّها خارجةٌ من عرفات كما هو ظاهر الروايات التي شرحت لنا حجّ النبيّ ، وكذا بقيّة الروايات التي أخرجت نَمِرَة عن حدود عرفات، تواجهنا مشكلة أنّ الوقوف في عُرَنَة ليس من الزوال إلى الغروب.

وإن قلنا: أنّ نَمِرَة من عرفات كما هو رأي يقال تخلّصنا من هذه المشكلة، ولكن تبقى مشكلة ثانية وهي مخالفة ظاهر الروايات بل صريح بعضها، وأقوال أهل الخبرة الذين حدّدوا عرفات بإخراج نَمِرَة من عرفات لأنّها بطن وادي عُرَنَة وهذا الوادي كلُّه حدّ عرفات من جهة الغرب، وقد صرّحت الروايات بالارتفاع عنه.

أقول: ألا نحتمل وجود منطقة في داخل عرفات كانت تسمّى نَمِرَة قد صلّى النبيّ فيها ووضع رحله؟ وأمّا قرية نَمِرَة التي هي بطن عُرَنَة فهي خارجةٌ عن حدّ عرفات، فإن ثبت ذلك انحلّت مشكلة عدم وجوب الوقوف من أوّل الزوال إلى الغروب في عُرَنَة.

ويكون حكاية حجّ النبيّ مطابقة لوجوب الوقوف في عرفة من أوّل الزوال إلى الغروب، وأمّا الموقف الذي يُذكر في الروايات فالمراد به الوقوف في سفح الجبل الذي يستحبّ فيه الدعاء والوقوف.

وإن لم يثبت ذلك، فلا بدّ من القول بعدم وجوب الوقوف من الزوال إلى الغروب بل الواجب هو الوقوف بعد الظهر بساعة إلى الغروب.

وأمّا بالنسبة للمزدلفة: فلا يوجد خلاف في حدودها، وقد وقع تعيين هذه الحدود طبقاً لما قرّره الشارع المقدّس بين المأزمين ووادي محسِّر، وأمّا التحديد العرضي فهو الجبلان المطلاّن عليها من الجهة الشماليّة والجنوبيّة.

وأمّا مِنى: فأيضاً لا يوجد خلاف في حدّها الذي هو من وادي محسِّر إلى العقبة طولاً وما بين الجبلين المطلّين عليها عرضاً، وقد عرضنا مشكلة الذبح التي هي مشكلة معاصرة لوجود المذابح خارج مِنى والحكومة السعوديّة تمنع من الذبح في مِنى وأوجدنا حلاً قد يكون مقبولاً من الناحية الفنّيّة.

المبحث الخامس: فضائل المسجد الحرام.

يفضل المسجد الحرام كل مساجد الارض كما أن مكة هي أفضل البقاع، وللمسجد الحرام نفس أحكام غيره من المساجد إلا أنه يفضلها بخصائص ليست لسواه ومنها:

- هو أول مسجد بُني على الأرض يُعبد الله تعالى فيه، قال تعالى }:إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ] {آل عمران : ٩٦.[
- أُسري برسول الله منه الى المسجد الأقصى، قال الله تعالى }:سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى] {الإسراء : ١[
- يُضاعف أجر الصلوات وسائر الطاعات فيه، قال رسول الله " : فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة" صححه الألباني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
- يُمنع غير المسلمين من دخوله أياً كان السبب، قال تعالى }:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] {التوبة : ٢٨.[

- من دخله كان امناً.
- لا يحل لأحد التقاط لقطته للتملك، وإنما تحلُّ فقط لمن يطلب صاحبها وينشده.
- الذنب فيه أغلظ وأشد من سواه من الأماكن، قال الله تعالى }: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ] { الحج : ٢٥.[
- صلاة النافلة فيه لا تكره في أي وقت من الأوقات.
- من المعلوم ف غيرها من المساجد فإنه لو نذر الذهاب إلى مسجد معين فإن ذهابه إلى أي مسجد يكفي عنه؛ وبذلك قال جمهور الفقهاء.
- يستحب لقاصده أن يُحرم قبل دخوله وإن لم يكن يريد الحج أو العمرة.
- أن صلاة العيد يستحب آداؤها في المصلى لا في المسجد، إلا من كان بالحرم؛ فإن الصلاة في المسجد الحرام أفضل.
- إذا نذر الإنسان قصده، وكذلك المسجد النبوي، أو المسجد الأقصى؛ لزمه الذهاب والوفاء بنذره، بخلا.

المطلب الأول: مضاعفة أجر الصلاة في المسجد الحرام.

فإن مكة المكرمة. شرفها الله تعالى . كلها حرم ، وحدود الحرم معلومة معروفة الآن ومعنى كونها حرماً هو ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار ، لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف قال العباس يا رسول الله إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا فقال: إلا الإذخر". واختلف أهل العلم في كون الصلاة في مكة كلها بمائة ألف صلاة أو أن ذلك يختص بالمسجد الحرام فقط؟ على قولين لأهل العلم منهم من قصر ذلك على المسجد الحرام فقط واستدل بأنه لو نذر الإنسان الاعتكاف في المسجد الحرام فإنه لا يجزئه أن يعتكف في مسجد آخر من مساجد مكة . ولقوله صلى الله عليه وسلم: "الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة " رواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء ، فإنه عين البقعة المرادة بالتضعيف. وذهب فريق من أهل العلم إلى أن التضعيف يكون في الحرم كله أي مكة كلها واستدل بقوله تعالى: (سبحان

الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[الإسراء : ١] فإن الإسراء كان من بيت أم هانئ ولم يكن من المسجد ذاته ، فدل ذلك على عموم الحكم. وقيل لعطاء: هذا الفضل الذي يذكر في المسجد الحرام وحده أو في الحرم؟ قال: لا بل في الحرم فإن الحرم كله مسجد.

المطلب الثاني: مضاعفة أجر الأعمال في المسجد الحرام.

ثبت تضعيف أجر الصلاة في المسجد الحرام فيما رواه أحمد وابن ماجه (١٤٠٦) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ.(والحديث صححه المنذري والبوصيري ، وقال الألباني : " سند صحيح على شرط الشيخين " انتهى من "إرواء الغليل" (١٤٦/٤).

وقد اختلف الفقهاء في المراد بالمسجد الحرام هنا على أقوال ، أشهرها قولان : الأول : اختصاص ذلك بمسجد الكعبة . وإلى هذا ذهب جماعة من العلماء منهم النووي والمحب الطبري ، وابن مفلح ، وابن حجر الهيتمي واختاره ابن عثيمين رحمهم الله.

والثاني : أنه يشمل الحرم كله ، وقد نسب هذا القول إلى الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية ، واختاره ابن القيم رحمه الله ، وبه أفتت اللجنة الدائمة والشيخ ابن باز رحمه الله. جاء في "الموسوعة الفقهية (٢٣٩/٢٧) : " ذهب الحنفية في المشهور والمالكية والشافعية إلى أن المضاعفة تعم جميع حرم مكة ، فقد ورد من حديث عطاء بن أبي رباح قال : بينما ابن الزبير يخطبنا إذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام تفضل بمائة ، قال عطاء : فكأنه مائة ألف ، قال : قلت : يا أبا محمد ، هذا الفضل الذي يذكر في المسجد الحرام وحده أو في الحرم ؟ قال : بل في الحرم ، فإن الحرم كله مسجد....

وقال الزركشي : يتحصل في المراد بالمسجد الحرام الذي تضاعف فيه الصلاة سبعة أقوال:

الأول : أنه المكان الذي يحرم على الجنب الإقامة فيه.

الثاني : أنه مكة.

الثالث : أنه الحرم كله إلى الحدود الفارقة بين الحل والحرم ، قاله عطاء وقد سبق مثله عن الماوردي وغيره ، وقال الروياني : فضل الحرم على سائر البقاع فرخص في الصلاة فيه في جميع الأوقات لفضيلة البقعة وحيازة الثواب المضاعف ، وقال الزركشي : وهذا فيه تصريح بهذا القول.

الرابع : أنه الكعبة ، قال الزركشي وهو أبعدها.

الخامس : أنه الكعبة والمسجد حولها ، وهو الذي قاله النووي في استقبال القبلة.

السادس : أنه جميع الحرم وعرفة ، قاله ابن حزم.

السابع : أنه الكعبة وما في الحجر من البيت ، وهو قول صاحب البيان من أصحاب الشافعية. وحكى المحب الطبري خلاف الفقهاء في مكان المضاعفة بالنسبة إلى الصلاة ، ورجح أن المضاعفة تختص بمسجد الجماعة " انتهى باختصار. وقال ابن القيم في "زاد المعاد" (٣٠٣/٣) في الكلام على قصة الحديبية : " وروى الإمام أحمد في هذه القصة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُصلِّي في الحرم، وهو مضطرب [أي : مقيم] في الحِل، وفى هذا كالدّلالة على أن مضاعفةَ الصلاة بمكة تتعلق بجميع الحرم لا يخصُّ بها المسجد الذي هو مكانُ الطواف ، وأن قوله: (صَلاَةٌ في المَسْجِدِ الحَرَام أَفْضَلُ مِنْ مِائة صَلاةٍ في مسجدي)، كقوله تعالى: (فَلا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) التوبة/١٢٨ ، وقوله تعالى: (سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)الإسراء/١، وكان الإسراء مِن بيت أُم هانئ " انتهى.

ولكن أجيب عن هذا الاستدلال بجوابين : الأول : أن الحديث ضعيف ، والثاني : إن صح الحديث فإنه يدل على أن الصلاة في الحرم أفضل ، ولكن لا يدل على أنها خير من مائة ألف صلاة. قال ابن مفلح رحمه الله : " وظاهر كلامهم في المسجد الحرام أنه نفس المسجد , ومع هذا فالحرم أفضل من الحل , فالصلاة فيه أفضل , ولهذا ذكر في المنتقى قصة الحديبية من رواية أحمد والبخاري , ثم ذكر رواية انفرد بها أحمد , قال : وفيه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي

في الحرم , وهو مضطرب في الحل) وهذه الرواية من رواية ابن إسحاق عن الزهري وابن إسحاق مدلس " انتهى من "الفروع" (١/٦٠٠).

وقال في "الآداب الشرعية" (٣/٤٢٩) : " وهذه المضاعفة تختص بالمسجد على ظاهر الخبر، وقول العلماء من أصحابنا وغيرهم " انتهى.

وينظر : المجموع (٣/١٩٧)، تحفة المحتاج (٣/٤٦٦)، فتاوى اللجنة الدائمة (٦/٢٢٣) ، فتاوى الشيخ ابن باز (٤/١٣٠).

والراجح هو القول الأول ، وهو اختصاص المضاعفة بالمسجد الذي فيه الكعبة ؛ لما روى مسلم (١٣٩٦) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ امْرَأَةً اشْتَكَتْ شَكْوَى فَقَالَتْ : إِنْ شَفَانِي اللَّهُ لَأَخْرُجَنَّ فَلَأُصَلِّيَنَّ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَبَرَأَتْ ثُمَّ تَجَهَّزَتْ تُرِيدُ الْخُرُوجَ فَجَاءَتْ مَيْمُونَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَلِّمُ عَلَيْهَا فَأَخْبَرَتْهَا ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : اجْلِسِي فَكُلِي مَا صَنَعْتِ ، وَصَلِّي فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَسَاجِدِ إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ.(وروى مسلم (١٣٩٧) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ إِيلِيَاءَ.(وهذا نص في أن المراد بالمسجد الحرام في هذين الحديثين : المسجد الذي فيه الكعبة ، لا عموم مكة أو الحرم.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : هل مساجد مكة فيها من الأجر كما في المسجد الحرام؟ فأجاب : " قول السائل : هل مساجد مكة فيها من الأجر كما في المسجد الحرام جوابه : لا ليست مساجد مكة كالمسجد الحرام في الأجر ، بل المضاعفة إنما تكون في المسجد الحرام نفسه ، القديم والزيادة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة) . أخرجه مسلم . فخص الحكم بمسجد الكعبة ، ومسجد الكعبة واحد ، وكما أن التفضيل خاص بمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فهو خاص بالمسجد الحرام أيضاً ، ويدل لهذا أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى) . ومعلوم أننا لو شددنا الرحال إلى مسجد

من مساجد مكة غير المسجد الحرام لم يكن هذا مشروعاً بل كان منهياً عنه ، فما يشد الرحل إليه هو الذي فيه المضاعفة ، لكن الصلاة في مساجد مكة بل في الحرم كله أفضل من الصلاة في الحل ، ودليل ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية ، والحديبية بعضها في الحل وبعضها في الحرم كان يصلي في الحرم مع أنه نازل في الحل ، وهذا يدل على أن الصلاة في الحرم أفضل ، لكن لا يدل على حصول التضعيف الخاص في مسجد الكعبة.

فإن قيل : كيف تجيب عن قول الله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى) وقد أسرى به من مكة من بيت أم هاني ؟

فالجواب : "أنه ثبت في صحيح البخاري أنه أسرى به صلى الله عليه وسلم من الحِجْر ، قال : (بينا أنا نائم في الحِجْر أتاني آت . . .) إلخ الحديث ، والحِجْر في المسجد الحرام ، وعلى هذا فيكون الحديث الذي فيه أنه أسري به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هاني - إن صحت الرواية - يراد ابتداء الإسراء ، ونهايته من الحِجر ، كأنه نُبِّه وهو في بيت أم هاني ، ثم قام فنام في الحجر فأسرى به من الحجر" انتهى من "فتاوى الشيخ ابن عثيمين" (٣٩٥/١٢).

الفصل الرابع: تعظيم البلد الحرام بين المشروع والممنوع.

١- إن المسلمين ممن نأت بهم الديار عن البلد الحرام يشتاقون لرؤية الكعبة، ويتمنون لو تتاح لهم الفرصة فيأتون مكة ويطوفون بالبيت العتيق، ويأنسون بالبقاء فيها أياماً، وبعضهم إذا رأى صورة الكعبة بكى شوقاً، وتقطع قلبه لوعة وحسرة، وإذا قابل أحداً من المسلمين ممن رأى الكعبة قَبَّل عينيه وسر به سروراً بالغاً.

ألا تستدعي هذه الأمور أن يستشعر المقيم والحال بالبلد الحرام المنة التي امتن الله بها عليه، والنعمة التي يتمناها كثير من الناس ولا يجدونها.

لقد أُخرج النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- من مكة كارهاً وهو يقول: " والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت"، فكيف بمن ولد على أرض مكة وشرب من زمزمها، وترعرع فيها، وعاش حياته لا يخرجه منها أحد، ولا يمنعه من سكناها ظالم.

كان السلف الصالح يقدرون حرمة البيت، ويعظمونه في نفوسهم تعظيماً عجيباً، حتى إن منهم من تحرج من سكنى مكة خشية الوقوع في المعاصي، قال ابن رجب: وكان جماعة من الصحابة يتقون سكنى الحرم خشية ارتكاب الذنوب فيه، وقال: روي عن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . أنه قال: (لأن أخطئ سبعين خطيئة -يعني بغير مكة- أحب إلى من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة).

وكيف لا يخشى العبد الوقوع في الخطيئة في البلد الحرام، والله تعالى يقول: { ومن يرد فيه بإلحاد بظلمٍ نذقه من عذابٍ أليم}(الحج : ٢٥)، والملحد في الحرم جرمه عظيم وعاقبته وخيمة، عن ابن عباس . رضي الله عنهما . أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: " أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه "رواه البخاري، وعن ابن مسعود . رضي الله عنه . في قوله . عز وجل . :{ ومن يرد فيه بإلحاد نذقه من عذابٍ أليم } قال: ((لو أن رجلاً هَمَّ فيه بإلحاد وهو بِعَدن أبْيَنَ لأذاقه عذاباً أليماً).

3-ومن العجب أن أهل الجاهلية كان لهم نصيب من تعظيم البلد الحرام، ورعاية حقوق البيت مستشعرين مكانته، وإليك صوراً من ذلك:

قال الحموي: وقال حرب بن أمية: ودعا الحضرمي إلى نزول مكة - وكان الحضرمي قد حالف بني نفاثة وهم حلفاء حرب بن أمية ، وأراد الحضرمي أن ينزل خارجاً من الحرم وكان يكنى أبا مطر- فقال حرب:

أبا مَطَر هَلُمّ إلى الصلاح* فيكفيك الندامى من قريش

وتنزل بَلْدة عزَّت قديماً* وتأمن أن يزورك ربُّ جيش

فتأمن وسطهم وتعيش فيهم* أبا مطر هُديت بخير عيش

ثم يقول الحموي: ألا ترى كيف يؤمنه إذا كان بمكة.

ومن مظاهر تعظيمهم للبيت أنهم لما أرادوا تجديد بنائه حرصوا حرصاً شديداً على تطييب النفقة وكونها من حلال، فقد روى ابن إسحاق في السيرة أن أبا وهب ابن عمرو قال لقريش: لا تدخلوا فيه من كسبكم إلا الطيب، ولا تدخلوا فيه مهر بغي ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد من الناس؛ ولذلك قصرت بهم النفقة في بناء البيت كما قال -صلى الله عليه وسلم- لعائشة- رضي الله عنها-: إن قومك قصرت بهم النفقة ... الخ يعني حين بنائهم البيت، فقصروه عن قواعد إبراهيم -عليه السلام- من جهة الحِجْر.

ومن مظاهر التعظيم عند قريش في الجاهلية أنهم فرضوا على العرب قاطبةً أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم، وأن يخلو ثياب الحل ويستبدلوا بها ثياب الحرم، إما شرىً وإما عارية وإما هبة؛ فإن وجدوا ذلك وإلا طافوا بالبيت عرايا.

وهذه امرأة في الجاهلية توصي ابناً لها بتقديس الحرم وتعظيم حرمته فتقول:

أَبُنَيّ لا تَظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

أَبُني من يظلم بمكة يلق آفات الشرور

أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور

ومن تعظيم أهل الجاهلية للبيت أن الرجل يرى فيه قاتل أبيه فلا يثأر منه ولا يزعجه، قال القرطبي : فكانوا في الجاهلية من دخله ولجأ إليه أمن من الغارة والقتل.

فإذا كان هذا حال أهل الجاهلية فمن المفارقات العجيبة أن يجهل كثير من المسلمين اليوم حقوق البلد الحرام، ويخفّ تعظيمه في قلوبهم، ويرتكب فيه ما لا يمكن أن يصدر من معظم ومجلّ لأعظم بقعة على وجه الأرض.

وبينما الرسول صلى الله عليه وسلم- ومن بعده من السلف الصالح يحرصون على تطهير مكة من الشرك والمعاصي، ومن الأنجاس والأدناس، إذ إن بعض الناس اليوم وقعوا في مشابهة أهل الجاهلية وارتكبوا ما ينافي التعظيم الواجب عليهم، وجلبوا فيها عظائم الأمور، ومنكرات الأفعال من صرف شيء من العبادة لغير الله، كالذبح عند بناء المساكن اتقاء لشر الجن بزعمهم، ومن إتيان السحرة والمشعيذين، ومن ترك الصلوات وتهاون في أدائها، ومن أدعية وأذكار مبتدعة تروج وتنشر بين العوام، ومن احتفالات بدعية وإحياء ليالٍ موسمية غير مشروعة تقرباً إلى الله، ومن تقديس وتعظيم لبعض المواقع والمغارات والغيران والآبار مما لم يرد الشرع بتقديسه ولا تعظيمه، ومن ارتكاب للفواحش وشرب للمسكرات وتعاطٍ للمخدرات ومن بيع للمحرمات، كأشرطة الفيديو الماجنة والأغاني المحرمة، أو ما هو وسيلة إلى الحرام كالأطباق الفضائية الداعية إلى الفساد، ومن جلسات شائنة، وسهرات آثمة مع رفقاء السوء تقضي فيها الأوقات في ارتكاب المحرمات إلى غير ذلك مما لا يليق بالمسلم فعله في أي مكان، فضلاً عن أن يرتكبه في البلد الحرام.

وعجباً لحال المستهين بحرمة هذا المكان، كيف يجرؤ على ذلك؟! فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في طرف من أطراف الأرض.

فالمسئولية إذاً على ساكني البلد الحرام أعظم من غيرهم ، وتحليهم بالقدوة الحسنة أولى وأجدر ممن سواهم، وهذا مما يدعوهم إلى دراسة حال السلف الصالح، وكيف كانوا يعظمون البيت حق التعظيم؟ مستشعرين أن ذلك من تقوى القلوب كما قال . عز وجل . : { ذلك ومن يعظم شعائر اله فإنها من تقوى القلوب} (الحج : ٣٢).

قال الشيخ ابن سعدي . رحمه الله . : فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب ، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله.

تعظيم البلد الحرام الممنوع

يجب على المسلمين عامة وسكان مكة خاصة تعظيم البلد الحرام واحترامها وتقديسها، وإن التعظيم الحقيقي له يدعو إلى التأسي والتشبه بسلفنا الصالح، والسير على نهجهم وسلوك طريقهم في تعظيم وإجلال ما عظّم الله على الوجه اللائق الصحيح، وليس التعظيم أن يقوم المسلم بأشياء شكلية وأعمال ظاهرية لم يأت بها الشرع، ولم يفعلها السلف الصالح -رضوان الله عليهم-؛ فقد وُجد عند عوام الناس اليومَ بعضُ الاعتقادات الباطلة والعادات المخالفة للشرع، جعلتهم يقومون بأداء عبادات محدثة يتقربون بها إلى الله بزعمهم، ويقصدون بها التعظيم والإجلال من غير مستند شرعي لذلك، وإليك بعض صور التعظيم غير الشرعي الذي يقوم به بعض المسلمين -هداهم الله:-

-1قصد بعض الأماكن بالزيارة للتعبد بالصلاة والدعاء والتبرك وغيرها.

-2التبرك بالماء الذي تغسل به الكعبة والاستحمام به.

-3التبرك بثوب الكعبة بأخذ قطعة من قماشها الذي كسيت به والاحتفاظ بها، والاستشفاء بها، أو بالاعتداء عليه بالقص والتقطيع.

-4مسح حلقات أبواب المسجد الحرام وجدران الكعبة، إلصاق الوجه واليدين عليها - في غير الملتزم- تبركاً.

-5اعتقاد أن ماء زمزم إذا نقل إلى بلد آخر تغير طعمه، وأنه ينبغي تقطيره في فم الميت عند احتضاره ليختم له بخير، أو يغسل به الكفن.

-6الخروج من المسجد الحرام بعد طواف الوداع على القهقرى.

-7اعتقاد أن وقفة عرفة يوم الجمعة تعدل اثنتين وسبعين حجة.

-8تخصيص أدعية لكل شوط من أشواط الطواف والسعي وعند البدء فيهما، وعند مقام إبراهيم وغيرها مما لم يرد فيه أدعية مخصوصة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

-9اعتقاد أن مجرد النظر إلى الكعبة عبادة، وهذا لم يثبت فيه حديث صحيح.

-10تقبيل جوانب الكعبة، والركنين الشاميين، ومقام إبراهيم والتمسح بها، روى ابن جرير بإسناده والأزرقي عن قتادة في قوله تعالى: { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} أنه قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه.

-11الدعاء تحت الميزاب بقولهم" اللهم أظلني في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك "، وهذا لم يثبت شرعا.

-12التبرك بالمطر النازل من الكعبة.

-13ما يشاع على ألسنة العوام والجهال من أن من دخل الكعبة لا يجوز له أن يمشي على الأرض حافياً، ولا أن يحكي ما رآه في الكعبة، ولا أن ينظر إلى سقفها، ومن نظر إلى سقفها لابد أن يحصل له العمى، ونحو ذلك من الأوهام الخيالية والخرافات التي لا أصل لها.

ومما يجعل بعض هؤلاء يقومون ببعض هذه العبادات ويعتقدون ما لا يثبت انتشار الأحاديث الموضوعة والضعيفة بينهم، يعتمدون عليها في تأييد عملهم، ويحتجون بها على أفعالهم.

وإليك بعض هذه الأحاديث المسطرة في بعض الكتب والدائرة على الألسن؛ وهي ليست بحجة عند علماء الحديث:

-1عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "ينزل الله -عز وجل- على هذا البيت كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة، ستون منها للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين"، وهو حديث ضعيف.

-2من صبر على حر مكة باعد الله عنه حر جهنم"، قال أبو جعفر العقيلي : لا أصل له

-3سفهاء مكة حشو الجنة"، لا أصل له، سئل عنه الحافظ ابن حجر فقال: لم أقف عليه.

-4عن عائشة -رضي الله عنهما- أنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " النظر إلى الكعبة عبادة "، وهو حديث ضعيف.

-5النائم في مكة كالقائم في غيرها"، وهذا يدور على ألسنة بعض العوام، ولا أصل له.

" -6إن سفينة نوح طافت بالبيت، فصلت ركعتين"، وهو ضعيف.

" -7من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفوراً له "، وهو ضعيف.

ومن هذه الأحاديث غير الصحيحة التي لا زمام لها ولا خطام (طواف سبعة أشواط في نهاية الأسبوع يكفر خطاياه، فسبع تكفرها سبع) و (وعمرة في نهاية العام تكفر سيئات العام)، و(والكفن المغسول بزمزم يغفر لصاحبه).

ومع عظم جرم الكذب على النبي -صلى الله عليه وسلم- وشناعة نشره فلا يخفى ما لإشاعة مثل هذه الأحاديث من أثر في انتشار البدع والمحدثات، وغياب التعظيم الحقيقي المطلوب في الشرع، واستبدالٍ به اعتقادات فاسدة وأعمال شكلية جوفاء لا فائدة فيها ولا غناء.

فعلى المسلم أن يعظم ما عظمه الله ورسوله بالطرق الشرعية الصحيحة، وأن يحذر من التعدي على حدود الله، وبتعظيم ما لم يؤمر بتعظيمه، أو باختراع طرق للتعظيم ما أنزل الله بها من سلطان؛ إذ لا تكفي دعوى الإخلاص وحسن النية حتى تقرن بصدق المتابعة وحسن الموافقة لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وسنته.

الباب الثاني:فضائل المدينة وأحكامها.

الفصل الأول: فضائل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة.

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة .

*عن عائشة رضي الله عنه قالت: قدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله فقال رسول صلى الله عليه وسلم : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وحول حماها إلى الجحفة (صحيح البخاري ١٨٨٩ / صحيح مسلم ١٣٧٦).

الترغيب في سكنى المدينة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أناس يخرجون من المدينة إلى اليمن وغيرها بعد فتحها (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه , ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة ، (وفي رواية) ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء (صحيح مسلم رقم الحديث ١٣٦٣).

فضل الموت بالمدينة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل فإني أشهد لمن مات بها) (سنن ابن ماجه رقم الحديث ٣١١٢) .

وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه , داعيا : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم (صحيح البخاري ١٨٩٠).

(طيبة و طابة) من أسماء المدينة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنها طيبه وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة (صحيح مسلم ١٣٨٤).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عزوجل هي طابة هي طابة (رواه أحمد وأبو يعلى مجمع الزوائد ٣/ ٣٠٠).

فضل تمر المدينة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سمٌ حتى يمسى (صحيح مسلم ٢٠٤٧ / لابتيها : حرتي المدينة).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سُمٌ ولا سحر (صحيح البخاري ٥٧٦٩).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن في عجوة العالية شفاء أو أنها ترياق أول البكرة) صحيح مسلم ٢٠٤٨ / العالية (عوالي المدينة) أول البكرة (أكلها على الريق)

تشديد العقوبة على من ظلم أهل المدينة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل (رواه الطبراني (مجمع الزوائد ٣٠٦/٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي)رواه احمد (مجمع الزوائد ٣٠٦/٣).

يأرز الإيمان إلى المدينة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها (صحيح البخاري ١٨٧٦ / يأرز : ينضم ويلتجئ ويجتمع).

لا يدخل الدجال المدينة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة حتى ينزل دبر أحد وفي رواية فيأتي سبخة الجرف , ثم تصرف الملائكة وجهة قِبَل الشام وهناك يهلك(صحيح مسلم ١٣٧٩و٢٩٤٣).

تراب المدينة المنورة

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال صلى الله عليه وسلم بأصبعه هكذا ، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها بسم لله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى به سقيمنا بإذن ربنا (صحيح مسلم رقم ٢١٩٤).

المبحث الثاني: حرمة المدينة.

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة فجعلها حَرَماً، وإنى حرمت المدينة حراماً ما بين مَأزِمَيْها، أن لا يُهراقَ فيها دم، ولا يحملَ فيها سلاحٌ لقتال .." الحديث رواه مسلم (صحيح مسلم رقم (٤٧٥، ٤٧٨) .

وعن سهل بن حُنيف رضى الله عنه قال: أَهْوَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى المدينة، فقال: "إنها حَرَم آمن" (رواه مسلم صحيح مسلم رقم (٤٧٩)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكل نبيٍّ حَرَمٌ، وحَرَمى المدينةُ، اللهم إنى أحَرِّمُها بحُرَمِك أن لا يُأوى فيها محدِثٌ، ولا يُختلى خَلاها، ولا يُعضَد شوكها، ولا تؤخذ لُقطتُها إلا لمنشِد.. " رواه أحمد وأبو نعيم وابن الجعد بسند حسن(مسند أحمد ١ : ٣١٨).

إلى غير ذلك من النصوص الشريفة وستأتى نصوص أخرى فيها التصريح بالتحريم .

المدينة حرم آمن :

لقد جعل الله تعالى مدينةَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حَرَماً آمناً يطمئن أهلُه، لا يجوز إخافتهم ولا إذعارُهم .

فعن سهل بن حُنيف رضى الله عنه قال: أهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى المدينة فقال : " إنها حرم آمن " رواه مسلم رقم(٤٧٩) .

ورواه أحمد والطبرانى . برجال الصحيح . بلفظ " إنها حرام آمِن، إنها حرامٌ آمِن " .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن المدينة حرم آمن، من كذا إلى كذا، لا يُقطعُ شجرُها، ولا يُحدَثُ فيها حَدَثٌ، فمن أحدث فيها حدثاً؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل " رواه البيهقى وأصله فى البخارى(السنن الكبرى (٥ : ١٩٧). وفى هذا دليل لمذهب الجمهور فى تحريم المدينة: صيدها وشجرها ...

لكل نبى حرم والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

لقد جعل الله تعالى لكل نبيٍّ من أنبيائه حرماً يأوى إليه، وجعل الله تعالى لنبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم المدينة حرماً، وحرَّمها على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل نبى حَرَمٌ، وحَرمى المدينة، اللهم إنى أحرمها بحُرَمك .." الحديث رواه أحمد وابن جرير وأبو نعيم وابن الجعد بإسناد حسن. ورواه ابن زنجويه(الأموال لحميد بن زنجويه (٢ : ٤٤٢ رقم٧٢٠). من حديث أنس رضى الله عنه ولفظه: إنه لم يوجد للنبى صلى الله عليه وآله وسلم كتاب إلا القرآن، إلا صحيفة فى قُرابه، فيها: (إن لكل نبى حرماً، وإن حرمى المدينة، حرَّمْتُها كما حرَّم إبراهيم مكة .." .

وعن على رضى الله عنه دعا بسيفه، فأخرج من بطن السيف أديماً عربياً، فقال: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كتاب الله الذى أنزل، إلا وقد بلغته، غير هذا. فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم. محمد رسول الله، لكل نبيٍّ حَرَم، وحَرَمى المدينة) رواه الطبرانى فى الأوسط، ورجاله موثقون، وفى بعضهم كلام. كذا قال الهيثمى (مجمع الزوائد (٣ : ٣٠١) رحمه الله .

حرمها الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم :

إن الذى جعل المدينة المنورة حراماً هو الله تعالى ولم يحرمها النبى صلى الله عليه وآله وسلم من عنده، وقد أظهر الله تعالى هذا التحريم على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الحال فى تحريم مكة المكرمة، فإن الله تعالى هو الذى حرمها يوم خلق السموات والأرض، ولم يحرمها

الناس، ولكن الله تعالى أظهر هذا التحريم على لسان إبراهيم عليه السلام، فإذا أضيف التحريم إليه فلأنه أظهره، والله أعلم .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " حُرِّم ما بين لابتى المدينة على لسانى " قال: وأتى النبى صلى الله عليه وسلم بنى حارثة، فقال: أراكم يا بنى حارثة قد خرجتم من الحرم " ثم التفت فقال: " بل أنتم فيه " رواه البخارى.

وفى رواية أحمد وابن أبى سيبة والطبرانى فى الأوسط (مسند أحمد (٢ : ٢٨٦، ٣٧٦) .وبنفس سند البخارى . (إن الله حرَّم على لسانى ما بين لابتى المدينة...) .

فالله هو المحرِّم والنبى صلى الله عليه وآله وسلم هو المظهر لذلك التحريم، والله أعلم .

ورواه أيضاً الإمام النسائى(٣٤٨١٧ : ٣٤٨٧٠) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

وعن عاصم قال: سألتُ أنس بن مالك: أَحَرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؟ قال: نعم، هى حرام، حرَّمها الله ورسوله، لا يُختلى خلاها، فمن يعمل بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. رواه أحمد وابن أبى شيبة والبيهقى، وأصله فى مسلم (مسند أحمد (٣ : ١٩٩).

حدود الحرم :

إن الأحاديث فى تحريم المدينة متواترةٌ وهذه الأحاديث لم ترد فى بيان جهة واحدة فقط، بل وردت فى تحديد الحرم من جهاته الأربع، كما وردت فى بيان الحِمى للمدينة أيضاً، لذا سأذكر بيان الجهات الأربع ثم الحِمى .

تحديد الحرم من الشرق إلى الغرب :

إن الأحاديث التى وردت فى تحديد الحرم النبوى من الجهتين الشرقية والغربية، جاءت الروايات فيها بلفظ (اللابتين) وهما الحرتان الشرقية والغربية. والحرة: حجارة سود منتشرة وهما معروفتان فى المدينة إلى اليوم، وإن كان السكن قد بدأ يزحف إلى أطرافهما مما يلى المدينة .

. لقد مر ذكرُ حديثِ كلٍّ من: رافع بن خديج (برقم ٣٥، ٣٦) وجابر (برقم ٣٧) وسعد بن أبى وقاص (برقم ٣٨) وأبى هريرة (برقم ٤٨) رضى الله عنهم، وكلها تنص على التحريم ما بين لابتيها (حرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين لابتيها) (وإنى أحرم ما بين لابتيها) (إنى حرمت ما بين لابتى المدينة) (وإنى حرمت المدينة، ما بين لابتيها) (حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتى المدينة) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: حرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتى المدينة . قال أبو هريرة: فلو وجدت الظباءَ ما بين لابتيها ما ذرعتها . وجعل إثنى عشر ميلاً حول المدينة حِمى. متفق عليه واللفظ لمسلم رقم (٤٧٢) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ..إنى أحرم ما بين لابتيها .." متفق عليه واللفظ لمسلم رقم (٤٦٢) .

المبحث الثالث: حماية المدينة من الدجال، والطاعون.

روينا في الصحيحين وغيرهما حديث «على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» وفيهما أيضا حديث «ليس من بلد إلا سيطؤها الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها، فينزل السبخة، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق» وفي رواية «فيأتي سبخة الجرف، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة» وفي البخاري حديث «لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان» وفي مسلم حديث «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك» وفي الصحيحين «قصة خروج الرجل الذي هو خير الناس، أو من خير الناس، من المدينة إلى الدجال إذا نزل بعض سباخها فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم» الحديث بطوله.

قال معمر فيما رواه أبو حاتم: يرون هذا الرجل هو الخضر عليه السلام. وروى أحمد والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: «أشرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على فلق «١» من أفلاق الحرة ونحن معه، فقال: نعم الأرض المدينة، إذا خرج الدجال، على كل نقب من أنقابها ملك لا يدخلها، فإذا كان ذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، وأكثرهم- يعني من يخرج إليه- النساء، وذلك يوم التخليص، ذلك يوم تنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد، يكون معه سبعون ألفا من اليهود، على كل رجل منهم ساج وسيف محلى؛ فيضرب قبته بهذا المضرب الذي بمجتمع السيول» الحديث بطوله، ولفظ الطبراني «يا أهل المدينة، اذكروا يوم الخلاص، قالوا:

وما يوم الخلاص؟ قال: يقبل الدجال حتى ينزل بذباب، فلا يبقى في المدينة مشرك ولا مشركة، ولا كافر ولا كافرة، ولا منافق ولا منافقة، ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، ويخلص المؤمنون، فذلك يوم الخلاص» وروى أحمد برجال الصحيح أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «يوم الخلاص، وما يوم الخلاص؟ثلاثا، فقيل له: وما يوم الخلاص؟ قال: يجيء الدجال فيصعد أحدا فيقول لأصحابه:

أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكا مصلتا، فيأتي سبخة الجرف، فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فذلك يوم الخلاص» وقال الحافظ ابن حجر: إن أحمد والحاكم أخرجا من رواية محجن بن الأدرع رفعه «يجيء الدجال فيصعد أحدا فيطلع فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد في كل نقب من أنقابها ملكا مصلتا سيفه» وبقيته بلفظ الحديث المذكور، إلا أنه قال في آخره: «فتخلص المدينة، فذلك يوم الخلاص» والمراد بالرواق الفسطاط، ولابن ماجه من حديث أبي أمامة «ينزل عند الطريق الأحمر عند منقطع السبخة» ولأحمد من حديث ابن عمر «ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقناة» أي: ممرها، وفي عقيق المدينة للزبير بن بكار عن أبي هريرة «ركب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى مجتمع السيول، فقال: ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة؟ ثم قال: هذا منزله، يريد المدينة، لا يستطيعها، يجدها متمنطقة بالملائكة، على كل نقب من أنقابها ملك شاهر سلاحه، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون، فيزلزل بالمدينة وبأصحاب الدجال زلزلة، لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، وأكثر من يتبعه النساء، فلا يعجز الرجل أن يمسك سفيهته « .قلت: يستفاد منه أن المراد من قوله في الأحاديث المتقدمة: فترجف المدينة يعني بسبب الزلزلة، فلا يشكل بما تقدم من أنه لا يدخل المدينة رعب المسيخ الدجال فيستغنى عما جمع به بعضهم من أن الرعب المنفي هو ألايحصل لمن بها بسبب قربه منها خوف، أو هو عبارة عن غايته، وهو غلبته عليها، والمراد بالرجفة إشاعة مجيئه وأن لا طاقة لأحد به؛ فيتسارع حينئذ عليه من كان يتصف بالنفاق أو الفسق، قاله الحافظ ابن حجر، وما قدمناه أولى.

وفي الأوسط للطبراني حديث «ينزل الدجال حذو المدينة، فأول من يتبعه النساء والإماء» وفي حديث رواه أحمد والطبراني واللفظ له ورجاله ثقات في وصف الدجال «ثم يسير حتى يأتي المدينة، ولا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذاك الرجل، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عز

وجل عند عقبة أفيق» وروى أبو يعلى حديث الجساسة المشهور في الصحيح بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح وزاد فيه «هو المسيح تطوى له الأرض في أربعين يوما، إلا ما كان من طيبة، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: وطيبة المدينة، ما باب من أبوابها إلا وملك مصلت سيفه يمنعه، وبمكة مثل ذلك» وفي البخاري والترمذي حديث «المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى. «وروى أحمد ورجاله ثقات وابن شيبة برجال الصحيح حديث «المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون» ، وروى أحمد مرسلا وابنه متصلا وكذا الطبراني ورجاله ثقات حديث «ذكر لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجل خرج من بعض الأرياف، حتى إذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء؛ ففزع الناس؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إني لأرجو ألايطلع علينا نقابها» يعني: المدينة؛ ونقابها وأنقابها: طرقها وفجاجها؛ واحدها نقب، بكسر النون.

وقوله في الرواية المتقدمة «فلا يقربها الدجال ولا الطاعون» فيقتضي جواز دخول الطاعون المدينة، ويرده الجزم في سائر الأحاديث، والصواب حفظها منه كما هو المشاهد.وقد استشكل قرن الدجال بالطاعون مع أن الطاعون شهادة ورحمة فكيف يتمدح بعدمه؟والجواب من وجوه: أحدها: أن كونه كذلك ليس لذاته، وإنما المراد ترتب ذلك عليه، وقد ثبت تفسيره من رواية أحمد «بوخز أعدائكم من الجن» ؛ فيكون الإشارة بذلك إلى أن كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من الطعن، كما أن الدجال ممنوع منها، ألا ترى أن قتل الكافر المسلم شهادة، ولو ثبت لمحل أن الكفار لا تسلط عليه لحاز بذلك غاية الشرف، ثانيها: أن أسباب الرحمة لم تنحصر في الطاعون، وقد عوضهم صلّى الله عليه وسلّم عنه الحمى حيث اختارها عندما عرضا عليه كما تقدم، وهي مطهرة للمؤمن وحظه من النار، والطاعون يأتي في بعض الأعوام، والحمى تتكرر في كل حين، فيتعادلان، وفيه نظر؛ لأن تكثير أسباب الرحمة مطلوب، ولأنه لا يدفع إشكال التمدح بعدمه، ثالثها: أنه وإن اشتمل على الرحمة والشهادة فقد ورد أن سببه أشياء تقع من الأمة كظهور بعض المعاصي، وقد روى أحمد بأسانيد حسان وصحاح عن شرحبيل بن حسنة وغيره «أنه- يعني الطاعون- رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم» وروى أحمد أيضا تفسير كونه دعوة نبيكم عن أبي قلابة بأنه صلّى الله عليه وسلّم سأل ربه عز وجل ألا يهلك أمته بسنة، فأعطيها، وسأله ألا يسلط عليهم عدوّا من غيرهم، فأعطيها، وسأله ألا يلبسهم شيعا ويذيق

بعضهم بأس بعض، فمنعه، فقال صلّى الله عليه وسلّم في دعائه: فحمى إذا أو طاعونا» كرره ثلاثا؛ فقد تضمن الطاعون نوعا من المؤاخذة؛ لأنه صلّى الله عليه وسلّم دعا به ليحصل كفاية إذاقة بعضهم بأس بعض، ويكون هلاكهم حينئذ بسبب لا يعصون به، بل يثابون؛ فحفظ الله تعالى بلد نبيه صلّى الله عليه وسلّم من الطاعون المشتمل على الانتقام إكراما لنبيه صلّى الله عليه وسلّم وجعل لهم الحمى المضعفة للأبدان عن إذاقة بعضهم بأس بعض والمطهرة لهم؛ فقوله صلّى الله عليه وسلم «فحمى إذا» أي: للموضع الذي لا يدخله الطاعون، بل عصم منه وهو جواره الشريف، وقوله «أو طاعونا» أي للموضع الذي لم يعصم منه، وهو سائر البلاد، هذا ما ظهر لي في فهم هذه الأحاديث، وهو يقتضي شرف الحمى الواقعة بالمدينة وفضلها؛ لأنها دعوة نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم ورحمة ربنا أيضا؛ لأنها من لازم دعوة النبي صلّى الله عليه وسلّم ولأنها جعلت في مقابلة الطاعون الذي هو رحمة لغيرهم؛ فتكون الحمى رحمة لهم؛ فهي غير حمى الوباء الذاهبة من المدينة، رابعها- ذكره الحافظ ابن حجر نقلا عن القرطبي- وهو أن المعنى لا يدخل إلى المدينة من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عمواس «١» ، قال الحافظ ابن حجر: وهو يقتضي أن الطاعون يدخلها في الجملة، وليس كذلك؛ فقد جزم ابن قتيبة وتبعه جمع جم من آخرهم النووي بأن الطاعون لا يدخل المدينة أصلا، ولا مكة أيضا، لكن نقل جماعة أنه دخل مكة في الطاعون العام سنة تسع وأربعين وسبعمائة، بخلاف المدينة فلم يذكر أحد قط أنه دخلها أصلا، ثم ذكر الحافظ ابن حجر الحديث المتقدم المشتمل على ذكر مكة أيضا، ثم قال: وعلى هذا فالذي نقل أنه وجد بمكة ليس كما ظن ناقله كونه طاعونا، بل وباء، وهو أعم من الطاعون، أو يجاب بجواب القرطبي المتقدم، قال: ولعله بنى جوابه على أن الطاعون ما ينشأ عن فساد الهوى فيقع به الموت الكثير، وليس كذلك؛ ففي الصحيح قول أبي الأسود: قدمت المدينة وهم يموتون بها موتا ذريعا؛ فهذا وقع بالمدينة وهو وباء، ولكن الشأن في تسميته طاعونا، قال: والحق أن المراد بالطاعون في هذه الأحاديث الذي ينشأ عن طعن الجن فيهيج به الدم في البدن فيقتل، فهذا لم يدخل المدينة قط. قلت: نقل الزركشي عن القرطبي أنه فسر الطاعون بالموت العام الفاشي، وهو صريح في أنه أراد ما فهمه عنه الحافظ ابن حجر، ويرده قوله في الحديث المتقدم «حتى إذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء فأفزع الناس» فإن المراد فيه بالوباء الطاعون المعروف بعلاماته عندهم، وإلا فموت الشخص الواحد لا يفزع ولا يسمى موتا عاما، ويبعد جعل الموت العام بمجرده شهادة، وقد أخبر بعض الأولياء بمشاهدة الجن يقظة

يطعنون الناس في بعض سني الطاعون، ورأيته أنا كذلك مناما، ورأيت أن بيني وبينهم حائلا، فحماني الله منه في تلك السنة، على أنه لو سلّم أن المراد ما ذكره القرطبي فالإشكال المتقدم باق؛ إذ يقال: لم لم يكثر بالمدينة وهو رحمة؟ فالحق ما قدمناه، وهذا- كما قال بعضهم- من المعجزات العظيمة المستمرة التي هي من أعلام نبوته صلّى الله عليه وسلّم لأن الأطباء بأجمعهم قد عجزوا عن دفع الطاعون عن بلد ما في دهر من الدهور. وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة، مع أنه يقع بالحجاز الشريف، ويدخل قرية الينبع وجدة والفرع والصفراء والخيف وغير ذلك من الأماكن القريبة من المدينة، ولا يدخلها هي كما شاهدنا ذلك في طاعون أواخر سنة إحدى وثمانين وثمانمائة مع أوائل التي بعدها؛ فإنه عم أكثر الأماكن القريبة من المدينة، وكثر بجدة، واختلف في دخوله مكة، والذي تحققناه كثرة الموت بها في ذلك الزمان، وكثرت الحمى بالمدينة، لكن لم يكثر بها موت، وبالجملة فهي محفوظة منه أتم الحفظ؛

المبحث الرابع: تربة المدينة.

شرح حديث النبي تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا

قال الحافظ ابن القيم : هذا من العلاج السهل الميسر النافع المركب وهي معالجة لطيفة يعالج بها القروح والجراحات الطرية لا سيما عند عدم غيرها من الأدوية إذ كانت موجودة بكل أرض وقد علم أن طبيعة التراب الخالص باردة يابسة مجففة لرطوبات الجروح والجراحات التي تمنع الطبيعة من جودة فعلها وسرعة اندمالها لا سيما في البلاد الحارة وأصحاب الأمزجة الحارة فإن القروح والجراحات يتبعها في أكثر الأمر سوء مزاج حار فيجتمع حرارة البلد والمزاج والجراح وطبيعة التراب الخالص باردة يابسة أشد من برودة جميع الأدوية المفردة الباردة فيقابل برودة التراب حرارة المرض لا سيما إن كان التراب قد غسل وجفف ويتبعها أيضا كثرة الرطوبات الردية والسيلان.

والتراب مجفف لها مزيل لشدة يبسه وتجفيفه للرطوبة الردية المانعة من بردها ويحصل به مع ذلك تعديل مزاج العضو العليل ومتى اعتدل مزاج العضو قويت قواه المدبرة ودفعت عنه الألم بإذن الله ومعنى حديث عائشة أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب

فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الجرح ويقول هذا الكلام لما فيه من بركة ذكر اسم الله وتفويض الأمر إليه والتوكل عليه فينضم أحد العلاجين إلى الآخر فيقوى التأثير وهل المراد بقوله : تربة أرضنا جميع الأرض أو أرض المدينة خاصة؟ فيه - ص ٢٩٧ - قولان ولا ريب أن من التربة ما يكون فيه خاصية ينفع بها من أدواء كثيرة ويشفي بها أسقاما ردية قال جالينوس : رأيت بالإسكندرية مطحولين ومستسقين كثيرا يستعملون طين مصر ويطلون به على سوقهم وأفخاذهم وسواعدهم وظهورهم وأضلاعهم فينتفعون به منفعة بينة.

قال : وعلى هذا النحو قد يقع هذا الطلاء للأورام العفنة والمترهلة الرخوة قال : وإني لأعرف قوما ترهلت أبدانهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل انتفعوا بهذا الطين نفعا بينا وقوما آخرين شفوا به أوجاعا مزمنة كانت متمكنة في بعض الأعضاء تمكنا شديدا فبرأت وذهبت أصلا وقال صاحب الكتاب المسيحي : قوة الطين المحلوب من كبوس وهي حريرة المصطكى قوة يجلو ويغسل وينبت اللحم في القروح انتهى.

وإذا كان هذا في هذه التربات فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها وقد خالطت ريق رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم - وقاربت رقيته باسم ربه وتفويض الأمر إليه انتهى. فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب الطب - للمسافر أن يستصحب تراب أرضه إن عجز عن استصحاب مائهاقال النووي : معنى الحديث أنه أخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق به شيء منه ثم مسح به الموضع العليل أو الجريح قائلا الكلام المذكور في حالة المسح ، قال القرطبي : فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام ، وأن ذلك كان أمرا فاشيا معلوما بينهم ، قال : ووضع النبي - صلى الله عليه واله وسلم - سبابته بالأرض ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية . وقال النووي : قيل المراد بأرضنا أرض المدينة خاصة لبركتها ، وبعضنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لشرف ريقه ، فيكون ذلك مخصوصا.

المبحث الخامس: تمر المدينة.

ومن بركة المدينة وفضلها أن جعل الله سبحانه وتعالى فى تَمْرها الشفاء والترياق شريطةَ أن يكونَ على الريق .

. فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن فى عجوة العالية شفاءً أو إنها ترياقٌ أوّلَ البُكْرَة) رواه مسلم رقم (١٥٦).
. وعند مسند أحمد (٦ : ٧٧) .
برجال الصحيح . عنها رضى الله عنها . أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ فى تمرِ العاليةِ شفاءً . أو قال: ترياقاً . أوّلَ البُكْرَة على الريق) . ففى رواية أحمد عمَّم الشفاء فى تمر العالية، بينما فى الرواية الأولى خصه بالعَجْوَة من تمر العالية. شريطةَ أن يكون على الريق أول البكرة. والله أعلم .
وقد جاء فى بعض الروايات تحديد نوعية

الشفاء وهى من السم والسحر.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العجوةُ من الجنة، وهى شفاءٌ من السّمِّ، والكمأةُ من المنِّ، وماؤُها شفاءٌ للعين). رواه أحمد والترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجه والدارمى وصححه الترمذى . وفى بعض النسخ: حسن . والطيالسى وأبو يعلى مسند أحمد (٢ : ٣٠١) .
. وعن جابر وأبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكمأةُ من المنِّ، وماؤها شفاءٌ للعين، والعجوةُ من الجنة وهى شفاءٌ من السم) رواه أحمد والنسائى . فى الكبرى . وابن ماجه مسند أحمد (٣ : ٤٨).
ورواه أيضاً عن أبى سعيد رضى الله عنه فقط .

جعل تمرها حرزاً من السمِّ والسحر:

وكما جعل الله تعالى فى تمرها الشفاء، فإنه سبحانه وتعالى جعله حرزاً من السم والسحر، فمن أكل سبع تمراتٍ . على الريق . وعلى الأخص من العجوة . لم يصبه ذلك اليوم سمٌّ ولا سِحرٌ بإذن الله تعالى، والنصوص فى ذلك كثيرة أيضاً .

. فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من تصبَّحَ بسبعِ تمراتٍ عجوة، لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحرٌ). متفق عليه .
. وفى رواية للبخارىّ، عنه رضى الله نه قال: قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم: (من اصطَبَحَ كل يومٍ تمراتٍ عجوة، لم يضرّه سمٌّ ولا سحرٌ ذلك اليوم إلى الليل) .
. وفى رواية عند مسلم(رقم ١٥٤).

عنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أكل سبع تمراتٍ مما بين لابتيها حين يصبحُ، لم يضره سمٌ حتى يُمسى) .

. وفى رواية عند مسند أحمد (١ : ١٦٨، ١٧٧). برجال الصحيح عن عبد الله ابن عبدالرحمن بن معمر قال: حدث عامرُ بن سعدٍ عُمرَ بن عبدالعزيز. وهو أميرٌ على المدينة . أن سعداً رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أكل سبع تمراتٍ عجوة ما بين لابتى المدينة على الرّيق لم يضره يومه ذلك شيءٌ حتى يمسى)، قال فليح . (الرواى عن ابن معمر): وأظنه قال: (وإن أكلها حين يمسى لم يضره شيء حتى يصبح) .

فقال عمرُ رضى الله عنه: انظر يا عامر ما تحدثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد ما كذبت على سعدٍ، وما كذب سعدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسللم .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثال: (فى عجوة العالية . أول البُكرة على ريق النفس . شفاء من كل سحر أو سم). رواه أحمد برجال الصحيح (٦ : ١٠٥).

وعنها رضى الله عنها، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (من أكل سبع تمراتٍ عجوة من تمرِ العالية حين يصبح، لم يضره سمٌ ولا سحرٌ حتى يمسى). رواه الطبرانى فى الصغير.

قال الحافظ الهيثمى رحمه الله: فيه صدقةُ بن عبدالله السمين: ضعّفه الجمهور، ووثقه دحيم وأبو حاتم. ومنبهُ بن عثمان اللخمى لم أعرفه (الروض الدانى (١ : ٤٠. ٤١)..

قلت: مُنَبّه ذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل، وقال ابو حاتم: كان صدوقاً. وذكره ابن حبان أيضاً فى ثقاته، وقال: من أهل الشام يروى عن الأوزاعىّ عن ثور بن يزيد، روى عنه محمد بن صالح ابن البخترى، وإبراهيم بن عتيق، وغيرهما من أهل الشامالجرح والتعديل (٨ : ٤١٩) . وترجمة الحافظ الذهبى فى السير وقال عنه: المحدِّث.. ووثقه. وذكره أبو زرعة الدمشقىّ فى تاريخه أيضاً، وهو أحد شيوخه. وقد ذكره ابن عساكر رحمه الله فى تاريخه أيضاً. ويشهد للحديث ما سبق من الروايات فهو بها حسن. والله أعلم .

وأما قولها رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أكل سبعَ تمراتٍ من عجوة المدينة فى يوم لم يضره السم ذلك اليوم، ومن أكلهن ليلاً لم يضره السم). رواه الطبرانى فى الأوسط. فقد قال الحافظ الهيثمى: وفيه عبدالله بن إسحق الهاشمى؛ قال العقيلى: له أحاديث لا يتابع منها على شيء، وأبوه لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد (٥ : ٨٩). لكن الحديث ثابت فى الصحيحين من حديث سعدٍ رضى الله عنه، وعنها فى صحيح مسلم . بغير هذا السياق، مما يغنى ويكفى. والله أعلم .

ففى هذه الأحاديث أمور:

١. فى العجوة من تصبَّحَ بسبعٍ منها لم يضره سم ولا سحر. وخص عجوة العالية برواية عائشة عند أحمد والطبرانى. بينما فى حديث سعدٍ . برواياته . التعميمُ بعجوة المدينة (ما بين لابتيها) فلعل فى عجوة العالية مزية على سائر عجوة المدينة .

٢. جاء فى رواية مسلم (سبع تمرات مما بين لابتيها.. لم يضره سم) وهذا خلاف ما فى الروايات الأخرى. والذى يظهر. والله أعلم . أن عامةَ تمر المدينة ينفع من السم، وأن العجوةَ تريد على سائر التمور بالمدينة بالنفع من السحر.

٣. جاء فى رواية سعد عند البخارى (من اصطبح كل يوم تمرات) من غير تقييد بعدد، ولا تعارض، لأن

سائر الروايات مقيدة بعدد، فيحمل المطلق على المقيد، ولعله يريد الكثرةَ. لأن فى هذا العدد . سبع . أسراراً لا يعلمها إلا الله تعالى . وهنا أمور :

أولاً: تقييد الزمان. ففى كل الروايات السابقة (على البكرة، من تَصبَّح، من اصطبح) وهذا يدل على أن الإستعمال النافع إنما يكون على الريق صباحاً قبل أن يتناول أىَّ شىء. فلو تناول التمرات فى أثناء النهار أو بعد الطعام فلا ينفع، ولم يَرد فى غير الصباح إلا ما جاء زائداً فى رواية أحمد من حديث سعدٍ، وهى التى حدَّثها عامرُ بن سعدٍ عمرَ بن عبدالعزيز. وفيها (قال فليح: وأظنه قال: وإن أكلها حين يمسى لم يضره شىء حتى يصبح) وهى برواية الصحيح لكن ليست على الجزم. ومثل ذلك حديث عائشة الذى مر. عند الطبرانى فى الأوسط .

ثانياً: تقييد ذلك بالمكان. وهو تمر المدينة، وعلى الأخص . العالية . والعالية هى المنطقة الجنوبية الشرقية والشرقية من المدينة من جهة نجد، فيقال للقرى الجنوبية الشرقية والشرقية من المدينة: العالية، كما يقال للغربية: السافلة. وأبعد نقطة فى العالية ثمانية أميال كما يقول القاضى عياض رحمه الله. فلو أكل تمراً من غير تمر المدينة أو من غير عجوتها أو العالية لم يقع النفع المذكور، والله تعالى أعلم .

ثالثاً: التقييد بالنوع. فقد جاء فى الروايات السابقة تعميم تمر المدينة، ثم خص العجوةَ منها، ثم خص عجوة العالية .

والعجوة: نوع من تمر المدينة طوله حوالى (٣) سنتمتر، وقطره حوالى (٢) سنتمتر قريب من السواد وقشره مجعد عليه خطوط أحياناً يمكن أن يقرأ، وترسم فيه بعض الحروف. وهو عند المزارعين

معروف وحتى عند كثير من أهل المدينة اليوم وهو نوعان، نوع غالى الثمن بحيث يباع الكيلوغرام الآن (٥٠ ـ ٦٠) ريالاً، ونوع آخر رخيص .

قال ابن الأثير رحمه الله النهاية فى غريب الحديث (٣ : ١٨٨). قد تكرر ذكرها فى الحديث، وهو نوع من تمر المدينة أكبر من الصيحانى يضرب إلى السواد من غرس النبى صلى الله عليه وسلم .

فهو إذا مقيد بنوع خاص من التمر، وتمر المدينة كله مبارك لدعاء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه . كما مر . وتعميم تمر المدينة من السم، وتخصيص عجوته، ثم عجوة العالية من السم والسحر هو الجمع بين النصوص، والله تعالى أعلم .

رابعاً: التقييد بالبلد. فقد جاء فى الروايات مقيد بقيدين، الأول (ما بين لابتيها) واللابتان: هما الحرتان، وهى حجارة سوداء. والمدينة بين الحرتين الشرقية والغربية، فما بين اللابتين . هى المدينة . فتمرها هو

المنصوص عليه سواء كان عجوة أو غيره، وهو ضد السم. والقيد الثانى: هو العالية. وذلك لحديث السيدة عائشة رضى الله عنها. وكذا ما جاء فى بعض روايات سعد رضى الله عنه .

فإذا كان التمر من غير المدينة والعالية بالذات،فلا. كيف والعجوة من الجنة، والتنصيص فيها على الشفاء. ونالتها كما نال سائر المدينة بركة دعائه صلى الله عليه وآله وسلم .

خامساً: هل هذا الإنتفاع خاص بزمان؟ أى هو مقتصر على زمان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، أم مستمر بعد زمانه صلى الله عليه وآله وسلم؟ ظواهر النصوص تدل على الإستمرار؛ لأنه لفظٌ عامٌ. وأيضاً وصفُ السيدة عائشة رضى الله عنها له بعد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، ثم استمرار فعل ذلك من بعده صلى الله عليه وآله وسلم، إذ البركة لم ترفع بعده صلى الله عليه وآله وسلم، ودعاؤُه للمدينة مستمرٌ إلى ما شاء الله تعالى، وليس ذلك خاصاً بزمانه فقط، إذ الموصوف بالرحمة المهداة عليه وآله الصلاة والسلام لا يخص زمانه، ويترك مَنْ بعده، وهو بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم. وعلى هذا ذهب عامة الشراح .

سادساً: تقييد العدد فى جميع الروايات التى ذكرناها ورد فيها تقييد العدد (بسبع) إلا رواية واحدة عند البخارى حيث جاءت مطلقة .

قال القاضى عياض الأبى (٥ : ٣٥٤).

رحمه الله: أما التخصيصُ: بهذا العدد، فجاء فى الشرع منه كثيرٌ، فجاء فى هذا، وفى قوله: (صبوا علىّ من سبع قرب) وفى غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعاً، وفى قوله [تعالى]: {أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ} .

وهو مبالغة فى كثرة عدد الأوتار والأشفاع، لأنه زاد على نصف العشرة، وفيه أشفاع ثلاثة [قلت: هى اثنان، أربعة، ستة] وأوتار أربعة [واحد، ثلاثة، خمسة، سبعة] فجمع الوترَ والشفعَ، [فجميع الأشفاع والأوتار سبعة أيضاً] كما أن السبعين مبالغةٌ فى كثرة العشرات فى قوله تعالى: {إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً} وفى ذكر السبعين حجاباً كما أن السبعمائةٍ مبالغةٌ فى كثرة المئين، فى قوله: (إلى سبعمائة ضعف). وقد توضع السبعُ موضعَ التكثير، ولا يراد بها السبعَ حقيقةً. اهـ قوله. وهنا فيه نظر.

وقال القرطبى فتح البارى (١٠ : ٢٤٠) رحمه الله: وأما خصوصية هذا العدد فقد جاء فى مواطن كثيرة من الطب كحديث: (صبوا علىَّ من سبعِ قرَب) وقوله للمفؤود الذى وجَّهَه للحارث بن كَلَدَة أن يَلُدَّه بسبع تمرات، وجاء تعويذُه سبع مرات، إلى غير ذلك. وأما فى غير الطب فكثير. فما جاء من هذا العدد فى معرض التداوى، فذلك لخاصية لا يعلمها إلا الله أو من أطلعه على ذلك. وما جاء منه فى غير معرض التداوى،
فإن العرب تضع هذا العدد فى موضع الكثرة، وإن لم ترد عدداً بعينه. فقد فرق بين ما كان فى أمور الطب، وهذا مما لا يعلم حقيقتَه إلا الله وبين ما كان فى غيره؛ فيراد به مطلق الكثرة. وبذلك قال الإمام النووىّ رحمه الله تعالى حيث علَّق على الأحاديث بقوله شرح مسلم للنووى (١٤ : ٣) : وفى هذه الأحاديث: فضيلة تمر المدينة وعجوتها، وفضيلةُ التصبح بسبع تمرات منه، وتخصيصُ عجوة المدينة دون غيرها، وعددُ السبع من الأمور التى علمها الشارع، ولا نعلم نحن حكمتَها، فيجبُ الإيمانُ بها، واعتقادُ فضلِها، والحكمة فيها. وهذا كأعداد الصلوات، ونُصب الزكاة، وغيرها. فهذا هو الصواب فى هذا الحديث .
وقد أطال ابنُ القيم في زاد المعاد (٤ : ٩٦ ..١٠٠). رحمه الله النفسَ فى الكلام على عدد (السبع) فقد قال فى أول كلامه: وفى كونها سبعاً خاصية أخرى تُدرك بالوحى.. ثم قال: وأما خاصية السبع؛ فإنها قد وقعت قَدَراً وشرعاً، فخلق الله عز وجل السموات سبعاً، والأرضين سبعاً، والأيام سبعاً، والإنسان كمل خلْقُه فى سبعة أطوار، وشرع الله سبحانه لعباده الطوافَ سبعاً، والسعىَ بين الصفا والمروة سبعاً، ورمى الجمار سبعاً سبعاً، وتكبيرات العيدين سبعاً فى الأولى. وقال صلى الله عليه وسلم: (مروهم بالصلاة لسبع)..

إلى أن قال: فلا ريب أن لهذا العدد خاصيةً ليست لغيره، والله تعالى أعلم بحكمته وشرعه، وقدَرِه فى تخصيص هذا العدد؛ هل هو لهذا المعنى أو لغيره؟.

ونفع هذا العدد من هذا التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها من السم والسحر. بحيث تمنع إصابَتَه . من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقّاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والإنقياد . مع أن القائل إنما معه الحدسُ والتخمينُ والظنُّ. فمن كلامُه كلُّه يقينٌ، وقطعٌ وبرهانٌ، ووحىٌ: أولى أن تُتلقى أقوالُه بالقبول والتسليم، وترك الإعتراض .

نعم هو أولى بقبول أقواله صلى الله عليه وآله وسلم، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليه، لأنه صلى الله عليه وسلم مؤيَّد بالوحى، بينما أقوالُ غيره مبنيةٌ على الحس والمشاهدة والتخمين. والله أعلم .

سابعاً: هل هو خاص بأهل المدينة وما شاكلها أم هو عام؟

يرى الشيخ ابن القيم رحمه الله أن تمر المدينة إنما هو خاص بالمدينة والبلاد المشابهة لها كالحجاز واليمن.. ممن يشتركون معهم فى نوعية الأغذية الحارة، ولا يشمل البلاد الباردة، فقال في زاد المعاد (٤ : ٩٧.٩٨). هذا الحديث من الخطاب الذى أُريدَ به الخاصّ كأهل المدينة ومن جاورهم، ولا ريب أم للأمكنة اختصاصاً بنفع كثيرٍ من الأدوية فى ذلك المكان دون غيره، فيكون الدواء الذى قد ينبت فى هذا المكان نافعاً من الداء، ولا يوجد فيه ذلك النفع إذا نبت فى مكان غيره لتأثير نفس التربة أو الهواء، أو هما جميعاً، فإن للأرض خواصَّ وطبائعَ يقارب اختلافُها اختلاف طبائع الإنسان، وكثيرٌ من النبات يكون فى بعض البلاد غداءً مأكولاً، وفى بعضها سماً قاتلاً، وربَّ أدويةٍ لقوم أغذيةٌ لآخرين، وأدوية لقوم من أمراض هى أدويةٌ لآخرين فى أمراض سواها، وأدويةٌ لأهل بلد لا تناسب غيرهم، ولا تنفعهم. وعلل ذلك لأن التمرَ حارٌّ، وبواطن سكان المناطق الحارة باردةٌ، وبواطن سكان المناطق الباردة حارة، لذا فإن التمر. وما شاكله من الأغذية الحارة. يوافق أهل المناطق الحارة، ولا يضرهم لبرودة أجوافهم، وخروج الحرارة إلى ظاهر الجسد بعكس البلاد الباردة .
قلت: لكن ظاهر النص جاء على العموم (من تصبح، من اصطبح، من أكل..) ولا مخصص له من جنسه. ثم إن التمر كدواء للسم والسحر. حسب النص . فيقلل الانتفاع به أمور جانبية تجعله عديم الفائدة فى السم فما باله فى السحر ؟

وحكم تمر المدينة وعجوتها كحكم ماء زمزم إذا نقل، هل تبقى له خاصية أم تزول؟ الله أعلم.

ثامناً: شموله لكل السموم. إن منشأ السموم على كثرتها نوعان: خارجى، وداخلى .

يقول الطبيب الدكتور محمود ناظم النسيمرحمه الله: السموم أنواع. والتسمم إما أن يكون خارجىّ المنشأ يدخل الجسم عن: طريق الجروح، كما فى الإصابة بالسهام المسمومة أو لدغات الأفاعىّ أو عن طريق طلاء الحروق الواسعة بأدوية تعد سامةً بمقدارها الكبير كإستعمال محلول (الميركوركروم) فى طلاء الحروق الواسعة أو يدخل الجسم عن طريق الفم، وجهاز الهضم مع

الطعام والشراب أو عن طريق التنفس . وإما أن يكون التسمم داخليّ المنشأ كالانسمام بالبولة (أوريميا) أو بانحباس (آزوتيميا) نتيجة قصور الكليتين، وعدم استطاعتهما إفرازَ هذه المادة المتكونة فى الجسم نتيجة استقلاب المواد البروتينية وطرحها عن طريق البول. وكالانسمام الكبدىّ (كوليميا) بسبب قصور الكبد الشديد، وكالانسمام بسموم التفسخات المعوية، وذيفانات الجراثيم والطفيليات .

يتخلص الجسم من جميع المواد الاستقلابية الضارة، ومن ذيفانات الجراثيم، ونتائج تعفن المركبات البروتينية فى الأمعاء عن طريق ربطها فى الكبد ببعض المركبات، وأهم هذه المركبات (حمض الغلوكورونيك) الذى يصنعه الكبد: من أكسدة سكر (الغلوكوز) الجائل فى الدم أو الناتج عن تفكك مولد (سكر العنب) المدَّخر فيه . ونستطيع القول: إن وظيفة الكبد فى إبطال المركبات السامة فى مفهومها الواسع هى من أهم وظائف الكبد . لذا كان سكر العنب داخلاً فى حمية ومعالجة الانسمامات المختلفة، ومن أغنى الفواكه بهذا السكر: التمر أو العجوة، والرُّطَب، والعنب، والزبيب، والتين .

وقد بين قبل ذلك أن التمر يحتوى على (٧٠ . ٨٧%) من تركيبة مواد سكرية ونشوية. وسكره الغالب هو سكر العنب. ويستطيع جهاز الهضم هضمَ سكره وامتصاصه خلال ساعة تقريباً. اهـ ولى عودة إن شاء الله تعالى على مقالة الدكتور النسيمى رحمه الله تعالى . لكن الشيخ ابن القيم رحمه الله قَصَر الانتفاع بالتمر بالنسبة للسم على نوع خاص منه فقد قال[: هو أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الدود، فإنه . مع حرارته . فيه قوة ترياقية، فإذا أديم استعماله على الريق: جفف مادة الدود وأضعفه، وقلله أو قتله، وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى.

وقال فى موطن آخر: ويجوز نفع التمر المذكور فى بعض السموم، فيكون الحديث من العام المخصوص ويجوز نفعه لخاصية تلك البلد وتلك التربة الخاصة من كل سم...

فقد جعله خاصاً بنوع من السم، وهو التسمم الداخلى أو بعض التسمم الداخلى، ثم رجع إلى احتمال العموم. وظاهر لفظ الحديث يقتضى التعميم، لأنه نكرة فى سياق النفى . ثم إذا قيل بخصوصه لبعض أنواع السم، فماذا يصنع فى السحر؟ فالنص على عمومه فيهما، والله تعالى أعلم .

الفصل الثاني: المسجد النبوي وأحكامه.

المبحث الأول: الصلاة في المسجد النبوي.

المتفقد ثبت من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال {صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة} رواه مسلم، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال {صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام} متفق عليه، وروى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى} فالصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد سوى المسجد الحرام.

وأما صلاة أربعين صلاة مكتوبة متتالية في المسجد النبوي فقد روي فيها حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال {من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق} رواه أحمد والترمذي والطبراني في الأوسط، وقد حكم أهل العلم بالحديث عليه بأنه حديث منكر، وقد روى ابن ماجه بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال {من صلى لله أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاقعلقة عليها.

المبحث الثاني:حكم زيارة قبر النبي ومسجده.

جماهير الفقهاء متفقون على أن زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المدينة المنورة سنة مستحبة، وذهب بعض الفقهاء إلى أنها سنة مؤكدة، وذهب آخرون إلى أنها واجبة، والأصح الذي عليه الأكثرون هو الأول،

وذلك لإطلاق النصوص الآمرة بزيارة القبور عامة، من مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها). وقوله صلى الله عليه وسلم: (فزوروا القبور فإنها تذكر بالموت). فإنها تدل على استحباب زيارة القبور بعامة لديهم، فلا أقل من أن يكون قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحداً منها، إن لم يكن أولى منها جميعاً بالزيارة.
ثم لنصوص خاصة جاءت بالأمر بزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: « من زارني بعد موتي فكأنما زارني حياً » وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: « من زار

قبري وجبت له شفاعتي ». ذلك أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حي في قبره لقوله صلى الله عليه وسلم: (الأنبياء أحياء في قبورهم).

آداب الزيارة:

كثير من الزوار والحجاج يسيؤون الأدب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في أثناء زيارتهم لقبره الشريف، من غير قصد، جهلاً وغباء منهم، وقد نص الفقهاء على آداب زيارة قبره الشريف بما يلي:

ا - أن تكون بعد الحج إذا كان الزائر ذاهباً لحج الفرض، وذلك تقديماً للفرض على المستحب،فإن كان حج نفل، أو كان الزائر غيرحاج أصلاً، خُيِّر، هذا ما لم يمر بالمدينة في طريقه إلى الحج،فإن مر بها في طريقه إلى الحج ندب له تقديم الزيارة، لما في مغادرة المدينة دون زيارته رغم القرب من قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم من سوء الأدب، ومظاهر الجفوة.

ب - أن ينوي زيارة المسجد النبوي الشريف مع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم، جمعا بين الفضلين، لئلا يفوته أجر زيارة المسجد النبوي الشريف التي حض عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى) متفق عليه، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) متفق عليه.

ج - أن يغتسل عند دخوله المدينة المنورة إن أمكن، وإلا تَوضأ، ثم يلبس أنظف ثيابه وأحسنها، ثم يتطيب، بقدر ما يتيسر له.

د - أن يقول عند دخول المسجد: (اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك).

هـ - أن يبدأ بصلاة ركعتي تحية المسجد، وإذا تيسر له أن يصليها في الروضة الشريفة بين قبره ومنبره صلى الله تعالى عليه وسلم فهو أفضل.

و - أن يتجه بعد الصلاة إلى قبره صلى الله عليه وسلم، واقفاً أمام وجهه، متهيباً الموقف، متذكراً مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه، وأنه حي في قبره، مبتعداً بعض الشيء عن الحضرة، غير لامس جداراً أو شباكاً. . . ، ثم يسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأدب وصوت منخفض، واصفاً إياه بأوصافه وألقابه، تكريماً واحتراماً، قائلاً: (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا صفي الله، السلام عليك يا نبي الرحمة، السلام عليك يا شفيع الأمة، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا مُزَّمِّل، السلام عليك يا مُدَّثِّر، السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً

عن قومه، ورسولاً عن أمته، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وأوضحت الحجة، وجاهدت في الله حق جهاده، اللهم آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي، وعلى آل محمد، وأزواجه، وذريته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد).

ز- ثم إذا أوصاك أحد بالسلام عليه فأبلغه سلامه باسمه.

ح - ثم تنح نحو اليمين قليلاً قدر ذراع، تكن أمام قبر الصديق أبي بكر - رضي الله تعالى عنه -، فسلم عليه بأوصافه وألقابه تكريماً له.

ط - ثم تنح نحو اليمين قليلاً قدر ذراع، تكن أمام قبر الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -، فسلم عليه بألقابه وأوصافه كما فعلت مع صاحبه الصديق.

ي - ثم عد إلى مكانك الأول مقابل قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مستشفعاً به ومودعاً، حزين القلب منكسر الفؤاد، داعياً لك ولإخوانك في الإيمان، متيقناً إجابة دعوتك، فإنك في مكان مبارك.

المبحث الثالث:شد الرحال إلى المسجد النبوي.

حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَقِي أَبُو بَصْرَةَ الْغِفَارِي أَبَا هُرَيْرَةَ، وَهُوَ جَاءٍ مِنَ الطُّورِ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: مِنَ الطُّورِ صَلَّيْتُ فِيهِ، قَالَ: أَمَا لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ إِلَيْهِ مَا رَحَلْتَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ» :لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ، الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى.

حَدَّثَنَا حَسَنٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ» :خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام، وَمَسْجِدِي.« حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِي، عَنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِي، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى مَسْجِدِ الطُّورِ لِيُصَلِّي فِيهِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَرْتَحِلَ مَا ارْتَحَلْتَ، قَالَ: فَقَالَ: وَلِمَ؟... فذكر نحوه.قرأت على عبد الرحمن بن مالك، عن يزيد بن الهاد، عن

محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، قال أبو هريرة: فلقيت بُصرَة ابن أبى بصرة، فذكر نحوه.

حَدَّثَنَا هَاشِمٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ، حَدَّثَنِي شَهْرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِي، وَذُكِرَتْ عِنْدَهُ صَلاَةٌ فِي الطُّورِ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم» :لاَ يَنْبَغِي لِلْمَصلِي أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فِيهِ الصَّلاَةُ غَيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَلاَ يَنْبَغِي لامْرَأَةٍ دَخَلَتِ الإِسْلاَمَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهَا مُسَافِرَةً، إِلاَّ مَعَ بَعْلٍ أَوْ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا، وَلا يَنْبَغِي الصَّلاَةُ فِي سَاعَتَيْنِ مِنَ النَّهَارِ، مِنْ بَعْدِ صَلاَةِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تَرْحَلَ الشَّمْسُ، وَلا بَعْدَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَلاَ يَنْبَغِي الصَّوْمُ فِي يَوْمَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ، يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ.«قلت: هو في الصحيح، وإنما أخرجته لغرابة لفظه.

الفصل الثالث: المواقع المهمة في المدينة والمسجد النبوي.

المبحث الأول: جنة البقيع.

عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله تعالى عنها قالت : لما كان ليلتى التى كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيها عندى انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً ، وفتح الباب رويداً ، فخرج ثم أجافه رويداً ، فجعلت درعى فى رأسى واختمرت وتقنعت إزارى ، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : ما لك يا عائش حشيا رابية ، قالت : قلت لا شىء ، قال : لتخبرينى أو ليخبرنى اللطيف الخبير. قالت : قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى فأخبرته . قال : فأنت السواد الذى رأيت أمامى قلت : نعم ، فلهزنى فى صدرى لهزة أوجعتنى ، ثم قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ، قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ، نعم ، قال : فإن جبريل عليه السلام أتانى حين رأيت فنادانى ، فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليك ، وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد ركضت فكرهت أن أوقظك ؟ وخشيت أن تستوحشى فقال : إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم قالت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولى السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم

للاحقون . رواه مسلم فى صحيحه والنسائى قوله : حشيا بفتح الحاء المهملة وإسكان الشين المعجمة ، مقصور معناه قد وقع عليك الحشا وهو الربو والتهيج الذى يعرض للمسرع فى مشيته والمجتهد فى كلامه ، من ارتفاع النفس وتواتره ، وقوله رابية أى مرتفعة البطن وقولها : لهدنى فى صدرى بالدال المهملة ، قال أهل اللغة : لهزه ولهده بتخفيف الهاء وتشديدها ، أى دفعه ، ويقال : لهزه بالزاى المعجمة إذا ضربه بجمع كفه فى صدره ، وقولها ((مهما يكتم الناس يعلمه الله)) نعم هكذا هو فى الأصل وهو صحيح . وكأنها لما قالت : ((مهما يكتم الناس يعلمه الله)) صدقت نفسها فقالت : نعم. ولفظ الحديث الذى فى صحيح مسلم قالت عائشة : ألا أحدثكم عنى وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا بلى . قالت لما كانت ليلتى .. إلخ .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبور أهل المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال : ((السلام عليكم أهل القبور ويغفر الله لنا ولكم أنتم لنا سلف ونحن بالأثر))أخرجه الترمذى فى جامعه .

البقيع :

فى اللغة المكان ، وقال قوم : لا يكون بقيعاً إلا وفيه شجر ، وبقيع الغرقد كان ذا شجر ، وذهب الشجر وبقى الاسم ، وهو مقبرة بالمدينة الشريفة من شرقها ، ويقال لها كفته بفتح أوله وإسكان ثانيه بعدها تاه معجمة باثنين من فوقها : اسم لبقيع الغرقد وهى مقبرة ، وهذا الاسم مشتق من قوله عز وجل : {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا} المرسلات:٢٥ ، ٢٦ سميت بذلك لأنها تكفت الموتى أى تحفظهم وتحرزهم .

فضل بقيع الغرقد :

عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكون أول من يبعث أهل مكة " وقيل : إن أول من تنشق عنه بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم نوح عليه السلام : هو أول من يسأل من الرسل ، وأول من يُساق إلى الحساب إسرافيل ثم جبريل ثم الرسل ((وعن الشيخ ناصر الدين محمد بن محمد بن على الكنانى ، وعن أم قيس بنت محصن . قالت : لو رأيتنى ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخذ بيدى فى سكة المدينة حتى انتهى إلى البقيع . بقيع الغرقد . فقال : يا أم قيس قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : ترين هذه المقبرة ، قلت : نعم قال : يبعث الله يوم القيامة منها سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب البقيع يضىء لأهل السماء كما تضىء الشمس لأهل الدنيا ، ورواه الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى وسكت عليه ودخول سبعين ألفاً الجنة بغير حساب من هذه الأمة من غير تقييد بالبقيع موجود فى الصحيح . بل جاء أزيد منه فروى أحمد والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعا

((سألت ربى عز وجل فوعدنى أن يدخل من أمتى)) وذكر نحو رواية الصحيح ، وزاد فيه : فاستزدت ربى فزادنى مع كل ألف سبعين ألفا . قال الحافظ ابن حجر وسنده جيد . قال : وفى الباب عن أبى أيوب عند الطبرانى ، وعن حذيفة عند أحمد، وعن أنس عند البزار وثوبان ، عند أبى عاصم قال فهذه طرق يقوى بعضها بعضا فى الزيادة المذكورة . قال : وجاء فى أحاديث أخرى أكثر من ذلك أيضاً ، فأخرج الترمذى وحسنه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن أبى أمامة رفعه (وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفاً ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربى) .

وفى صحيح ابن حبان والطبرانى بسند جيد نحوه ثم ذكر الحافظ ابن حجر ما يقضى زيادة على ذلك أيضاً ، وأن مع كل واحد سبعين ألفاً فيتأيد بذلك رواية اختصاص البقيع بسبعين ألفاً لا حساب عليهم فالكرم عميم والجاه عظيم انتهى . كذا ذكره السيد السمهودى فى تاريخه (وفاء الوفاء) وروى الزبير بسنده إلى عبد الله عن عبد الملك أنه حدثه حديثا يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((مقبرتان تضيئان لأهل السماء كما تضىء الشمس والقمر لأهل الدنيا ، مقبرة البقيع بقيع المدينة ، ومقبرة بعسقلان)) .

وروى بسنده عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" يبعث الله من هذه المقبرة واسمها كفتة مائة ألف ، كلهم على صورة القمر البدر لا يسترقون ولا يرقون ولا يتداوون وعلى ربهم يتوكلون " وروى ابن الزبير بسنده عن كعب الأحبار ، قال : ((نجدها فى التوراة كفتة محفوفة بالنخيل وموكل بها ملائكة ، وكلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤوها فى الجنة)) . قال ابن النجار: يعنى البقيع؛ وروى عن سعيد المقبرى قال: قدم مصعب بن الزبير حاجاً أو معتمراً ومعه ابن رأس الجالوت، فدخل المدينة من نحو البقيع، فلما مر بالمقبرة قال ابن رأس جالوت: إنها لهى، قال مصعب: وما هى قال: انا نجد فى كتاب الله صفة مقبرة فى شرقيها نخل ، وفى غربيها بيوت، يبعث منها سبعون ألفاً كلهم على صورة القمر ليلة البدر، وقد طفت مقابر الأرض فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة، وفى لفظ لما أشرف ابن رأس الجالوت على البقيع قال:هذه التى نجد فى كتاب الله كفتةلا أطؤها؛ قال: فانصرف عنها إجلالاً لها .

وأما أول من دُفِن بالبقيع من الصحابة ، أبو أمامة أسعد بن زرارة هذا من الأنصار ، وأول من دفن بها من المهاجرين ، عثمان ابن مظعون ، دفنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : أجعلك إمام المتقين فلما توفى ابنه إبراهيم عليه السلام قالوا : يا رسول الله أين نحفر له ؟ قال : عند فرطنا عثمان بن مظعون ، فرغب الناس فى البقيع وقطعوا الشجر واختارت كل قبيلة ناحية ، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للموضع الذى دفن فيه عثمان هذه الروحا ، وأما من دُفن بالبقيع فأكثر الصحابة ممن توفى فى حياة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وبعده ، وفى مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف .

وكذا سادات أهل البيت والتابعين غير أن غالبهم لا يعرف عين قبره ولا جهته لإجتناب السلف البناء والكتابة على القبور من طول الزمان ، فمن المعروف عينا أو جهة مشهد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعثمان ابن مظعون ، ويقال فى قبة إبراهيم غير هذين القبرين المذكورين قبر أبى أمامة أسعد بن زرارة ، وقبر سعد بن أبى وقاص مات بالعقيق ، فحملوه ودفنوه هنالك ، وقبر عبد الرحمن بن عوف . وقبر عبد الله بن مسعود ، وقبر خنيس ابن حذافة السهمى ، فهذه القبور المذكورة فى مشهد سيدنا إبراهيم ابن النبى عليه السلام حذاء زاوية دار عقيل بن أبى طالب ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الحقى بسلفنا عثمان بن مظعون ، ورواه ابن شبة وزاد وأن فاطمة رضى الله تعالى عنها بكت على شفير القبر فجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمسح الدموع عن عينها بطرف ثوبه ، ثم أشار ابن شبة إلى رواية ما يخالفه من أنه صلى الله عليه وآله وسلم خلف عثمان وأسامة بن زيد على رقية ، وهى وجعة أيام بدر وأن زيد بن حارثة جاء بشيراً بوقعة بدر ، وعثمان قائم على قبر رقية يدفنها ، والثابت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم حضر دفن ابنته أم كلثوم زوجة عثمان فلعل ما تقدم فيها وفى أختها زينب ، والظاهر أنهن جميعاً عند عثمان بن مظعون لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما وضع الحجر عند رأس عثمان بن مظعون وقال : أتعلم بها قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى ، وقال فى حقه : أنت فرطنا . رواه ابن ماجه والحاكم ثم نقل ابن شبة ما يقتضى أن ذلك الحجر فضل من حجارة لحده لما لحده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه على قبره عند رأسه ، وأن مروان لما ولى المدينة مر عليه فأمر به فرمى ، وقيل: جعله مروان على قبر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، مع أنه قيل له أنه وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها مشهد فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ، لابن زبالة عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال : دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بنت أسد بن هاشم بالروحاء ، مقابل حمام أبى قطيفة ، وقال : ثم قبر إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعثمان ابن مظعون وسيأتى ما نقله ابن شبة فى قبر العباس من أنه عند قبر فاطمة بنت أسد فى أول مقابر بنى هاشم التى فى دار عقيل .

المبحث الثاني: أحد.

من أشهر الجبال التي عرفت و لها مكانة في زمن النّبي محمد صلّى الله عليه و سلّم و ما زال له مكانة عند المسلمين هو جبل أحد ، و جبل أحد من أكثر الجبال الشاهدة على غزوة أحد التي سميت هذه الغزوة و هي من ثاني غزوات المسلمين على اسم هذا الجبل حيث دارت غزوة أحد عند جبل أحد من الناحية الجنوبية له ، حيث إن كل من يذكر غزوة أحد التي وقعت في السّنة الثّالثة للهجرة يتذكر جبل أحد ، حيث تعتبر غزوة أحد بمثابة درس للمسلمين عند نزول الرماة و لم يمتثلوا لأمر النّبي محمد صلّى الله عليه و سلّم فلقد حذرهم من النّزول مهما كانت الأسباب إلا عندما يصلهم أمر من عند سيدنا محمد عليه الصّلاة و السّلام فاستشهد عدد من المسلمين و من بينهم سيدنا حمزة بن عبدالمطلب عم سيدنا محمد عليه الصّلاة و السّلام الذي يحتضن جبل أحد بقبورهم لهذه اللحظة .

جبل أحد و هو من الجبال التي تقع على مشارف المدينة المنورة و سمي جبل أحد بهذا الإسم لوجوده وحيداً دون إرتباطه بأي سلسلة جبال فهو منفرد وحده على نقطة قريبة من المدينة المنورة . يذكر إن إرتفاع جبل أحد يصل ٣٥٠ متر و عرضه من الغرب ٤ كيلو متر و من الشرق ٢ كيلو متر أما طول الجبل فيصل لسبعة كيلو متر و يعتبر جبل أحد من أضخم الجبال التي تطل على المدينة المنورة .يغلب على الصخور و الحجارة التي يتكون منها جبل أحد الجرانيت الأحمر و نلاحظ بعض الصخور يميل لونها كلون الصخر الزيتي الأخضر الزيتي . يذكر نتيجة تقدم العصور تغيرت ملامح جبر أحد رغم إنه يحتضن المقبرة التي تضم قبور شهداء غزوة أحد التي يزورها المسلمون لغاية هذه اللحظة و الدعاء لهم . نذكر ما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه و سلم عن مكانة جبل أحد إنه قال لأنس بن مالك إن هذا الجبل و يقصد جبل أحد إنه يحبنا و نحبه .

من المعالم الحضارية التي ظهرت على الطّرق التي تحيط بجبل أحد اليوم و على شمال جبل أحد يقطع المسافرين الطّريق الذي يسمى طريق الجامعات و القادمين من النّاحية الجنوبية الطّريق الدّائري الثّاني و من الّشرق الطّريق المؤدي للمطار و جبل ثور و النّاحية الغربية جبل الرماة الذي كان من أبرز ملامح غزوة أحد .نشير للمسافة التي تفصل المسجد النبوي عن جبل أحد تقدر ما يعادل أربعة كيلو متر و يقال خمسة كيلو متر.

المبحث الثالث:مسجد القباء.

عندما دخل الأسلام المدينة المنورة وعند هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة قام المسلمون ببناء مسجد قباء والذي يعتبر أول مسجد تم بنائه في الاسلام ويعتبر ثاني مساجد المدينة

المنورة بعد المسجد النبوي الشريف ليعد أول مسجد في الأسلام . وتم بنائه عندما وصل الرسول الى المدينة المنورة وهو في الجنوب الغربي من المدينة المنورة ويبعد حوالي خمسة كيلو مترات عن المسجد النبوي الشريف .

يوجد به بئر ماء يعد نسب هذا البئر لأبي ايوب الأنصاري رضي الله عنه . وهنا نذكر في هذا المسجد الشهير القصة المعروفة عن مبرك ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصل الرسول الى المدينة المنورة وقال لاصحابه دعوها فأنها مأمورة وظلت تمشي حتى بركت في مكان المسجد وهناك تم بناء المسجد .

إن سبب تسمية هذا المسجد بأسم مسجد قباء قال العلماء ان سبب التسمية هو اسم لبئر ماء حيث ذكر ذلك في كتاب معجم البلدان ان كلمة قبا تعني اسم بئر. ولفضل هذا المسجد ورد أيات و احاديث كثيرة نذكر منها قال الله تعالى ((لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ).

شارك الرسول صلى الله عليه وسلم في عملية البناء لهذا المسجد بنفسه وشاركه الصحابة رضوان الله عليهم ايضاً في عملية البناء وكان صلى الله عليه وسلم أول من وضع حجراً في قبلة هذا المسجد الشريف ومعه ابو بكر وعمر وحمزه رضي الله عنهم وشاركوه بوضع حجر المسجد .

كان المسجد في بداياته بسيطاً عبارة عن شكل مربع ولا يزيد طول احد اضلاعه عن سبعين متراً وله الكثير من الأبواب يقال ان له ثلاثة أبواب . وفي عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم توسعة المسجد بشكل كبير وزاد عدد الأبواب اذا اصبح له ستة ابواب ثم وفي عهد الخليفة ذو النورين عثمان بن عفان تم تجديد البناء والاستعاضة عن اغصان النخيل بالحجر وتم توسعة كبيرة في عهده .

فضل الصلاة في هذا المسجد الشريف الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم . حيث كان النبي العظيم يزور المسجد ويصلي فيه ركعتين . حيث قال ابن عمر رضي الله عنه (كان رسول الله يأتي مسجد قباء راكبا وماشيا فيصلي فيه ركعتين. وفي رواية . أنه صلى فيه ركعتين. رواه البخاري ومسلم قال صلاة في مسجد قباء تعدل عمرة . وقيل صلى الله عليه وسلم يزور المسجد كل يوم سبت ماشياً ويصلي فيه ركعتين .

المبحث الرابع: مسجد القبلتين.

سُمي "مسجد القبلتين" في المدينة المنورة بهذا الاسم لأن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أقام صلاة واحدة في المكان الذي بُني عليه المسجد نصفها جهة بيت المقدس والنصف الآخر جهة البيت الحرام، فكان هذا الموضع نقطة التحول في القبلة نحو الكعبة.

ففي هذا المكان نزل الأمر الإلهي على النبي الكريم محمد وهو قائم يصلي صلاة الظهر، إعلاناً ربانياً بتحويل القِبلة من بيت المقدس إلى صوب المسجد الحرام، ومنذ العام الثاني من الهجرة إلى وقتنا الحاضر عُرف هذا المسجد بمسجد القبلتين لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) شطَر صلاته نحو المسجد الأقصى والشطر الآخر نحو المسجد الحرام.

ويقع مسجد القِبلتين في الطرف الغربي من المدينة المنورة على مساحة تقدّر بنحو أربعة آلاف مترٍ مربع. ومرّ هذا المسجد بتنوع سخي من العمارات الإسلامية، وتوسعته عبر العصور كانت التوسعة الأكبر في تاريخ المسجد بتكلفة بلغت ٥٤ مليون ريال.

ويتقاطر جُموع المسلمين نحو هذا المسجد، حيث لا تنقطع مسيرتهم من زوار المدينة والمعتمرين وأفواجٍ من الحجيج.

ولا تقتصر الصلاة في مسجد القِبلتين على الرجال فحسب، بل للنساء نصيب أيضاً، فقد خُصّصت لهن مصليات خاصة، ويظل هذا المسجد عامراً بالوفود وإقامة الصلاة آناء الليل وأطراف النهار.

وفي مكان غير بعيد عن المسجد، يجد زائر المدينة المنورة متنفساً له ولأطفاله في الحديقة المجاورة للمسجد، حيث يضع البعض أطفالهم يلهون حتى يتم الانتهاء من صلواتهم مع قضاء أوقات لهو ممتع في روحانية طيبة الطيبة.

المبحث الخامس: منبرالنبي صلى الله عليه وسلم.

ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أن نفرا جاءوا إلى سهل بن سعد قد تماروا في المنبر من أي عود هو، فقال أما والله إني لأعرف من أي عود هو ومن عمله ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس عليه، قال: فقلت له يا أبا عباس فحدثنا، قال أرسل رسول الله صلى الله عليه سلم إلى امرأة -قال أبو حازم إنه ليسمها يومئذ- انظري غلامك النجار يعمل لي أعواداً أكلم الناس عليها فعمل هذه الثلاث درجات ثم أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت هذا الموضع فهي من طرفاء الغابة، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه، وهو على المنبر ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في

أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي.

ولا حرج في صنع منبر له أكثر من ثلاث درجات، لأن المقصود من المنبر هو الظهور أمام الناس لمخاطبتهم وتعليمهم، ولو اقتصر على ثلاث درجات تأسياً بمنبر النبي صلى الله عليه وسلم فهو أفضل.

المبحث السادس: الروضة.

يقترن ذكر المسجد النبوي الشريف ثاني المساجد قدسية عند المسلمين بعد مكة المكرمة وتقفز للذهن صورة القبة الخضراء التي تعلو سقف الحجرة الشريفة حيث مثوى الجسد الطاهر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وما أن يدلف الزائر إلى داخل الحرم من باب السلام غرب المسجد حتى يباشره المنبر الشريف وبعده بمسافة قصيرة الحجرة الشريفة وما بينهما من مسافة يعرف بالروضة الشريفة وتبلغ مساحة الروضة نحو ٣٣٠ مترا مربعا، وقد أخذ الجدار الغربي للحجرة الشريفة جزءاً منها، وتزخر الروضة الشريفة وأطرافها بمعالم فضائل جليلة، جاءت بها الأحاديث الشريفة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»، ومن أبرزها الحجرة الشريفة في الجهة الشرقية ومحراب النبي صلى الله عليه وسلم في وسط جدارها من ناحية القبلة والمنبر الشريف في جهتها الغربية وفي الجهة القبلية من الروضة حاجز نحاسي جميل يفصل بين مقدمة المسجد والروضة بارتفاع متر أقيم عليه مدخلان، يكتنفان المحراب النبوي، وتنتشر في الروضة الأساطين الحجرية، التي وضعت عليها خطوط مذهبة تميزها عن غيرها من أساطين المسجد.

وتقوم المكبرية والتي يرفع من عليها النداء في أوقات الصلوات وترديد التكبيرات في العيدين وسط الروضة وللاستغلال الأمثل تم رفع بنائها بحيث يمكن استغلال المصلين قدر من المساحة أسفلها.

والصلاة في المسجد النبوي على العموم مضاعفة بألف صلاة فيما سواه غير أنّها في الروضة الشريفة لها معنى وفضل زائد على ذلك، وكثير من أساطين الروضة الشريفة ارتبط بمناسبات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأطلق عليه اسم خاص يشير إلى تلك المناسبات، وبما أن أمكنة جلوسه صلى الله عليه وسلم عند هذه الأسطوانات وغيرها من أماكن المسجد النبوي كانت محلا لنزول الكثير من الآيات القرآنية وورود الأحاديث النبوية وارتياد جبريل عليه السلام على النبي صلى

الله عليه وسلم.

وفي الروضة الشريفة ترى المصلين والزوار على مختلف ثقافاتهم وتنوع أجناسهم وعلى كامل مساحة الروضة ومدار الساعة ركعاً سجداً متضرعين خاشعين بالدعاء تالين لكتاب الله ويندر أن يجد الزائر مكاناً خالياً في أي وقت من اليوم والليلة.

وحظيت قدسية المكان باهتمام ولاة المسلمين، فقد قام السلطان سليم العثماني بتلبيس أساطينها إلى النصف بالرخام الأبيض المطعم بالأحمر، ثم جاء السلطان عبد المجيد العثماني فجدد هذه الأساطين وأعاد الرخام عليها كما كان، وزاد في صقله وتحليته، كما حظيت خلال التوسعات السعودية وآخرها عام ١٤٠٤هـ بكسوة الأعمدة برخام أبيض مميز عن سائر أساطين المسجد ومن أبرز الاسطوانات ست وفق كتب الحديث والسنن المشهورة وهي:

أسطوانة السيدة عائشة: وتقع في وسط الروضة الشريفة، وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم مكانها مصلى بعد تحويل القبلة مدة، ثم تحول إلى مصلاه، وكان أفاضل الصحابة والتابعين يفضلون الجلوس عندها.

وأسطوانة الوفود: وهي ملاصقة لشباك الحجرة الشريفة، سميت بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس عندها لوفود العرب القادمة عليه.

وأسطوانة التوبة: وتسمى أيضاً: أسطوانة أبي لبابة . وهي الرابعة شرق المنبر، وسميت بذلك لأن الصحابي الجليل أبا لبابة الأنصاري ربط نفسه فيها لذنب أذنبه، حتى تاب الله عليه ثم أطلق.

والأسطوانة المُخَلَّقة: وهي ملاصقة لمحراب النبي صلى الله عليه وسلم من جهة القبلة، سميت بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عليها نخامة فساءه ذلك، فقام وأزالها وطيب مكانها بالخلوق، فسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم لذلك.

وأسطوانة السرير: ملاصقة لشباك الحجرة الشريفة من الجنوب، وسبب تسميتها: لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتكف في المسجد وضع له سرير عندها.

أسطوانة المحرس أو الحرس: وتقع خلف أسطوانة التوبة من الشمال، وكان بعض الصحابة يجلس عندها لحراسة النبي صلى الله عليه وسلم.

وبداخل شباك الحجرة الشريفة أسطوانات أخرى تتعذر الصلاة عندها منها:

أسطوانة مربعة القبر، سميت بذلك لوقوعها في ركن المربعة الغربية الشمالية من الحجرة الشريفة، وأسطوانة التهجد وهي التي في مكان تهجده صلى الله عليه وسلم من الليل.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات نحمده في البدء والختام ونصلي على نبينا محمد وآله وصحبه الكرام ، ونسأله أن نكون قد وفقنا في هذا البحث للتعريف بهذا البلد العظيم كما ورد في القرآن الكريم الذي تناول مكانة مكة المكرمة، وفضلها، وحرمتها، وحرمة من دخلها وما بها من إنسان وصيد وأشجار والتعريف بها، وذكر بعض أسمائها ، وأهم ما يتعلق بها من أحكام كالصلاة والحج والعمرة والطواف وأهم ما بها من شعائر وأماكن مقدسة ، والحديث عن وسطية البيت معنى وحساً وإثبات ذلك وبيانه من الناحية الهندسية لما يمثله من أهمية للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لتعلقه بالصلاة التي هي من أهم أركان الدين الإسلامي، وما أجمل وأجل حديث القرآن عن هتين البلدتين التي تنزل بين جبالها ووهادها .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وجعل أعمالنا خالصة صوابا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

أبو ريمة وفان بن ميرا محي الدين.

العام:١٤٣٦- ذو الحجة-24هـ

العام:٢٠١٥-10-07م

فهرس الآيات

الرقم	طرف الآية	السورة	رقم الآية
١	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي	سورة ابراهيم	٣٧
٢	وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ	سورة الحج	٢٧
٣	لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ	سورة الفتح	٢٤
٤	إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ	سورة آل عمران	٩٦
٥	وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ	سورة الأنعام	٩٢
٦	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ	سورة الشورى	٧
٧	وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ	سورة التين	١-٣
٨	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ	سورة إبراهيم	٣٥
٩	وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ	سورة إبراهيم	٢٦
١٠	لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ	سورة البلد	١-٢
١١	إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ	سورة النمل	٩١
١٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ	سورة المائدة	٩٥
١٣	لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ	سورة الحج	٣٣
١٤	وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً	سورة محمد	١٣
١٥	إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ	سورة القصص	٨٥
١٦	وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ	سورة القصص	٥٧
١٧	وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا	سورة العنكبوت	٦٧
١٨	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي	سورة إبراهيم	٣٧
١٩	قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ	سورة البقرة	١٤٤
٢٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ	سورة المائدة	٢
٢١	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا	سورة الإسراء	١
٢٢	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ	سورة الحج	٢٥
٢٣	هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ	سورة الفتح	٢٥

٢٤	وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ	سورة الأنعام	٩٢
٢٥	وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ	سورة البقرة	١٢٥
٢٦	نَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا	سورة الدخان	٣
٢٧	إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ	سورة البقرة	١٥٨
٢٩	لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا	سورة البقرة	١٩٨
٣٠	وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ	سورة البقرة	٢٠٣
٢٧	فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ	سورة آل عمران	٩٧
٣١	إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ	سورة التوبة	٤٠
٣٢	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	سورة البقرة	١٤٣
٣٣	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا	سورة الشورى	٧
٣٤	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ	سورة الأعراف	١٥٨
٣٥	قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً	سورة الأنعام	١٩
٣٦	رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا	سورة إبراهيم	٣٦-٣٧
٣٧	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا	سورة البقرة	١٢٦
٣٨	نْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ	سورة الإسراء	٢١
٣٩	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ	سورة القدر	١-٣
٤٠	ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ	سورة الحج	٣٢
٤١	ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ	سورة الحج	٣٠
٤٢	إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ	سورة النمل	٩١
٤٣	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ	سورة الفيل	١-٥
٤٤	فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ	سورة قريش	٣-٤
٤٥	كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ	سورة الأنفال	٥
٤٦	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ	سورة النساء	٥٨

فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	المراجع
٠١	سألت رسول الله عن أول مسجد	صحيح مسلم ٢٣٤٥
٠٢	سألت رسول الله عن الجدر أمن البيت	صحيح مسلم ٢٣٧٤
٠٣	إن الركن والمقام ياقوتتان	سنن الترمذي ٨٠٤
٠٤	لا هجرة بعد الفتح	صحيح البخاري ٣٠٧٨
٠٥	إن هذا البلد حرام لا يعضد شوكها	صحيح البخاري ١١٣
٠٦	نهى عن لقطة الحاج	صحيح مسلم ١٣٥٧
٠٧	لا تلتقط إلا لمعرف	متفق عليه
٠٨	الحجر الأسود من حجار الجنة	صحيح الجامع ٣١٧٥
٠٩	نزل حجر الأسود من الجنة	صحيح الجامع ٦٧٥٦
١٠	إن الركن والمقام ياقوتتان	صحيح الجامع ١٦٣٣
١١	إن مسح الحجر الأسود	صحيح الجامع ٣١٩٤
١٢	لولا ما مسح الحجر من أجناس	صحيح الجامع ٥٣٣٤
١٣	ليأتين هذا الحجر يوم القيامة	صحيح الجامع ٥٣٤٦
١٤	إنك رجل قوي لا تأذي	أخبار مكة ٣٣٤
١٥	لأ لبسن ثيابي وكانت حاري على الطريق	أبو داود ١٨٩٨
١٦	صلي في الحجر إذا أردت	أبو داود٢٠٢٨
١٧	إن النبي شرب من ماء زمزم	صحيح البخاري ٤٩٣/٣
١٨	إنها طعام طعم	صحيح مسلم ١٩٢٢/٤
١٩	وقد غسل الملكان قلب النبي في صغره	صحيح البخاري٤٢٩/٣
٢٠	ماء زمزم لما شرب له	ابن ماجه ١٠١٨/٢
٢١	وكان يصب على المرض	سنن الترمذي ٣٧/٤
٢٢	صلاة في مسجدي أفضل من	صحيح إرواء الغليل ١٤٦/٤
٢٣	إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد	صحيح مسلم١٣٩٧

٢٤	أبغض الناس إلى الله ثلاثة	صحيح البخاري
٢٥	ينزل الله على هذا البيت	أرواء الغليل٤/١٣٢
٢٦	قدمنا المدينة وهو أوبأ	صحيح البخاري ١٨٨٩
٢٧	والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون	صحيح مسلم ١٣٦٣
٢٨	من استطاع منكم أين يموت	ابن ماجه ٣١١٢
٢٩	اللهم ارزق في ثماره	صحيح البخاري ١٨٩٠
٣٠	إنها طيبة وإنها تنفي الخبث	صحيح مسلم ١٣٨٤
٣١	من سمى المدينة يثرب	سنن أحمد ٣/٥٢٤
٣٢	من أكل سبع تمرات	صحيح مسلم ٢٠٤٧
٣٣	من تصبح سبع تمرات	صحيح البخاري ٥٧٦٩
٣٤	إن في عجوة العالية	صحيح مسلم ٢٠٤٨
٣٥	اللهم من ظلم أهل المدينة	الطبراني
٣٦	من أفالق أهل المدينة	سنن أحمد
٣٧	إن الإيمان ليأرز	صحيح البخاري ١٨٧٦
٣٨	يأتي المسيح من قبل المشرق	صحيح مسلم ١٣٧٩
٣٩	كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه	صحيح مسلم ٢١٩٤
٤٠	أهوى رسول الله بيده	صحيح مسلم ٤٧٩
٤١	إن المدينة حرم وأمن	البيهقي
٤٢	لكل نبي حرم	سنن أحمد
٤٣	ما ترك رسول الله غير كتاب الله	البراني
٤٤	حرم ما بين لابتي المدينة	صحيح البخاري
٤٥	ولو وجدت الظباء ما بين لا بتيها	متفق عليه
٤٦	إني أحرم ما بين لابتيها	متفق عليه
٤٧	المدينة ومكة محفوظتان بالملائكة	سنن أحمد
٤٨	لا تشد الرحال	متفق عليه
٤٩	صلاة فيه أفضل من ألف صلاة	صحيح مسلم

٥٠	من صلى في مسجدي أربعين صلاة	سنن أحمد
٥١	صلاة في مسجدي هذا خير	متفق عليه
٥٢	إن النبي مر بقبور أهل المدينة	سنن الترمذي
٥٣	يبعث الله من هذه المقبرة	رواه ابن زبير

فهرس الأعلام

الأسماء	نبذة عنهم
ابن عباس	هو عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب ، حبر هذه الأمة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة والتأويل . توفي سنة ٦٧هـ . (١/٢٨٨) (تهذيب الأسماء واللغات)
ابن عمر	هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي الصحابي ، شهد الخندق وما بعده من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد المكثرين رواية الحديث توفي سنة ٧٣ هـ (تهذيب الأسماء واللغات ١/٢١١)
ابن القيم	هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن زرعي ثم الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله بن الجوزية ، تفقه في مذهب الإمام أحمد ولازم ابن تيمية وله كتب كثيرة ، من أشهرها " زاد المعاد " وتوفي رحمه الله ٧٥١هـ (البداية والنهاية٨/٢٦)
أبو هريرة	هو عبد الله بن صخر الدوسي ، أسلم عام خيبر وأبوهريرة روى الحديث في دهره وروي عنه أكثر من خمسة آلاف حديثا ، توفي سنة ٥٩ (تهذيب الأسماء واللغات ٢/٥٤٦)
البخاري	هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن أبو عبدالله البخاري ، وكانت ولادته سنة ١٩٤ هـ ، وبالتحديد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة ،وابتدأ يسمع الأحاديث على المشايخ الذين في بلده ،وقد من الله على البخاري فمنحه ذكاء مفرطا ، وحفظا مدهشا ،واستطاع بذلك مواهبه العلمية ،ويقول أبو بكر بن عياش : كتبنا عن محمد وهو أمرد على باب محمد بن يوسف الفريابي، والإمام المنصفين والمعدلين في كلام الرجال ، وله مؤلفات كثيرة أشهرها الجامع الصحيح وتوفي رحمه الله يوم السبت

غرة شوال ٢٥٦ عن عمر يناهز اثنتين وستين.

مسلم	هو أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري ، مولده – رحمه الله – في السنة التي توفي فيها الإمامان العظيمان ، وهما الشافعي وأبوداود الطيالسي ، وذلك بعد السنة الرابعة بعد المئتين للهجرة ،قال محمد الفراء : كان مسلم من علماء الناس وأوعية العلم ما علمته إلا خيرا طلب العلم من الصغر وأول سماعه كان ببلده نيسابور.وأن مسلما أحد الأعلام أهل الحفظ والإتقان والراحلين في طلب العلم إلى أئمة الأقطار والبلدان وقال الدارقطني : لولا البخاري ما راح مسلم ولا جاء . ووفاته بعد وفاة البخاري بنحو خمس سنين ويذكر في سبب وفاته أمر عجيب مذكرو في ترجمته، وهو أنه سئل عن حديث أو عن مسألة فمكث طول الليل وهو يقلب ويراجع إلى ان أدركه الفجر. وكان بجانبه مكتل زنبيل فيه تمر وكان يقلب في الصفحات ويراجع ويأخذ من هذه التمر تمرة تمرة فما جاء الفجر قد نفد ما في الزنبيل وجد رحمه الله المسألة التي يبحث عنها ولكن أكله من هذا التمر أضر به من حيث لا يشعر فكان سبب وفاته.
عائشة	هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، أم عبد الله كناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أختها ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه و سلم بمكة و هي بنت ست سنين ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنين وتوفي عنها وهي بنت ثمانين عشرة سنة ، و توفيت سنة ٥٧هـ وروى لها ٢٢١٠ حديثا. (الوافي:٣٩٧)
أنس بن مالك	هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النظر خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حمزة و أمه أم سليم روى ٢٢٨٦ حديثا ، وطال عمره وعاش أكثر من مائة سنة ، وتوفي بالبصرة سنة ٩٣ هـ .(تهذيب الأسماء و اللغات ١٣٦/١)

ناصر الدين الألباني	هو محمد ناصر الدين الألباني ، بدأ الشيخ حياته العلمية في دمشق ، فحفظ القرآن تلاوة و تجويدا ، ومن مشايخه :أبوه نوح رحمه الله ، وسعيد البرهان، وراغب الطباخ . وقد اعتقل الشيخ في سجن القلعة الذي حبس فيه ابن تيمية وابن القيم وهو يلقب بمحدث العصر ، وله تصانيف و تحقيقات عديدة كثيرة ، وتوفي الشيخ يوم السبت من اكتوبر عام ١٩٩٩هـ.
ابن حبان	محمد ابن حبان بن أحمد، أو حاتم البستين التميمي السجستاني ، ولد رحمه الله على التخمين في عشر الثمانين و مائتين لأنه رحمه الله توفي سنة ٣٥٤هـ وله من العمر نحو ثمانين عاما ، ومن مصافاته ابن حبان.
أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل الشيباني ، أبوعبد الله الفقيه المحدث ، وإليه ينسب المذهب الحنبلي ، ولد في بصرة سنة ثمانين وستين ومائة ،وقد جمع علما واسعا بالحديث والرجال ،وقد أثنى على حفظه كثير من الأئمة .يقول أبو زرعة " كان أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين وقد طاف في البلاد والآفاق . وقد كان الإمام الشافعي على جلالة قدره في الحديث والفقه يعمد الإمام في تصحيح الأحاديث وتضعيفها ولذلك لما اجتمع به في بغداد سنة ١٩٨ هـ قال له : يا أباعبد الله! إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به أذهب إليه حجازيا كان ،أو شاميا ،أو عراقيا ، أو يمنيا ، وعمر أحمد إذ ذاك نيف والثلاثون سنة .وهو ممن امتحن في مسألة خلق القرآن : فأبى كل الإباء فضرب وحبس سنة ٢٢٠ في عهد المعتصم بالله ، وقال علي بن مديني : " ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل ، وقد توفي رحمه الله سنة ٢٤١ هـ
أبو حنيفة	هو نعمان بن ثابت بن طاوس أبو حنيفة الفقيه الكوفي ، إليه ينصب المذهب الحنفي كان عالما عاملا زاهدا عابدا ولد سنة٨٠هـ (البداية

	المجتهد
عبد الله بن مسعود	هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي ، سادس ستة في الإسلام ، وشهد مع رسول الله بدرا وأحدا وسائرالمشاهد وشهد له رسول الله بالجنة نزل الكوفة في آخر عمر ، و توفي فيها سنة ٣٢هـ (تهذيب الأسماء و اللغات ٤٠٣/٢)
ابن حزم الظاهري	أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري ، ولد سنة ٣٨٤هـ. (المحلى بالآثار ١/٥)
ابن تيمية	الإمام المجدد شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام ، و كان فردا في زمانه رأسا في الفقه و أصوله ، و له يد طولى في معرفة القراءة و التفسير ، و توفي سنة ١٣٢٨هـ (التفسير الكامل ٣٤/٨)
ابن حجر	شهاب الدين أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي ، الكناني ، العسقلاني ، الشافعي ، صاحب أشهر شرح الصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلاني بفلستين ، و مولده و وفاته بالقاهرة.
ابن رشد	هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي ، المقلب بابن رشد الحفيد ، ولد بقرطبى سنة ٥٩٥هـ (البداية المجتهد)
أبو الطيب الطبري	وهوالعلامة البارع في علوم الفقه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الطبري ولد سنة ٣٤٨هـ و توفي ٤٥٠هـ.(تهذيب الأسماء و اللغات)

الزيلعي	هو الإمام الفاضل البارع الحافظ المتقن جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن أيوب بن محمد بن أيوب بن موسى الحنفي الزيلعي ، فتفقه وبرع وأدام النظر والإشتغال وطلب الحديث واعتنى به فانتقى وخرج وألف وجمع وسمع عن جماعة من أصحاب النجيب الحراني منهم الشيخ الشهاب أحمد بن محمد بن فتوح ،و الشهاب أحمد بن محمد قيس الأنصاري ، وأيضا أخذ العلم عن لاالشيخ فخر الدين الزيلعي ، ولازم مطالعة كتب الحديث ،لى أن خرج أحاديث الهداية ،ولأطلق زفرته الأخيرة سنة ٧٦٢ هـ فدفن بالقاهرة.
ابن الأثير	هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الشيبانيي الجزري ، ولد سنة ٤٤ هـ في جزيرة ابن عمر- بلدة فوق الموصل – وصنف تصانيف مفيدة من أشهرها (جامع الأصول) و (النهاية في غريب الحديث) توفي في الموصل سنة ٦٠٦ هـ
أبو داود	سليمان ابن الأشعث ابن عامر أبو داود السجستاني ولد رحمه الله سنة ٢٠٢ في إقليم "متلخيم "لقد نسأ محبا للعلم من صغره ومن أجل ذلك لازم العلماء وشرب من معينهم ولما بلغ مبلغ الرجال أخذ نفسه بالارتحال فطا في البلاد وسمع من خلق كثير وثناء العلماء عليه خاص في الكتب العلمية وقال الحافظ موسى بن هارون : خلق أبو داود في الدنيا للحديث وفي الآخرة للجنة . واشتهر بملازمة الإمام أحمد بن حنبل ملازمة شديدة حتى أنه يعد من كبار أصحابه وهو الذي وجه إليه عدد من السؤالات سواء في الجرح والتعديل أو في أحكام .
النسائي	هو أبو عبد الرحمن أحمد بن علي شعيب الإمام الجليل الحافظ شيخ الإسلام كان إمام عصره في الحديث بلا نزاع ولد سنة ١٢٥ طلب العلم منذ صغره وأفاد كثيرا جدا قال الذهبي : ولم يكن أحد في رأس الثلاث مائة

	أحفظ من النسائي وهو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم والترمذي ومن مؤلفاته كتاب السنن وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاث مائة للهجرة من شهر صفر.
الترمذي	هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن يودة الترمذي الحافظ المشهور أحد الأئمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث. ولد سنة ٢٠٩.كان الترمذي يضرب له المثل في الحفظ لقد جمع الترمذي حفظ الحديث و معرفة علله و رجاله مع الثقة و الأمانة و الصلاح حينما بدأ فى طلب العلم حرص على التلقي عن كبار الشيوخ الذين استطاع سمع منهم و لازم البخاري و أطال ملازمته و تاثر به و استفاد منه حتى إنه أصبح تعرف به و نجد كتابه مليئة بالنقل عن البخاري. و توفي رحمه الله سنة ٢٧٩.
البيهقي	هو الإمام العلامة الحافظ المحدث الفقيه الأصولي الزاهد أبو بكى أحمد بن الحسين بن علي بن الموسى البيهقي،ولد سنة ٣٨٤ ه وقفى حياته كلها في خدمة العلم ، في البحث و الدراسة و التصنيف و التدريس و رحل في طلب العلم إلى العراق و الحجاز كان أول سماعه للحديث و هو ابن خمسة عشرة سنة ، و قال شيخ الإسلام ابن تيمية :البيهقي أعلم أصحاب الشافعي بالحديث و أنصرهم للشافعي.و توفي رحمه الله سنة ٤٥٨ه.
القرطبي	هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الاندلوسي القرطبي المالكي. كان فهما حسن الحفظ وحسن المذاكرة ثقة حافظا. وتوفي بالمدينة أوائل سنة٦٩١ هـ>>
النووي	هو محي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي المكنى بأبي زكريا شيخ المذهب كبير الفقهاء . ولد بنوى سنة ٦٣٢ هـ.وله عدة مصنفات منها شرح صحيح مسلم ,والروضة,المنهاج,والأذكار,وتهذيب الأسماء واللغات,وشرح المهذب, لكن انطلق إلى رحمة الله قبل أن يتمه

	سنة ٦٧٦ هـ.
محمد الأمين الشنقيطي	محمد الأمين بن محمد المختار. عالم ومحقق ومفسر. له العديد من الكتب. ولد في بلاد شنقيط (موريتانيا الآن)، طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي، ثم رحل إلى الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية، فدرس على شيوخها وتتلمذ على كثير من علمائها، تولى التدريس في المعاهد العلمية والكليات الشرعية في الرياض والمدينة، وكان ضمن هيئة كبار العلماء وعضوًا في رابطة العالم الإسلامي. ترك عدة كتب أبرزها تفسيره المشهور أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الذي وصل فيه إلى سورة المجادلة، وأتمه فيما بعد تلميذه الشيخ عطية سالم. ويُعد تفسير الشنقيطي متميزًا في بابه، حيث أودعه علومًا نافعة ومسائل محققة. توفي الشنقيطي بمكة.
ابن أبي حاتم الرازي	هة محمد بن إدريس بن المنذر أبو حاتم الرازي ، ولد سنة ١٩٥ هـ ، بدأ يطلب العلم في باكورة حياته فكان سماعه وكتابته للحديث وهو ابن أربع عشرة ول الذهبي : " كان من بحر العلم ، زطوافه البلاد وبرع في المتن والإسناد ،وجمع وصنف وجرح وعدل وصحح وعلل .زكان أبو حاتم إليه المنتهى في الحفظ وأحوال الرجال ومعرفة علل الحديث .وكان رحمه الله بمجرد النظر إلى الأحاديث يحكم عليها .وكان أبو حاتم وأبو زرعة صديقين يعرف كل واحد منهما فضل صاحبه . ومات في شعبان سنة ٢٧٧ هـ. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل - ط) ثمانية مجلدات منه، و (التفسير) عدة مجلدات، منها جزآن مخطوطان، و (الرد على الجهمية) كبير، و (علل الحديث - ط) جزآن، و (المسند) كبير، و (الكنى) و (الفوائد الكبرى) و (المراسيل - ط) و (تقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل - خ) في دار الكتب (٩٠ مصطلح) و (زهد الثمانية من التابعين - خ) في الظاهرية و (آداب الشافعي ومناقبه - ط) و (بيان

خطأ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه -)

المصادر والمراجع

١- أحكام الحرم المكي الشرعية وحدوده تأليف عبد العزيزبن محمد الحويطان الطبعة الأولى بمطابع الحميضي ١٤٢٥هـ.

٢-أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه محمد بن إسحاق الفاكهي دراسة وتحقيق د. عبد الملك بن دهيش .طرح دار خضر بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.٣

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ط.الأمير أحمد .١٤٠٣هـ

٤-التحرير والتنوير طرح الدار التونسيه عام ١٩٨٤م

٥-تفسير ابن جريرالطبري جامع البيان عن تأويل القرآن تحقيق الدكتور عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر طرح دار هجر القاهرة الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ.

٦- تفسير ابن كثيرط دار الباز١٤٠٦ ، طرح مؤسسة الريان بيروت الثانية ١٤٢٠هـ

٦-تفسير الجلالين جلال الدين سيوطي وجلال الدين محلي.

٧-تفسير الكريم المنان للسعدي.

٨-التفسير الميسر طرح مجمع الملك فهد.

٩-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.صورة للطبعة المصرية. دار إحياء التراث العربي بيروت

١٠- سنن أبي داود طرح دار الحديث سوريا.

١١- سنن الترمذي الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي بتحقيق أحمد شاكر تصوير المكتبة الفيصلية مكة المكرمة.

١٢-صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل المكتبة السلفية ١٤٠٠هـ

١٣-صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي صورة لطبعة دار إحياء الكتب العربية مصر.

١٤-فتح الباري شرح صحيح البخاري طبع دار المعرفة بيروت لابن حجر العسقلاني.

١٥-في ظلال القرآن لسيد القطب دار الشروق بيروت ١٤٠٦هـ

١٦-القرى لقاصد أم القرى . أحمد بن عبد الله محب الدين الطبري ثم المكي تحقيق مصطفى القا طبع دار الفكر الثالثة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٧-الكعبة مركز العالم للدكتور سعد المرصفي ص١٥٥-١٨١ط: مؤسسة الريان الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ.

١٨- المستدرك الحاكم على الصحيحين دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ.

١٩- مسند الإمام أحمد .

٢٠- منائح الكرم في أخبار مكة وولاة الحرم تأليف علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (ت ١٠٧٥). دراسة وتحقيق د. جميل عبد الله المصري وآخرون . طبع جامعة أم القرى بتمويل منصور أبو رياش .

٢١-الجامع الصحيح للترمذي (٦٧٩/٥)كتاب المناقب باب في فضل مكة برقم (٣٩٢٥) وقال هذا حديث حسن غريب صحيح..

٢٢- منائح الكرم في أخبار مكة وولاة الحرم(٣٠٥/١-٣٠٦) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٣٣/١).

٢٣-تأريخ مكة أحمد السباعي (١٥/١)ط٧. وملامح من تأريخ مكة هاني ماجد فيروزي (ص٥٠،٥١) ط١ ، ١٤١٩هـ

٢٤- ينظر موقع مكة على الانترنت www.makkah.development.gov.sa

٢٥-أخبار مكة للفاكهي (٣/٢٨٠) منائح الكرم (١/٣١٣).

٢٦-ينظر (التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(١٢/٤-١٣) وفيها " وإنما سميت مكة أم القرى لأنها أقدم القرى وأشهرها وما تقرت القرى في بلاد العرب إلا بعدها، فسماها العرب أم القرى، وكان عرب الحجاز قبلها سكان خيام. وهي القرية العظيمة منها وكانت مكة أعظم بلاد العرب شهرة وأذكرها بينهم وأكثرها مارة وزوارا لمكان الكعبة فيها والحج لها.

٢٧-أضواء البيان ١/٤٤٤.

٢٨-سنن أبي داود (٣/٢٩٧) كتاب الصوم ، إذا أخطأ القوم الهلال (٢٣٢٤).

٢٩- سنن النسائي(٣/٣٣) كتاب المساجد فضل الصلاة في المسجد الحرام

٣٠-الكعبة مركز العالم للدكتور سعد المرصفي ص ١٤٨ط مكتبة المنار الإسلامية ط١ عام ١٩١٨م.

٣١-تفسير ابن كثير.

٣٢-ينظر مجلة العربي عدد(٢٣٧) عام ١٩٧٨م .

٣٣-التفسير الميسر.

٣٤-مجلة العربي عدد(٢٣٧) عام ١٩٧٨م .

٣٥-تفسير ابن جرير جامع البيان.

الرقم	الموضوع	الصفحة
٠١	المقدمة	٠١
٠٢	كلمة الشكر	٠٣
٠٣	تمهيد	٠٤
٠٤	أسماء الحرمين	٠٤
٠٥	نبذة عن الحرمين	٠٦
٠٦	نبذة عن المسجد الحرام	٠٦
٠٧	نبذة عن المسجد النبوي	١٢
٠٨	الباب الأول فضائل الحرمين وأحكامهما	٣١
٠٩	الفصل الأول فضائل بلد الحرام	٣١
١٠	المبحث الأول الآيات القرآنية الواردة في فضائل مكة	٣١
١١	المبحث الثاني حرمة بلد الله الحرام	٣٣
١٢	المبحث الثالث دعوة إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها	٣٥
١٣	المبحث الرابع أحب البلاد إلى الله	٣٨
١٤	الفصل الثاني أحكام البلد الحرام	٤١
١٥	المبحث الأول القتال وسفك الدماء بمكة	٤١
١٦	المبحث الثاني دخول المشركين مكة	٤٦
١٧	المبحث الثالث الصيد وقطع الأشجار في الحرم	٤٧
١٨	المبحث الرابع أخذ اللقطة في الحرم	٤٨
١٩	المبحث الخامس دخول مكة بغير إحرام	٥٠
٢٠	الفصل الثالث المواقع المعظمة في مكة	٥١
٢١	المبحث الأول الكعبة وأحكامها	٥١
٢٢	المطلب الأول الطواف حول الكعبة	٥١
٢٣	المطلب الثاني الحجر الأسود	٥٩
٢٤	المطلب الثالث الركن اليماني	٦٦
٢٥	المطلب الرابع الملتزم	٦٧

٢٦	المطلب الخامس حجر إسماعيل	٦٩
٢٧	المطلب السادس مقام إبراهيم	٧١
٢٨	المبحث الثاني ماء زمزم	٧٢
٢٩	المبحث الثالث الصفا والمروة	٧٥
٣٠	المبحث الرابع عرفات، منى، مزدلفة	٧٦
٣١	المبحث الخامس فضائل مسجد الحرام	٩٣
٣٢	المطلب الأول مضاعفة أجر الصلاة في المسجد الحرام	٩٤
٣٣	المطلب الثاني مضاعفة أجر الأعمال في المسجد الحرام	٩٥
٣٤	الفصل الرابع تعظيم البلد الحرام بين المشروع والممنوع	٩٨
٣٥	الباب الثاني فضائل المدينة وأحكامها	١٠٤
٣٦	الفصل الأول فضائل مدينة النبي	١٠٤
٣٧	المبحث الاول الأحاديث الواردة في فضائل المدينة	١٠٤
٣٨	المبحث الثاني حرمة المدينة	١٠٦
٣٩	المبحث الثالث حماية المدينة من الدجال والطاعون	١٠٩
٤٠	المبحث الرابع تربة المدينة	١١٣
٤١	المبحث الخامس تمر المدينة	١١٥
٤٢	الفصل الثاني المسجد النبوي وأحكامها	١٢٢
٤٣	المبحث الأول الصلاة في المسجد النبوي	١٢٢
٤٤	المبحث الثاني حكم زيارة قبر النبي ومسجده	١٢٢
٤٥	المبحث الثالث شد الرحال إلى المسجد النبوي	١٢٤
٤٦	الفصل الثالث المواقع المعظمة في المدينة	١٢٥
٤٧	المبحث الأول جنة البقيع	١٢٥
٤٨	المبحث الثاني أحد	١٢٩
٤٩	المبحث الثالث مسجد القباء	١٣٠
٥٠	المبحث الرابع مسجد القبلتين	١٣١
٥١	المبحث الخامس منبر النبي	١٣٢

٥٢	المبحث السادس الروضة	١٣٣
٥٣	الخاتمة	١٣٥
٥٤	فهرس الآية	١٣٦
٥٥	فهرس الأحاديث	١٣٨
٥٦	فهرس الأعلام	١٤١
٥٧	المراجع	١٤٩